كتاب مرهم العلل المعضله

في دفع الشبه و الرد على المعتزله

بالبراهين و الادلة المفصلة

مختوما بعقيدة اهل السنة المفضلة

و ذكر مذاهب الفرق الاثنين و السبعين المخالفين للسنة و المبتدعين

تصنيف الشيخ الفقيه الامام العالم العارف

بالله و الدال عليه - ابي محمد

عبد الله بن اسعد اليافعي نسبا و الشافعي

مذهبا - رضي الله عنه و ارضاه و نفع به

و الصالحين من عباده

امين ! امين !!

امين !!!

بسم الله الرحمن
رب يسر واعن يا كريم

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلوة والتسليم على رسوله سيدنا محمد النبي الكريم وعلى اله واصحابه اجمعين وبعد فهذا سؤال ارسل به الي بعض فقهـاء الزيدية مشتمل على بعض المسائل الخلافيـة مما يتعلق باصول الدين وشيء من شبه المعتزلة المبتـدعين وهذا لفظـه ما يرى الشيـخ فخر الاسلام وسيط عقـد النظام وصدر المجـالس وفرز الحنادس في نفي الثاني عن الله تعالى بظاهر النص في قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ولما يعلم من دين الانبياء صلوات الله عليهـم ضرورة هل هو مترتب على معرفة الله تعالى او معرفة الله مترتبة عليه فان قلت نفي الثاني مترتب على معرفة الله تعالى فما الطريق اليها على مذهبك فان قلت الطريق اليها السمع كما تذهبون اليه فهي مشوشة عليك من وجوه احدها ان السمع مفتقر الى معرفة الله تعالى ومعرفة الله تعالى مفتقرة الى السمع وهذا دور محض لانا لا نعرف السمـع حتى نعرف الله تعالى ولا نعرف الله تعالى حتى نعرف السمع فلا يحصلان ولا واحد منهما فبايهما نعترف ومن ايهما نعتذر لعمر الله انها مسئلة مجمجمة الذوق محمحمة الشوق تعتورها العقول وتتناحر فيها الفحول فاجب بفتق صميمها وقشر اديمها الثاني انما يصح الاستدلال بكلام الله تعالى مهما كان عدل حكيم لا يفعل القبيح ولا يريده (قلت هكذا لفظ السائل بالرفع وصوابه بالنصب عدلا حكيما) فاما مع تجويزكم القبيح عليه وارادته بكل الكائنات من وجوه الفساد من كفر وظلم وسواه فما الثقـة بكلامه ومن هاهنا انسد عليكـم بالنبوات من حيث جوز شيخكـم ابو الحسن الاشعري على الله تعالى اظهار المعجز على الكذابين وما اعتذر به شيخكم ابن الخطيب الرازي من

ان المعجز موضوع للتصـــديق وتجويزكم القبيح على الله تعالى لا يقدح في صدق الرسول فانما هو خلود في بحور الهوى ومراوغة عن الحـــق وتخبط في تيه الباطل وضجيج شيخكم ابي حامد (هكذا قال وصوابه بالرفع ابو حامد) الغزالي على اصحابنا المعتزلة بكلام لم نفهم معنـــاه من قوله الطبـــع قابل والعقل باعث والمعجز ممكن والرسول مبلـــغ ولقد سألنا اعلم اهل زماننا عنه فقال ما فهمنا غرضه في هذا الكلام مع انه الناقل لكلامه ومعتـــرف بفضله في حيازة لقصبات السبق في الاصول الفقهية والمجاري القياسية الوجه الثالث هب انا سلمنا ان الطريق الى معرفته كلامه فالكلام في اصل اللغـــة ما وضع لافادة معنـــى وهذا لا يتأتى على مذهب اصحابك ان الكلام عندهم ما قام بذات المتكلم وكانت الحروف حكايات عنه وكلام الله تعالى عندكم ليس بحرف ولا صوت بل صفة واجبـــة لله تعالى كالقادرية والعالمية وان الذي بيننا ليس بكلام الله على الحقيقة فانظر الى جلافة شيخكم ابي الحسن الاشعري وكيف استهواه الجهل وامرط به العمى حتى انكر ما هو معلوم من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة وحيث قال الله تبارك وتعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فوصف الله تعالى ان هذه الاحرف كلامه دون ان يكون شيء آخر كلام له (قلت هكـــذا لفظ السائل بالرفع وصوابه كلاما بالنصب) ثم قال ولم يحقق ما ذهب اليه من المعنى القائم بالذات فباع اليقين بالشك وقد طوينا الكشح عن كثير من المسائل الدينية خوف التطويل حتى يبين الانصاف او القول بالخلاف فالواجب على من قعد في دست العلمـــاء ولبس شعارهم المجادلة لاهداب النظـــر والمقارعة باسلحة الانظار كما ذهب اليه السلف من المشائخ المعتزلة ومسائخكـــم ومن سائر الفرق فاجب شافيا لا زلت ورد مستـــورد للاعلام (قلت هكذا لفظه بالرفع وصوابه وردا مستوردا بالنصب) والصلوة على سيد الانام محمد وآله الكرام انتهى السؤال * قال العبد الفقير الى لطف اللطيف الخبير عبد الله بن اسعد اليافعي اليمني الشافعي نزيل حرم الله المشرف المعظم وحرم رسوله المحـــروس المحتـــرم الجواب وبالله

التوفيق ان هذا السؤال فيه محاولة ايهام ظهور حجج المعتزلة علينا بابداء السائل شيئًا من شبههم واراجيفــهم التي لا تهولنا ورميهم لنا بمنجنيق محض عقل عرضة للخطأ باحجار اعتــراضات في جدالنا لا تنال شوامخ حصون فروعنـــاً ولا تزعزع رواسخ قواعد اصولنا التي هي في تاسيسها بين المعقول والمنقول من الكتاب والسنة والاجماع جامعة الثابتة بالادلة البليغة والحجــج المانعة والبراهين القاطعة المسفرة عن محاسن السنة البيضاء وعن مذهب الحق المؤيد بالتوفيق وصحة الدليــل النازل في على معالي الشرف الاسنى وذرى مفاخر المجد الاثيل الذي اشتهر فضله في المجامع والمشاهد وفيه قلت في بعض قصائد العقائد *

نحلنـــا مذهبا يجلى قديما * له غر العلى عالي الجناب
مشينا في ضياء من شموس * واقمار ومن رب الشهاب
من المعقول والمنقول صدقا * من الاخبار مع آي الكتاب
رويـنـــاها باسنـــاد صحيــح * لنا لا بافتراء واكتـــذاب
سلكنـــا سنـــة بيضا مشاها * سواد معظم اهل الركاب
ولم نركب بنيات الطريق التـــي فيهـــا اتى نهي ارتكاب
ولا يمشـــي بهـــا الا شذوذ * تمطـــوا متن اخطار صعاب
وفي الاخبار جا من شذ عن ذي * سواد شذ في نار العـــذاب
مع التمثيل في القصوى من الشا * لها قد خص في اخذ الذئاب

قلت وفي هذه الابيات الاخيرة اشرت الى ما ورد عليكم بالسواد الاعظم وما ورد إيَّاكم وبنيـــات الطريق وما ورد من شذَّ شذ في النار وما ورد انما ياخذ الذئب القاصية من الغنم وفي مذهب اهل السنة ومدح اعلامه الايمة قلت هذه القصيدة المسماة بعقد الآلي المفصل بالياقوت العالي في مدح عقيدة اهل الحق ومذهبهم العالي والتغزل بالامام ابي حامد الغزالي وغيره من ائمتنا اولي المناقب والمعالي *

لنا مذهب شمس الهدى ناهج جلي * ومذهب غير عن صدا الزيغ ما جُلي
عقيدتنا عقد من الدرّ والحلى * على جيدها في ثغرها السلسل الحلي

تحلت حلى آي الكتاب فاسفرت * عن السنة الحسنا وبرهانها الجلي
وبالت باجماع جميع محاسن * ففاقت سواها بالجمال المكمل
لناظرها منا بزاهي جمالها * سبنهم وعنهما ذواعتزال بمعزل
انت ان تروي تلك الحلى غير كاشف * لاستار اسرار المعالي فتجتلي
خبير بمكنون المحاسن مهتد * لمفهوم منطوق وتفصيل مجمل
بظاهر نص وافق العقل قائل * وما لم يوافق من محال مأوّل
نأى عن حضيض الحشو نهج مشبّه * وغالي اعتزال للصفات معطل
نهج وسيط بين تفريط جامد * وافراط غال جاوز الحق مبطل
شموس الهدى سارت به ... وسو الراية البيضاء والمنصب العلي
ايمتنا ... صحب محقق * مشاهد اسرار امام الهدى ولي
بحر امام في العلوم مدقق * مفيد الورى في كل فن محصل
وتصنيفنا ما بين وضع قواعد * اذا بجبال صودمت لم تزلزل
ورفع فروع في حصون شوامخ * فما رميها عن منجنيق بموصل
لنا كم وجيز في بيان قواعد * وجمع معان واختصار مطول
وكم من بسيط في جلاء نفائس * وايضاح ايجاز وحل لمشكل
وكم ذي اقتصاد مودع رب قاطع * لافحام خصم مثل ماض به اعتلي
بكف همام ذب عن منهج الهدى * بحرب نضال لا يرى غير اول
كمثل الفتى الحبر المباهي بفضله * فغني بغزالي العلا وتغزل
ابي حامد غزال غزل مدقق * من العلم لم يغزل كذاك بمغزل
به المصطفى باهى لعيسى بن مريم * جليل العطايا والكليم المفضل
اعندكم حبر كهذا فقيل لا * وناهيك في هذا الفخار المؤثل
رآه الولي الشاذلي في منامه * ويرويه عنه من طريق مسلسل
رواه ولي عن ولي لنا وعن ولي * رواه ذاك عن رابع ولي
وعن شاذلي شاذلي وهكذا * وشيخ شيخ مسندا غير مرسل
كذاك روينا عنه جلد بن حرزهم * على الطعن في الاحياء من خير مرسل
عليه صلوة الله قال ولم يزل * الى الموت اثر السوط في ظهره جلي
وارويه ايضا مع زيادات نصه * بتحقيق نقل عن خبير رواه لي

فتى جده الحبر الامام ابن حرزهم * ابو الحسن المجلود في يومه علي
بقي موجعا خمسا وعشرين ليلة * لخيـــر يراه بعد من اجله ابتلي
راى المصطفى من بعدها جا متوبا * و موليه مسحاً شافيا ما به بلي
فشاهـــد في الاحياء حسناً رسولنا * به شاهد مع ما به لم اطول
وزفّتـــه املاك السما بعد موته * له اخرجوا من تحت ترب وجندل
فالبس خلعـــات غوال اتوا بها * من الخضر لم تنسج وتغزل بمغزل
واركب مركوبا من اللون كائنا * حكى البرق اسراعا من الجو منزل
وراق الطباق السبع في الحال خارقا * وسبعين من حجب الى عال منزل
بذا شهد الصيـــاد شيخ زمانه * كما اشهد المذكور في كشفه الجلي
وقد شهد المرســـي استاذ عصره * له مع شيوخ الوقت بالمنزل العلّي
وممن رأى ذاك المقام امامنا * وسيدنا نور الهدى شيخنـــا علي
كذا الشاذلي شيخ المشائخ قد حكى * قضا حاجة الداعي به المتـــوسل
وسمي لاصحاب التصانيف سيدا * وذا قول اسماعيل شمس الهدى الولي
مقر الذى المشكور شيخ شيوخنا * امام الفريقين الحبيـــب المدلل
هو الحضرمي المشهور من وقفت له * بقول قفي شمس لابلغ منـــزلي
وكم عالم قد قال جاء لديننـــا * بخمس مئين كي يجدد ما بلي
وتجديد دين في الحديث بمحدث * براس مئين في الايمـــة مجمل
ففي المـــائة الاولى رواه خليفة * فيا مالها من بعـــده مثلـــه ولي
وذاك ابن عبد للعزيز الذي سما * بسيرته الحسناء ذو المنـــزل العلي
وخير وجود بحـــر جود راى الملا * امام الانام الشافعـــي له يلـــي
له منصب في العلم والفهم والهدى * شهير وفي الافاق مذهبـــه جلي
فريد زمان في المنـــاقب سابق * بوضع اصول والحديث معلـــل
ومن بعـــده للدين شيخ اصوله * وكاسي شعار الحق كم من مضلل
ابو الحسن المشهور بالاشعري الذي * له حجـــة كالطود غيـــر مزلزل
ومن بعد في التجديد اكرم برابع * امام الهدى الحبر النجيب المفضل
هو الباقلاني بحـــر علم اصولنـــا * تلاطم امواجا بهـــا الكون قد ملي
حوى للمعالي والمحاسن قد زها * ببستان فضل مزهر الكـــون مبقـــل

وخامسهم حبر مضى ذكر فضله * سراج به داجي الضلالات منجلي
امام الهدى المنبي عن الفضل منشدا * سبوقا على المهر الاغر المحجل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم اجد * لغزلي نساجا فكسرت مغزلي
مشيرا الى علم به متميز * عن ادراكه فهم الالبا بمعزل
تصانيفه فاقت بنفع وكثرة * وحلة حسن لم بها الغير يرفل
وكم حجة الاسلام حاز فضيلة * وكم حلية حسنا بها فضلها حلي
بها جاهل مع حاسد طاعن فذا * تعامى ومنها ذاك اعمى قد ابتلي
وما ضر سلمى ذم عالي جمالها * ومنظرها الباهي ومنطقها الحلي
لئن ذمها جاراتها ونظائر * وعبن جمالا في حلاها وفي الحلي
فما سلمت حسناء من ذم حاسد * وصاحب حق من عداوة مبطل
اذا في الفتى زاد الندى زادت العدى * وقيت الردا قل في الهدى وتمثل
دليل العلا كثر البلا هكذا الملا * ولولا احتراق التبر بالنار ما غلي
حلا لي مديح في مليح ايمة * وليس كغزالي حلا لي تغزلي
فمدحي كعقد من لالي ايمة * بياقوت غزالي المعالي مفصل
وكم من امام خير من قد مضى لنا * من الفضل والعلياء بالمنزل العلي
كحبر شهير بارع ماجد ابي الـمعالي النجيب ابن النجيب المبجل
فتى فحل نظار وكبت مناظر * ومفتاح معلاق ومرهم معضل
وخير امام اسفرائيني جلا * عرائس فضل سافرات لمجتلي
وذي الفضل واليمن الامام ابن فورك * بحلة حسن العلم والدين مجتلي
وحبر اخير في المعالي مقدم * امام الهدى الرازي بفخر مجمل
وحبر ببيضا قد جلى بيض فضله * فضاء الدجا من وجهها المتهلل
وعز لعز الدين دين الهدى كما * عقيدته الحسنا حلى ماخر الحلي
كذلك محيي الدين احياه اذ سقت * تصانيفه الحسنى الورى عذب منهل
اماما علوم لكن الفقه غالب * جليلان حلا من قلوب بمنزل
على عشرة رمت اقتصارا وكم لنا * مجيد مقال للاصول مفصل
كمثل الامام البيهقي منهج الهدى * فتى الفضل والتحقيق حبر مفضل
وحبر الهدى بحر المعالم والندى م الفتى الفاضل الخطابي المتفضل

وكائن دقيق العيد حبــر وراتق * لمفتتــق فتــاق رتق بمشــكل
وكل امام ذي مقال محــقق * ومعتقد في اصل علــم معلــل
كاشياخنا السادات من كل عارف * من الراح في روض الوصال معلل
مسقى بكاسات الهوى من مدامة * بها رب نشــوان معــل ومنهــل
اذا ذاقها صب ارته جمــال من * يحب واروته باعذب منهــل
وان شم تلك الراح خال عن الهوى * يرى الدهر مشغولا به ذلك الخلي
وان سقيــت نهــلا وعلا مقربا * يولــيه ملــكا كم ولي له ولي
كمثل شيــوخ عارفيــن ثلثة * شموس الهدى ارباب ملك مخول
مربين ما منهم يرى غير مرشد * الى الله بالله المــوفق موصــل
عقائدهم مشهــورة شاع ذكرها * وعن فضلها داري فضائلهــا سل
وكن مثلهم في حب مولاك مشغفا * فما منهم عن حب مولاهم سلي
ابى القسم المولى القشيري حبرهم * امام هدى لم فضله قط يجهــل
وشيخ الوجود السهروردي من جلا * معارفه الحسنى بزهو لمجــتلي
وشيخ الهدى بحر الكرامات والندى م الفتى القرشي المولى الوجيه المجلل
اولئــك اشيــاخ لنا وايمــة * نباهي بهم في كل ناد ومحفــل
فيا ذا اعتزال هل شيوخك مثلهم * تفاخرنا بل انت عن مثلهم خلي
فماحجة الاسلام مع شيخه ابي * المعالي واستاذ الهدى طب معضل
ككعبي ضلالات ونظــام بدعة * وجبائي الزيغ الضليل المضلــل
ثلاثتــكم ان بارزوا كثــلاثة * دعوا لبــراز يــوم بدر معجــل
فما لبثــوا اذ ذاك الا هنيــهة * وحان حلول المستحق الموجل
بايــدي ضراغيــم ضوار ثلاثة * قد انصرفت عن رب قرب مجدل
ضراغيمــنا في كل ارض شهيرة * بغاباتها من حولها نشو اشــبل
واقمــارنا في كل افق منــيرة * بها يهتــدى في كل سهل واجبل
زهت في سما عليا مناهج وافقت * عقــائدها حقا بهــا لم اطــول
سوى عشرة من شافعيات منهج * وبضــع منيــرات زواهر كمــل
وبدري هدى في المالكيات رابع * بتجديد دين والقريشي المفضل
وبدرين منها شاهدين ابــدرنا * بمجد وسعد جامع اليمن مقبــل

بدور كلا النهجيين زاه بهاوها * بانوارها ظلما الضلالات تنجلي
وفي حنفيات لطيف سحابة * اتاها من التكوين غير مبدل
وفي حشويات كسوفان اظلما * ومن نهجها حاشي الامام ابن حنبل
هما جهة ما بين شمس وبينها * تحول وحرف في الكلام المنزل
رواصد اصوات وبحة قارئ * وحرفا كلام الله والعرش معتلي
تعالى اله عن حلول حوادث * به وعلا لم بالحوادث يحلل
ونهج اعتزال مع سواهم كلامه * تبارك مخلوق بجسم مقول
ارادوا بصوت مع حروف منطقا * لهـا بافتراء منهم وتقول
فقالوا كلام الجسم ذاك مصرحا * ولا ينسبوه قط للواحد العلي
وليس لكم عن ذا محيص ولا لكم * خلاص بما جئتم به من تخيل
فقلتم كلام في جماد فجئتم * بتخييل فرق موهم ذا تخيل
وما روم تدليس علينا بجائز * فما بينه والحي فرق مفصل
فما خلق ادراك وقدرة منطق * له بمحال لا ولا ذا بمشكل
فما الاصل في الاشياء الا خفية * فان لا دليل ليس غير مبطل
تسبح كل الكائنات بحمده * ودعوى مجاز فيه قول لمبطل
فهلا كلام من ذراع مسمم * جعلتم كلام الله حتى له تلي
بمذهب كل من اولي الربع ضحكة * مصيحة الباكي الحزين المثكل
ففي الباطني كل الدواب مكلف * لها انبيا يوحى الى كل مرسل
ومن عجب ثور نبي بقومه * وتيس خصوه مع حمار محمل
ولا بعث والتكليف نار وجنة * لنفس زكت عودا الى الفلك العلي
وفي الرافضي جبريل اخطا بوحيه * الى احمد لم يرسل الا الى علي
فيا عجبا من مارق في ثلاثة * وعشرين عاما للاله مجهل
وكم ملحد في العالمين مجسم * وكم مارق زنديق دين معطل
اذا للصغير والكبير المعطل * لقيت لقيت التيس يمشي مع الطلي
وللكل كم سخرية وفضيحة * واعجوبة تحكي بها لم اطول
ويا طالبا حفظ اعتقاد محقق * خلا عن عيار صافيا عذب منهل
تلق عقيد الحق في خمسة عشر * من النظم تجري حافظا عن مطول

تعالى الله عن شريك ووالـــد * وولد وزوجات ووصف ممثـــل
سميـــع بصيـــر عالم متكلـــم * مريد وحي مصـــدر كلها يلي
بقدرته العظمـــى واتقان حكمـــة * يرى الكون في كن كان بالقهر معتلي
علا بجمـــال فيه مجـــد جلاله * بعز كمـــال الكبـــرياء مكلـــل
صفات علي جلت وجلّ جلالها * عقول الورى معقـــولة عن تعقـــل
وكفهـــم عن كيف مع اين نافيا * حروفا وخلقـــا للكلام المنـــزل
ولا واجب حاشا عليـــه وحاكم * هو الشرع دون العقل ع القول واعقل
وفي قدر مـــع رؤية مع شفاعة * وحوض وتعذيب بقبـــر ومبتلي
وبعـــث وميـــزان ونار وجنـــة * وقد خلقـــا ثم الصراط وللولي
عظيـــم كرامات فكـــل شريعـــة * محا خير شرع جا به خير مرسل
فامن وسلـــم للصحابة واعتقـــد * جميعا وبجلهـــم وكالقـــوم فاعمـــل
واقبل على السادات واقبل مقالهم * وبين ايادي القـــوم الارض قبل
وقدم ابا بكر كمـــا للعـــلى علا * وبالليث ربع ذي المقام العلي علي
كما قدموهم هم نجوم الهدى فمن * هداهم فلا تعـــدل بذلك تعـــدل
وتخليـــد نار خصـــه كافرا ولا * بكفـــر لاهل القبلـــة افهمه واقبل
تباهت وفيها قد بدا لي توقف * فاخر كتبـــي بعـــد حزمي بارل
مجانبة التفضيل في الاخرين او * لثان ارى في الفضل رابعهـــم يلي
وفي ذا اختلاف عن ظنون تعارضت * ودون جمال العلـــم ارخاء مسبل
وقد قال منـــا قائلون بكـــل ما * توقفت عن حرم الايمـــة ما خلي
وقد وقف الفاروق في فضل ستة * وذاك الذي القران في وفقه تلي
ومع ذا نترتيب المـــلا في خلافه * لذاك وجوه غيرها في المفصـــل
وقلبي بحمد الله في حب كلهم * وعلم بما جا في على الكل ممتلي
ومن بعد ذا اوصيك بالخير والتقى * وترك التواني والورى دع وافيل
ولا تك مثلـــي عاجزا متخلفـــا * عن الخير والدين النصيحة فاقبل
وقد صح ان المرء مع من احبـــه * فاحبب لاصحاب الهدى والتبتل
ولازم وداوم قرع باب مومـــلا * فمـــا خيب المـــولى رجاء مؤمل
ولليافعي بالـــله وادع برحمـــة * ونيل المنـــى في عاجل ومؤجل

فما هي ثنت لا عن كلال عنانها * ومع مائة سبعون زاهرة الحلي
بها واحد ياقوتة مستعارة * مضمنة في عقد در مفصل
وكم عند هذا تستعر من اجانب * فما ران من حلي الاجانب يحتلي
تحلت بعقد من لالي عقيدة * يضيئ الهدى في وجهها المتهلل
اذا انتسمت في الليل عن درسنة * رايت دياجي الابتداعات تنجلي
وثمت بحمد الله ازكى صلاته * على المصطفى فاحت بمسك ومندل

قلت وقد رايت ان انبه على شيئ في هذه القصيدة وهو قولي في تفسير احد كسوفي المذهب المذكور هما جهة ما بين شمس وبينها تحول اعني حالت الجهة العلوية بين القائلين بها من الاقمار الارضية و بين شمس الحضرة القدسية فتخسفت كما في حيلولة الارض بين الشمس والقمر المذهبة لنور طلعته البهية على قول من قال ان الافلاك كرية على وجه الاستعارة على تقدير صحة قول الفلكية مع اني قد استدللت على بطلان قولهم هذا بعشرة ادلة عقلية ونقلية في كتاب سراج التوحيد واضحة جلية وتكفي في الدلالة على ذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة وذلك من اقوى الادلة القطعية اذ اخبر ببلوغ ذي القرنين مغربها ووجوده لها تغرب في تلك العين وجدانا لا في راي العين مع تاكيد ذلك بوصف العين المذكورة اذ هي موصوفة في الكتاب الممجد بالحماة التي هي الطين الاسود فمن قال انها لا تزال تدور وليس لها مغرب فهو بظاهر كلام الله عز وجل مكذب وكذلك قولي و زفته املاك السما بعد موته الى آخر الابيات الخمسة اشرت بذلك الى ما اشتهر وثبت بالاسناد في سيرة الشيخ الكبير العارف بالله ابي العباس الصياد قدس الله روحه ومختصر ذلك انه قال رضي الله عنه بينا انا ذات يوم قاعد وانا انظر الى ابواب السماء وهي مفتحة اذ نزلت عصبة من الملائكة ومعهم خلع خضر ودابة من الدواب فوقفوا على راس قبر من القبور واخرجوا شخصا من قبره والبسوه الخلع واركبوه على الدابة وصعدوا به الى السماء ثم ذكر انهم لم يزالوا يصعدون به من سماء الى سماء حتى جاوز السموات السبع وخرق بعدها سبعين حجابا فاحب

ان يعرف من هو ذلك الشخص فقيل له هذا العوالي رضي الله عنه قال ولا علم لي اين بلغ انتهاؤه قلت واما ما اشرت اليه من مباهاة النبي صلى الله عليه وسلم للمنكر عليه فسياتي ذكره ان شاء الله تعالى قلت وفي استحسانه صلى الله عليه وسلم لاحياء علوم الدين دليل واضح على كون ما تضمنه من عقيدة الاشعرية حق وكذا ما اشتمل عليه من طريق الصوفية وعلومهم واحوالهم وكراماتهم والله اعلم قلت ايضا في مذهبنا هذه الابيات *

لنا حصن عز من علا مجد مذهب * باعلى سما مجد المفاخر شامخ
قواعده الغرا كتاب وسنة * وعقل واجماع اصول رواسخ
اذا ما رمى من منجنيق اعتزالهم * بجلمود عقل للتجادل دائخ
فلا لاحق قزعا ولا بمزعزع * لاصل ولا بعضا عن البعض فاسخ
محكم شرع دون عقل خلاف من * بعقل عن الشرع الاحاديث سالخ
وقد جاء لا تعذيب من قبل بعثة * بشرع لمجموع الشرائع ناسخ
ولا فاسخ يلغي لمحكم حكمة * الى حين اسرافيل في الصور نافخ

قلت فلما ارسل السائل بالسوال المذكور الي واقترح جوابه علي لم ينشرح صدري للجواب في الحال بل مال الى الاعراض عنه والاهمال لكون الهوى على القلوب قد استحكم واتباع الباطل قد اعمى واصم فلا يكاد الحق في هذه الازمان ان يرى و ان رؤي فلا يكاد المبطل يتبعه بل يدفعه بالجدال والمراء ثم انشرح صدري بعد مدة لهذا الجواب ورايت انى ان سلكت فيه مسلك البسط والاطناب احتجت في ذلك الى تصنيف كتب لا كتاب ابين فيها قواعدنا وما اشكل من كلام الاصحاب واستوعب مسائل الاصول وادلتها في المعقول والمنقول في سائر الابواب مع كوني قد التزمت فيما مضى ترك التصنيف و سد هذا الباب فاقتصرت على شيء من البسط في الكلام بعبارة واضحة غير نائية عن الافهام ولولا وجود بعض الاعذار لبلغت جهدي في رد ايراد وابطال اعتراض وبيان قواعد وكشف الخمار عن جمال عقيدة اهل السنة التي هي احمل العقائد ومحاسن معاني ما اشكل على السائل وامامه من الفاظ حجة الاسلام

ابي حامد وسائر كلامه المشتمل على بداعة المعاني وملاحة الترتيب و عجائب الامثلة و غرائب الفوائد التي من كشفت له العناية عن جمالها فنظر بعين التوفيق محاسنها السنية سلبت عقله وهام في هواها وصار من عصابتها السنية وفي هذا المعنى المذكور انشد واقول *

لنا سنة حسنا سنى جمالها * على غير سني مصون مخدر
فان كشفت ربع العناية خدرها * فابصرها من لم لها قط يبصر
سبت عقله الزاكي بزاهي جمالها * فهام بها من كان عنها ينفر
وجا منهجا من نورها ناهجا له * عصابتها تعلو وتزهو وتفخر
ابو حامد منهم وكم من ملاحة * لها حجة الاسلام عنها تخبر
امام الهدى بحر العلوم وكاشف * لاستار اسرار العلوم المفور
فكم من ستور كاشفا عن محاسن * فلاح لنا ذاك الجمال المستر
اتت نحوه حور المعاني لتجتلى * فكم در الفاظ على تلك ينثر
فاضحت مليحات المعاني ضواحكا * كما دمليح عن مليح تعبر
ومن كان قد باهى به سيد الورى * لموسى وعيسى فهو نعم المعبر
ونعم طريق سارها عن بصيرة * ونور وتوفيق بها هو اخبر
اعندكم حبر كهذا فقيل لا * وناهيك ذا مجدا على الدهر مفخر
عن المصطفى صلى عليه الهنا * بذا الشاذلي بحر الحقائق مخبر
مناما راه عنه بروية عاليا * لنا كابر عن كابر هو اكبر
يحق لنا ان قد سلكنا طريقة * بها سار برضاها النذير المبشر
لها المصطفى مستحسن ومعاقب * لمنكرها جلدا مدى الدهر نشكر
بذا صح اسنادي عن ابن حرازم * فقيه بلاد العرب اذ كان ينكر

قلت قد اوضحت ما اشرت اليه في هذين البيتين الاخرين في كتاب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد في فصل سلوك الطريقة والجمع بين الشريعة والحقيقة ومختصر ذلك ان الشيخ الامام ابا الحسن بن حرزهم بكسر الحاء المهملة وسكون الراء و بعدها زاي المشهور بابن حرازم رضي الله عنه راى ليلة جمعة في المنام كانه داخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه واذا بالنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر

رضي الله عنهما جلوس في مكان من الجامع والنور على ذلك المكان ساطع وكان قد بالغ في الانكار على كتاب الاحياء وامر بجمع نسخه وعزم على احراقها يوم الجمعة المذكور لكونه بزعمه خلاف السنة واذا بالامام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه قائم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا خصمي فان كان الامر كما زعم تبت الى الله تعالى وان كان شيئا تستحسنه يا رسول الله حصل لي من بركتك فخذ لي حقي من خصمي ثم جثى على ركبتيه وصار يزحف عليهما الى ان وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم فناوله كتاب الاحياء وقال انظر فيه يا رسول الله فنظر فيه صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة الى اخره ثم قال والله ان هذا شيء حسن ثم ناوله ابا بكر فنظر فيه كذلك ثم قال نعم والذي بعثك بالحق يا رسول الله انه لحسن ثم ناوله عمر فنظر فيه كذلك ثم قال كما قال ابو بكر فامر صلى الله عليه وسلم بتجريد المنكر المذكور وضربه حد المفتري فجرد وضرب ثم شفع فيه ابو بكر رضي الله عنه بعد خمسة اسواط وقال يا رسول الله انما فعل هذا اجتهادا في سنتك وتعظيما لها فغفر له ابو حامد عند ذلك فلما استيقظ من منامه واصبح اعلم اصحابه بما جرى له ومكث خمسة وعشرين يوما وجعاً من ذلك الضرب ثم راى النبي صلى الله عليه وسلم مسح بيده الكريمة المباركة عليه فشفي قلبه وقالبه ثم نظر في الاحياء ففهمه فهما خلاف الفهم الاول ثم فتح عليه ونال من المعرفة بالله والعلم الباطن والفضل العظيم ما نال برحمة الله الكريم قلت فهذا مختصر ما رويناه بالاسانيد الصحيحة عن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وعن بعض ذرية الشيخ الكبير العارف بالله ابن حرزهم المذكور رضي الله عنه ما هو عندهم معلوم ومستفيض مشهور وفي سيرة جده مذكور محقق مسطور اخبرني بهذا المذكور الراوي المذكور من ذرية الشيخ المذكور محرما خاشعا جاثيا على ركبتيه في الحرم الشريف زاده الله شرفا قال الشيخ الامام ابو الحسن الشاذلي ولقد مات يوم مات واثر السياط ظاهر على جسمه اخبرني بذلك الشيخ الجليل العارف بالله الفضيل الامام شهاب الدين

ابن الملقن الشاذلي عن الشيخ الكبيـــر العارف بالله ياقوت الشاذلي عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله قدوة السالكين بحر المعارف ومعدن النور القدسي ابي العباس المرسي عن شيخه ابي الحسن الشاذلي المذكور معدن العلوم والاسرار والنور شيخ الشيوخ العارفين رضي الله عنهم اجمعين والى هولاء الشيوخ الاربعة اشرت بقولي فيمـــا تقدم رواه ولي عن ولي لنا وعن ولي رواه ذاك عن رابع ولي وهانا اشرع فيما ذكرت من الجواب والله الموفق للصواب فاما قول السائل اولا في نفي الثاني عن الله تعالى في قوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله هل هو مترتب على معـــرفة الله تعالى او معرفة اللـــه تعالى مترتبة عليه فكان ينبغي ان يقول نفي اله غير الله لمطابقة الاية التي ذكر فانها نافية لكل اله سواه عز وجل وليس فيها لتعلق ذكر الثاني مدخل وان يقول ام معـــرفة الله بام عوضا عن او واما ما ذكره من ان الطريق الى معرفة الله تعالى السمع عنـــدنا فليس بصحيح بل الطريق اليها عندنا وعندهم النظر لكن عندنا يجب النظر فيها بالسمع وعندهم بالعقل فالسمع عندنا طريق الى معرفة وجوب النظر الموصل الى المعرفة لا الى المعـــرفة نفسها كما زعم لان الامر بها موجب للنظـــر المعرف وقد يتخلف النظر بتخلف امتثال الامر فتتخلف المعـــرفة لتخلف المعرف ولا يلزم من وجوده وجودها اعني لا يلـــزم من وجود الامر الذي هو السمع وجود المامور به الذي هو المعرفة ودليلنا على ان الموجب للنظر فيها هو السمع دون العقل النقل والعقل اما وجوب ذلك بالسمـــع فيدل عليه النقل واما عدم وجوبه بالعقل فيـــدل عليه العقل والنقل اما الاول وهو قولنا ان الموجب للنظر فيها هو السمع فقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض ونحو ذلك من الايات الكريمات وكذلك الاجماع كما سياتي كلام امام الحرمين في ذلك في الفصل الرابع ان شاء الله تعالى واما الثاني وهو عدم وجوبه بالعقل فسياتي بيانه هادما لجميع ما بنوا عليه مذهبهم الفاسد من التحسين و التقبيح العقلي في جميـــع العقائد واما جواب السوال عن اي من نفي الثـــاني ووجود المعـــرفة مترتب على الاخر فلنقدم على ذكره بيان الطريق الموصلـــة الى المعرفة

فبذلك يتضح ان شاء الله بيان الطـــريق الى معرفة الصـــانع جل وعلا اعلم ان الطريق الى معرفته تبارك وتعالى هي النظر في مصنوعاته في الملكوت العليا والسفلى وما اشتملت عليه من الاتقان والانتظام والحكم والاحكام وغير ذلك مما يشهد بوجود الصانع وجلاله وعظمته وكماله تعالى في ذاته وصفـــاته قال قدوتنا وسيـــدنا الامام حجـــة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه واولى ما يستضـــاء به من الانوار و يسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس بعد بيان الله بيان وقد قال الله تعالى الم يجعل الارض مهادا والجـــبال اوتادا وخلقنـــاكم ازواجا الى قوله تعالى الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحـــر بما ينفـــع الناس الى قوله تعالى لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلـــق الله سبع سمـــوات طباقا الى قوله تعالى ونخـــرجكم اخراجا وقال تعالى افرأيتم ما تمنون الى قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين قال وليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الايات وادار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وتدبر فطرة الحيوان والنبـــات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت التسخير ومصرفة بمقتضى تدبير ولذلك قال الله تعالى في الله شك فاطر السموات والارض وقال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله انتهى مختصـــرا وسياتي ايضا بيان حكم النظر في افادة العلم ووجوبه في معرفة الله سبحانه في الفصل الرابع ان شاء الله تعالى قلت واذا تامل الناظر في الوجود واحواله المختلفـــة من الصنعة المتقنة المؤلفة البديعة المحكمـــة العجيبة المنتظمة وما فيه من تغير الاحوال وتقلـــب الايام والليال شاهد جميعـــه نطقا وشاهدا بلسان الحال بتصـــديق قول الحق الملك الديـــان كل يوم هو في شان ومناسبة اسمائه الحسنى تبارك وتعالى اذ من جملتهـــا القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت المقـــدم الموخر وقوله

عز وجل ان مع العسر يسرا وتاكيده ذلک باعادة اللفظ ثانيا لتاكد وقوعه لا محالة وتحقيق العلم بنفوذ حكم القضاء السابق المطابق للحكمة البالغة بذلک واستمرار هذه الحالة حتى علم ذلک بالاستقراء وانشد فيه الشعراء من ذلک قول بعضهم *

اذا ما رماك الدهر يوما بنكبة * فهيئ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان مقادير الزمان عجيبة * فيوما نرى يسرا ويوما نرى عسرا

وقول اخر

دع المقادير تجري في اعنتها * ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين غمضة عين و انتباهتها * يقلب الدهر من حال الى حال

وقول اخر

ولما وقفنا للسلام تبادرت * دموع الى ان كدت بالدمع اغرق
فقلت لعيني هل مع الوصل عبرة * فقالت السنا بعده نتفرق

قلت ومن هذا ما سمعت من بعض شيوخنا قدس الله ارواحهم يحكي انه مر انسان في الازمان على راعي غنم في بعض البراري وهو طرب يغني والارض مجدبة والناس في ضيق وحزن فتعجب منه ثم غاب ورجع فوجد تلك الارض مخصبة والناس في سعة وفرح وهو يبكي فازداد عجبا منه ثم ساله عن فرحه وعن حزن الناس وحزنه وقت فرحهم فقال اما فرحي فيما مضى فكان استبشارا بهذا الخصب الذي نرى واما حزني الان فلتوقع الجدب فيما ياتي من الزمان قلت ومن هذا وامثاله ما يطول ذكره من الشواهد والبرهان على وحدانية اله ليس له ثان ومطابقة ما قدمنا من تصديق قوله تعالى كل يوم هو في شان وكذلک يشهد على وحدانية الاله المعبود وعظيم ما اتصف به من القدرة والعلم والفضل والجود وجود الوجود على اكمل نظام واحسنه واحكمه واتقنه والى شيء من الشواهد اشرت حيث قلت في بعض القصائد *

له كل ذرات الوجود شواهد * على انه الباري الاله المصور

دجى الارض والسبع السموات شادها * واتقنهـا للعالميـن لينظـروا
وابدع حسن الصنع في ملكوتها * وفي ملكوت الارض كي يتفكـروا
واوتدها بالراسيـات فلـم تمد * وشقـق انهارا بهـا تتفجـر
واخرج مرعاها وبث دوابهـا * وللكل ياتي منـه رزق مقـدر
من الحب ثم الاب والعشب والكلا * ونخـل واعنـاب فواكه مثمر
فاضحت بحسن الزهر تزهو رياضها * وفي حلل نسج الربيع تتبختـر
وزان سماها بالمصابيح اصبحت * وامست تباهي الحسن تزهو وتزهر
تراها اذا جن الدجا قد تقلدت * قلائد دري لـدر تحقـر
فيا ناظرا زهر البساتيـن دونها * اظنك اعمى ليس للحسن تبصر

قلت واما ما انكره بعض الناس على الامام حجة الاسلام رضي الله عنه ونسبه اليه من الكفر وزعمه انه حصر القـدرة في قوله رضي الله عنه ليس في الامكان ابدع من هذا الوجود فقد اجبت عنه لما ارسل اليّ بعض الفقهاء الطاعنين فيه يسأل عن الجواب في ذلك في معرض التعريض بالانكار عليه والاشعار بالكفر الذي نسبه اليه فذكرت في الجواب ما يقتضي الانكار على المنكر عليه وقلت التكفير على المكفر له بما نسبه اليه وها انا اشير الى ما ذكرته بتقرير قدرته وذلك ان كمال الصنعـة يدلّ على كمال الصانع والنقص على النقص - فيلزم على قول المنكر ان يكون صنعة هذا الوجود ناقصة بالنسبـة الى صنعة اكمل منها وذلك يستلزم نسبة النقص الى الصانع ونسبة النقص الى الصـانع تعالى هي عين الكفر - واقول ايضا الصنعة صادرة عن صفات الصانع ولا اكمـل من صفاته تعالى فلا اكمل من صنعته اذ صفاته تعالى في نهاية الكمـال والجـلال وصَنْعَتُهُ في غاية الكمال والجمال - واقول ايضا هذا الوجود الدنيوي منه والاخروي والعلوي والسفلي وما اشتمل عليه من انواع الحكم البالغـة الباهرة والمحـاسن الباطنـة والظـاهرة ابدع كل بديع ووجود ابدع من الابدع محال - فوجود ابدع من هذا الوجود محال - فان قال [يلزم من هذا حصر القدرة] من كابر في النـزاع قلت لا تعلـق للقدرة بالمحـال بالاجمـاع فان لـم ينـزع عن النـزاع واصرّ على المـكابرة زاعما ان

ذلك يؤدّي الى حصر القدرة - قلت له ما تقول هل يمكن في قدرة الله تعالى خلق اكمل من كل مخلوق فان قال لا فقد قال يعجز القادر على كل شيء جل وعلا وان قال نعم قلت فهل يمكن ان يخلق اكمل من اكمل كل مخلوق في جميع الاكوان والافاق فان قال نعم فقد جعل اكمل من الاكمل وهو باطل بالاتفاق وان قال لا فقد حصر القدرة على قياسه وكفر في ذلك نفسه بنفسه وظهر بطلان ما الزمه من التكفير بزعمه لحجة الاسلام وانقلاب عليه ما وجهه اليه في ذلك الالزام - و هذا ما اقتصرت عليه من الجواب عن قول الامام ابي حامد علم الاعلام والله سبحانه وتعالى الخبير العلام وكل من له بصيرة يعلم ان في هذا العالم الذي هو عالم الملك وعالم الحكمة وعالم الخلق وعالم الشهادة من الحكم التي هي من المحاسن الباطنة الفائقة على المحاسن الظاهرة، ما لا تهتدي العقول الا الى اليسير منه مما اشتملت عليه هذه الدار من خير وشر ونفع وضر وصفو وكدر ومليح وقبيح وسقم وصحيح وكريم وشحيح وعالم وجاهل ومجنون وعاقل وناقص وكامل وفقير وغني وضعيف وقوي وشريف ودني وجماد وحيوان وانس وجان وملك وشيطان وطيور وسباع وبهائم وسائر الاجناس والانواع مما ليس للعقل في حصره اتساع مما اشتمل عليه الحيوان والنبات والارض والسموات وانقسام ذلك الى ذكور واناث وغير ذلك من الصفات - وما اشتملت عليه العقاقير من الادوية النافعة والحسرات من السموم الناقعة وما في الجواهر من الخواص التي هي للمضرّات دافعة وانقسام الخلق الى صامت وناطق ومخالف وموافق ومسهل وعائق واعمى وبصير وطويل وقصير ومظلم ومنير واصمّ وسامع وجامد ومائع وعاص وطائع ولين وخشن وعطر ومنتن وبليد وفطن وحزن وسرور وتيقظ وغرور وظل وحرور واختلاف اللغات والالوان واختصاص حسن الانسان بالفصاحة والبيان والنبوة والقران والى خلق حلو وحامض وواضح وغامض وقابل ورافض ومالح وعذب ويابس ورطب وخصب وجدب وبارد وحارّ ومتحرك وقارّ وفخر وعار وعافية وبلاء ورخص

وغلاء وداء ودواء وانقسام الخلق ايضا الى اخيـــار واشرار وابرار وفجـــار ومومنيـــن وكفار ومصيرهم الى موت وحساب وثواب وعقاب ونعيـــم وعذاب - والجنة دار الفضل والنار دار العـــدل على مقتضى القضاء السابق الذي هو الاصل بحكمة الحكيم العليـــم الجواد الكريم شديد العقاب الغفور الرحيم وغير ذلك مما لا يحصى مما اشتمل على بدائع الحكـــم المودعة في سائر اجزاء العالم المشتملة على المحاسن الباطنـــة المشاهدة بعين البصيرة لا عين البصر التي هي بالنسبة اليها حقيـــرة ومن ذلك محاسن الانسان البـاطنة احسن واكثر * قلت ولعلّ المفكر المذكور يتوهّم ان حسن هذا العالم ان يكون كله مستحسنا بعين البصـــر بان يكون جميعه الوانا حسنة مختلفـــة ونعيما دائما وفنونها مؤتلفة دائمة الصفـــاء والسرور خلية عن كدر الاحزان والسرور كاملـــة الراحة والزين سالمة من التعب والشين خلية عن الصور القبيحة بعين البصر وحقارة الحشـــرات منزهة عن الهموم والسموم وسائر المضرّات جامعة لجميع الحظوظ المطلـــوبات التي يميل اليها الراغبون وغير ذلك من صفات الجنـــة التي قال الله تعالى في مدحها وخطاب اهلها في كتـــابه المكنون [وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون] ولم يهتد الى معـــرفة المحاسن الباطنة من لطافة المعاني وغرابة الحكم البالغة ومن ذلك بعيـــنه ان شين الدنيا سبب لزين الاخرة وبعض الدنيا وتعبهـــا وكدرها زيادة في كمال الجنـــة ونعيمها وسرورها بل نار الآخرة وعذابها وهو انها زيادة في نعيم الجنـــة وعزها ومعرفة قدرها وشرفها وعلى الجملـــة لولا البلاء ما عرف قدر العافية ولولا العذاب ما عرف قدر النعيم ولولا النار ما عرف قدر الجنـــة قلت ولما وضعت هذا الكلام خطر لي انشاء نظم ابيات لم يسبق اليها النظام فما استتم هذا الكلام حتى حال بفكري ابيات في هذا المعنى المذكور سبقني اليها الشيخ العارف بالله العقبـــه الامام ابو سليمن داود الشاذلي المشهور فاكتفيت بها لكونها وافية بهذا المعنى الذي انا له قاصد حيث قال رضي الله عنه في بعض القصائد *

ايا نفس للمعنى الاجل تطلبي * و كفي عن الدار التي قد تقضت

فكم ابعدت الفا وكم كدرت صفا * وكم جددت من ترحة بعد فرحة
كذا وضعت كيما تعدي الى العلا * فتكديرها من سر لطف وحكمة
فلو جعلت صفوا شغلت بحبها * ولم يك فرق بين دنيـــا وجنة
لعمرك ما الدنيا بدار اخي حجى * فيلهـــو بهـــا عن دار فوز وعزة
عن الموطن الاسنا عن القرب واللقا * عن العيش كل العيش عند الاحبة
فوالله لولا ظلمة الذنب لم يطب * لك العيش يومـــا دون ميّ وعزة

قلت وقد ابعدنا في الخروج عن المقصود وها نحن الى ما كنا بصدده من الاستدلال نعود * قال الامام حجة الاسلام ابو حامد رضي الله عنه بعـــد ما ذكر ما في عجائب خلق الله في الارض والسمـــوات وبدائع فطرة الحيوان والنبات وغير ذلك مما اشتمل عليه الصنع المتقن العجيب والترتيب المحكم الغريب - فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظـــار نقول من بديهة العقول ان الحادث لا يستغنـــي في حدوثه عن سبب يحدثه - والعالم حادث - فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب ثم تكلم في ذلك السبب لما يطول ذكره من المباحث العقلية مما سياتي ذكره ان شاء الله تعالى في الاصل الرابع من شرح البيت الاول من قصيدتي المنظومة في عقيدة اهل السنة - ثم قال في آخر ذلك فيحصل ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحـــدث من المدركات بالضرورة وقال غيره من ائمتنا ايضا في البرهان على وجود واجب الوجود سبحـــانه وتعالى لا شك في وجود حادث وكل حادث ممكن والا لم يكن موجودا تارة ومعدوما اخرى وكل ممكـــن فله سبب وذلك لابد وان يكون واجبا او منتهيـــا اليه لاستحـــالة الدور والتسلسل وقلت واخصر من هذا ان نقول العالم متغيـــر وكل متغير حادث فالعالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث غير محدث والا لزم ايجاد الشيء نفسه او الدور والتسلسل والكل محال - وتقرير ذلك ياتي ان شاء الله تعالى في شرح البيت الاول * واما قول المعتزلة ان المعرفة واجبة بالعقل فمدفوع لوجوه اقتصر منها هنا على ذكر ثلاثـــة - الاول ان ذلك بناء منهم

على ثبوت الحكم بالتحسين والتقبيح العقليين وهو باطل كما سياتي مستدلا على بطلانه بثلاثة عشر دليلا ما بين عقلي ونقلي - الثاني ان في قوله تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] نفيا للوجوب قبل الشرع لنفي لازمه وهو العذاب الثالث ان وجوب معرفة الله تعالى وطاعته لو كان بالعقل لم يخل اما ان يكون لغير فائدة وغرض وهو محال في العقل لانه عبث او لفائدة وغرض للمعبود وهو محال ايضا لتقدسه عن الاغراض والفوائد او للعبد وهو محال ايضا لان الحال ليس فيه الا الكد والتعب بفعل الطاعات وترك الشهوات والمآل لا يستقل العقل بالاهتداء الى معرفة ما فيه من الثواب والعقاب فدلّ على ان لا موجب الا الشرع اذا علم هذا * فاعلم انه يلزم من معرفة الله تعالى معرفة كونه واحدا لا شريك له لاستحالة وجود شريك له تعالى عقلا وشرعا اما الشرع فقوله تعالى [قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا] وقوله سبحانه [لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا] وقوله تعالى [وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض] * واما العقل فلانه لا يعرف الله سبحانه الا بصفات الكمال المطلق والا لكان ناقصا والنقص محال عليه تعالى ومن جملة الكمال كونه واحدا متوحدا بالملك منفردا بتدبير المملكة غير مشارك في الخلق والامر لان الشركة يلزم منها المحال او النقص المؤدّي اليه لانا اذا فرضنا الهين وفرضنا ارادة احدهما شيئا وارادة الآخر نقيضه كايجاد شيء وعدم ايجاده او تحريكه وتسكينه فاما ان يحصل مرادهما فيجتمع النقيضان او لا يحصل مراد واحد منهما فيرتفعان والكل محال او يحصل مراد احدهما دون الآخر فيلزم عجز من لم يحصل مراده فلا يكون الها لنقصه فلزم ان لا يكون الاله الا واحدا * فان قيل يريدان الاصلح قلنا هذا مبنيّ على القول بالتحسين والتقبيح العقليّ وهو باطل كما سياتي . قلت وناهيك ببطلان مذهب يلزم منه على هذا وجود الهين وهذا غاية البطلان والفساد والضلال فعلم من هذا التقرير ان معرفة انتفاء الشركة في الالهية مترتّبة على معرفة الاله سبحانه * قلت وهذه المعرفة المذكورة هي المعرفة العامة المشتركة التي هي العلم في

لسان علماء الظاهر اذ عندهم كل علم للخلق معرفة وكل معرفة علم وكل عالم منهم عارف وكل عارف عالم على ما قاله بعض العلماء - وفرق بعضهم بينهما فان العلم لا يستدعى سبق جهل بخلاف المعرفة ولهذا لا يقال الله تعالى عارف ويقال عالم - وبان العلم بنسبة شيء الى آخر ولهذا يتعدى علمت لى مفعولين بخلاف عرفت فانها وضعت لمفردات وليست المعرفة المخصوصة المختص بها الخواص ارباب المشاهدة فانها عندهم اوصاف عزيزة في عبد اصطفاه الحق سبحانه * وتكلموا فيها بما ذكره يطول ويخرجنا عما نحن له قاصدون * وها انا اقتصر هنا على ذكر قول ثلاثة منهم * قال الشيخ الكبير العارف بالله ابو العباس الصياد اليمني رضي الله عنه - المعرفة وجود تعظيم في القلب يمنع الشخص عن الانقياد لغير معروفه - وقال بعضهم المعرفة اطلاع العبد على الاسرار بمواصلة الانوار - وقال بعضهم المعرفة ايصال بصائر التعريف بقين العلم دوام المناجاة مع الله بالقلب وحصل من الله التعريف على دوام الاوقات باختلاف الحالات فعند ذلك نظهر انوار المعرفة فاذا تجرد العلم وانضحت البراهين وانتفت الشكوك بالكلية وحصل ثلج الفواد وبرد اليقين لا يسمى العبد الي هذه الطريقة عارفا حتى يحصل بينه وبين الله تعالى احوال زائدة على العلم من فنون الكسوفات وصنوف التعريفات وتحديث الحق مع العبد من غير سماع نطق بالجهر والعارف تبدو في قلبه في ابتداء التعريف لوائح ثم لوامع ثم كسوفات وبصائر انوار وطوالع فالعارف كانه يخاطبه الحق سبحانه بكل شيء ويلقي اليه كل خطاب ويعوده في كل وقت بنوع تعريف ومكاشفة وفي كل حال بسر * ثم من صفة العارف انه لايخلو من احوال معلومات منها المحبة ومنها التعظيم والهيبة ومنها الانس والقربة ومنها الحياء والعيبة واذا تحقق العبد في ابتداء طلبته بدوام المراقبة و وصل الى المساهدة والمراقبة علمه بان الله سبحانه يراه ويعلمه على دوام الاوقات - ثم انوار المساهدة تلوح في القلب والمشاهدة غلبة نور الحق على القلب وانتفاء احساسك بك وذكرك لك وخبرك عنك فتكون مختطفا عن جملتك باستيلائه عليك

فكل ما زاد شهودك زادت اجنبيّتك عنك وعن الكون بالجملـــة واذا طلعت شموس العرفان استهلكِ في ضيائها نجوم العلـــوم كما قيل *

ولما استنار الصبح ادرج ضوءه * باسفاره انوار ضوء الكـــواكب

واما ما ذكرت ايها السائل من شبه المعتزلة الثلاث التي ذكرتها في الاوجه الثلاثة في الاعتراض على قولنا ان المعرفة تجب بالسمع الموجب دون العقل عندنا للنظر الذي هو طريق الى معرفتهـــا عندنا وعندكم اجماعا * فالشبهة الاولى وهو قولك احدها ان السمع مفتقر الى معرفة الله تعالى ومعرفة الله تعالى مفتقرة الى السمع وهو دورٌ لانا لا نعرف السمع حتى نعرف الله تعالى ولا نعرف الله تعالى حتى نعرف السمـــع فلا يحصلان ولا واحد منهما - هي عين ما حكاه اصحابنا عن المعتزلة من قولهم ان الوجوب لوكان من الشرع لزم افحام الانبياء عليهـــم السلام فان المكلف لا ينظر ما لم يعلم الوجوب ولا يعلمه ما لم ينظر - قلت وقد الزم اصحابنا مذهبهم الافحام ايضا فقالوا في جوابهم ولو وجب عقلا لافحم ايضا لان وجوب النظـــر غير ضروري اذ هو متوقف على مقدمات مفتقرة الى انظار دقيقة - قلت لان المكلف على هذا يقول لا انظر حتى اعرف وجوب النظر ولا اعرف وجوب النظر حتى انظر - فيلزم في هذا من الدور في طريق المعرفة على مذهبهم على ما ذكره السائل من الدّور في طريقها على مذهبنا قلت هكذا صرح غير واحد من ائمتنا المحققيـــن وقال بعضهم العقل لا يفحم بل هو دورٌ لانه يصدق عليه قولنا لو وجب عقلا لما وجب عقلا معبر عن هذا بالافحام انتهى - قلت ولزوم الدور كافٍ فيمـــا رمْنا من منع الوجوب عقلا واذا لزم مذهبهـــم من الدور ما لزم مذهبنا فما اجابوا به عن ذلك به اجبنا وما لهم عن ذلك جواب ولا مخرج عن اللازم المذكور وها نحن على سبيل التبرع نجيب عن ذلك ونخرج عن المحـــذور وفي هذا المعنى انشد واقول *

اذا في الوغى اوردتمونا فاننا * سنوردكم منها الذي منه يحذر

اذا ضمنا يوما من الدهر معرك * صدرنا وانتم ما لكم عنه مصدر

فاقول و بالله التوفيق الجواب عن الشبهة المـــذكورة هو ما اشار اليه الامام

حجة الاسلام ابو حامد رضي الله عنـــه في قوله الذي ذكره السائل في
هذا السوال - وذكر انهم لم يفهموه وانهم سالوا أعلـــم اهل زمانهم عن معناه
فقال ما فهمنا غرضه في هذا الكلام مع انه القائل لكلامه ومعترف بفضله *
وذكر السائل انه ضجّع له في الردّ على المعتزلة (هكذا قال ضجّع بتشديد
الجيم بعد الضاد المعجمة) وفسر ذلك بانه تكلم بكلام لا يفهم وهذا التفسير
الذي ذكره لا يشهد له من جهة اللغة وَضْع ولا من جهة الاصطلاح سَمْع ولكن
لهذه اللفظة معنى صحيح وان لم يذهب فهمه اليه وهي كلمة حق جرت
على لسانه ليست له بل عليه اي اقعدهم بالردّ عليهم وصيّرهم مضطجعين
غير قائمين بحجة واني تقوم حجة للمبتدعين - قال ابو حامد المذكور الطبع
قائل والعقل باعث والمعجـــز ممكن والرسول مبلغ - قلت وها انا انبّه على
معنى هذا الكلام بعبارة واضحة للافهام اجمع فيها بين تفهيمهم ما لم يفهموه
من المعنى ودفع الالزام الذي الزموه لنا * اعلم ان كلامه هذا رضي الله عنه
في غاية الحسن والمناسبة لما نحن بصدده من مسئلة المعرفة اللازم فيها الافحام
للزوم الدور المذكور وذلك انه رضي الله عنه مثل المكلف القائل للرسول
المستدعي النظر في المعجز المتحدى به الشاهد بصدق رسالته المشتملة
على معرفة الله تعالى ومعرفة شرعه الذي يدعو به عباده لايلزمني النظر في
معجزك حتى اعلم صدقك ولا اعلم صدقك حتى انظـــر في معجزك
بمن قال له منذر ناصح مشفق تحذيراً له وراءك افعى فاحذر منها ان تلدغك
او سبـــع ضار فاحذر منـــه ان يفترسك وان التفت وراءك ونظرت عرفت
صدقي فقال لا التفت ورائي وانظر ما لم يثبت صدقك ولا يثبت صدقك
ما لم التفت وانظر فهل قائل هذا القول الا احمق حيث عرض نفسه
للهلاك وعظيم الخطر بترك نظر ليس عليه فيه كلفة ولا ضرر ولو كان له عقل
لبعثه على النظر في ذلك وقال في نفسه يمكن ان يكون هذا المنذر صادقا
فان قبلت نصحه ونظـــرت فيما قال واندر وحذر واحتـــرزت من العدو
الذي ذكر نجوت وان لم اقبل نصحه وتقاعدت عن الاحتـــراز فلم انظر
نزل بي الهلاك من حيث لا اشعر وان كان كاذبا فمـــا يضرني النظـــر
والاحتراز في امر ممكـــن هو على غائب ولا يورثني ذلك شينا بل زيداً

ان الاحتراز والنظر في الامور وما تؤول اليـــه من العواقب من شيمة العقلاء اولي الحزم والعزم والحـــذر من الغدر والوقوع في المعاطب وقد قال في ذم التغرير القائل الخبير * وما المغرر محمود وان سلم * قلت واما قولي في بعض القصائد *

فما فاز بالمجد الاثيل من الورى * سوى من لدى الاهوال بالنفس يسمح
فاما جبان عـــزت النفس عنده * فذاك الذي بالذل يمسي ويصبح

و قولي في اخرى

فمجد العلا ما ناله غير ماجد * يخاطر بالروح الخطير فيظفر

فان هذا تغرير بالنفوس في طاعة الملك القدوس وفيها النجاة وسعـــادة الابد والفوز العظيـــم بالنعيم المخلد وليس ذلك التغرير كذلك بل موقع في الهلاك - قلت فاذا فهم هذا المثل المـــذكور فليفهم ما نحن بصدده من كون العاقل يحترز من هذا المحذور لاحتمال صدق المخبر والوقوع في الهلاك والثبور - فكذلك يقـــول الرسول صلى الله عليـــه وسلم وراءكم الموت وما بعده من الاهوال والشـــدائد والعقاب والوبال والعـــذاب الشديد الاليم وخلود الدهر في دار الجحيم ان لم تاخذوا حذركم وتحتـــرزوا مما انذرتكم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت اليها عرف صدقي واحترز ونجا - ومن لم يلتفت اليها لم يعرف صدقي ولم يحتـــرز من المحذور حتى ينزل به الهلاك والردى * قلت فقد علم من هذا التمثيل والايضاح انه لا يترك الاحتراز بالنظر في المعجز بسبب الدور من فيه فلاح فان الذي تحدّى به الرسول يمكن ان يكون معجزاً دالاً على صدقه فيما اخبرته اعني ممكنا في نفس الامر قبل ان ينظر فيه غير مقطوع بصدقه ولا كذبه فينبغي ان ينظر فيه لاحتمـــال الصدق المذكور خوفا من الوقوع بترك النظر في المحذور - فاذا نظر فيه حصل له العلم بكونه معجزا خارقا للعادة شاهدا بصدقه فبادر الى التصـــديق و نيل السعادة - فهذا معنى قول الامام حجة الاسلام المحقق المتقن والمعجز ممكن * واما قوله

والرسول مبلــغ فمعنـــاه ما عليه الا البلاغ وليس عليه ان يلزم المرسل اليهم الايمان بما ارسل به وقد قال الله تعالى [وما على الرسول الا البلاغ] المبين وقال سبحانه [وما انت عليهم بوكيل] وقال عز وجل [انما انت نذير] وغير ذلك مما يطول ذكره من قوله تعالى في محكم آلآيات الكريمات في هذا المعنى - وقد ضرب صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح مثلا لمن صدقه فنجا ومن كذبه فهلك وتردى * فقال صلى اللـه عليه وسلم مثل ما بعثني الله به كمثـــل رجل اتى قومه فقال اني رايت الجيش بعيني وانا النذير العريان فالنجـــاء - فاطاعه طائفـــة من قومه فادلجـــوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا - وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهـــم - فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثـــل من عصـــاني وكذب بما جئت به من الحـــق - اخرجاه في الصحيحين * قلت ولا ضرر على النذير اذا لم يقبل المنذر التحذير بل الضرر على من لم يقبل النصح والانذار - حتى نزل به الدمار - نسأل الله الكريم العفو والعافية والتوفيق وحسن الخاتمة لنا ولاحبابنا والمسلميـــن - امين * فهذا معنى ما اشار اليه في قوله والرسول مبلغ * واما قوله والعقل باعث فلانه هو الذي يفهم كلام المنذر المشتمل على الاعلام بنزول الهلاك ان لم يصدق ويقبل ويبعث صاحبه على الاحتراز مما حذر منه ويحكم بامكان وقوع ذلك في المستقبل * قلت وقد ذكر الله تعالى العقـــل في القرآن في معرض المدح لاهله في مواضع يطول عدها وهو جدير بالمدح الكامل اذ به عرف الحق سبحانه ومعرفتـــه تعالى اكمل الفضائل وبه ايضا مناط التكليف وزجر النفس عن الهوى الموقع لها في شقاوة الابد وحلول دار الجحيم والجذب لها الى الخوف المفضـــي بها الى سعادة الابد والفلاح المخلد لها في دار النعيم حيث يقول الله العظيـــم [فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى] وحيث يقول العلي الكبير [وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير] قلت ومما يدل ايضا على ان العقل سبب النجاة من المحـــذور -

انه لا يفكّر في عواقب الامور . ويخاف من تقلب الدهور - الا عاقل حذور - بالهموم مغمور - واما غير العاقل - فهو سال ساه لاه غافل - ولهذ قال القائل *

اذا قل عقل المرء قلت هموهه
ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد

وفي مدح العقل ايضا احسن القائل وصدق عدوٌ عاقلٌ خير من صديق احمق قلت وهذا معنى ما اشار اليه في قوله والعقل باعث * واما قوله والطبع قابل (فهو بالباء الموحدة قبل اللام ويصح ان يقال بالتاء المثناة من فوق) ومعناه ظاهر لما قد علم في النفس من الطباع الردية المشتملة على الاوصاف الذميمة المحتاجة في ازالتها الى الرياضات والمجاهدات الشديدة - حتى تتبدل بتوفيق الله سبحانه بالصفات الحميدة - والا فلا تزال يصاحبها الى الاهواء مائلة - حتى تمسي وهي له قاتلة - واما على الوجه الاول اعني بالباء الموحدة وهو الظاهر الذي هو له قاصد - حجة الاسلام ابوحامد - فمعناه انه اذا فهم العقل الانذار وجوز امكان وقوع الاخطار فان الطبع يقبل النصح ويستشعر الخوف فيستحث على الحذر من الوقوع في الضرر ثم الضرر الاعظم موجود في الجهل بالله تعالى ومخالفة حكمة المعظم في ترك الواجبات وارتكاب المنهيات - ومعرفة ذلك كلّه مستفادة من الشرع المعروف بالمشرع المدعى الرسالة الشاهدة على صدق دعواه معجزته المحتملة قبل النظر فيها للصدق المفضي ترك النظر فيه الى الضرر المستحثّ الطبع على الحذر الداعي الى النظر المؤدّي الى معرفة صدق المشرع المستلزم التصديق به المفضي الى السلامة من المحذور وسعادة الابد ودوام السرور في جوار المولى الكريم الغفور فهذا معنى ما اشار اليه الامام حجة الاسلام الفاضل رضي الله عنه في قوله والطبع قابل وفي كون الطبع قابلا للخير وتبديل الصفات الذميمات بالصفات الحميدات قلت هذه الابيات *

تعود فعال الخيـــر مع كل فاعل * بتبديل طبـــع للتبدل قابل
فنفس الفتى ان راضها مهرت بها * نجاة وعز واكتساب فضـــائل
وان لم يرضهـــا كلب مزبلـــة بها * هلاك وذل واكتســـاب رذائل
قلت واذا كان الطبع غير قابل بالمـــوحدة فلا شك انه قاتل بالمثناة من فوق كما ذكرت فيما تقدم والله اعلم * فهذا ما اقتصرت عليه من التنبيـــه على المقاصد المشتملة عليها الاربع الكلمات المذكورات في قول الامام ابي حامد رضي الله عنه التي ذكر السائل انه لم يفهمها عالم زمانهـــم الفاضل * ولعمري ان بسط الكلام فيها يستدعي تصنيف كتاب كامل - وفيمـــا ذكرنا من ذلك كفـــاية عن التوغل في ميـــدان بعيـــد الغاية - ولنعـــد على الفور الى ما كنا بصدده من ذكر الدور * قال بعض ائمتنـــا ليس في هذه المسئلة دور لان معجزات الانبياء عليهم السلام تبهر عقول الانام فمن رآها وسمع بها ولم يجب اليها ولا نظر فيها فهو مقصر لان ظهورها موجب للنظر والشرع ثابت بظهورها وان لم يثبت عنـــده والوجوب متـــوقف على ثبوت الشرع بالمعجزات لا على العلم بنبوته فكم من واجب يتوجه على المكلف وهو غير عالم به - انتهى معنى كلامه مختصرا * قلت وهذا نحو مما اشار اليه امام الحرمين رضي الله عنه في هذه المسئلة حيث قال شرط الوجوب عندنا ثبوت السمـــع الدالّ عليه مع تمكـــن المكلف من الوصول اليه - وقال ايضا مخاطبا للخصوم هذا الذي الزمتمونا في المنقول ينعكس عليكم في قضايات العقول فان الموصل الى العلم يوجب النظر في مجاري العبر عندكم ان العاقل يخطر بباله تجويز صانع يطلب منه معرفته وشكره على نعمه - ولو عرفه وشكـــره لنجا ورجا الثواب - ولو كفر واستكبر لتصدى لاستحقاق العقـــاب - فاذا تقابل عنده الجـــائزان - وتعارض لديه الاحتمالان - فالعاقل يقضي باختيار ما يتوقع فيه النعيم المقيـــم - واجتناب ما يخشى فيه العذاب الاليم - فكذلك المعجزة اذا ظهرت وتمكن العاقل من دركها كانت بمثابة جريان الخاطرين على زعم الخصم فاذا جريا فامكان النظر في اختيار احدهما كامكان النظر في المعجزة عند ظهورها - قال ويلزم الخصوم في مدارك العقول - عند الغفلة والذهول - ما الزمونا في مقتضى

الشرع المنقول - فان من ذهل عن هذه الخواطر - وغفل عن هذه الضمائر لا يكون عالما بوجوب النظر هذا ما اختصرته من كلامه غير ملتزم للفظه بل معنى مرامه - مع تقديم وتاخير مخالف لسلك نظامه * قلت وبعد هذا كله فاعلم ايها السائل ان من شرح الله صدره للاسلام وحبب اليه الايمان ووفقه لسلك طريق الهدى وترك طريق الردى لا يسلك في طلب معرفة الله عز وجل طريق اهل المراء والجدال حتى يقول لا انظر في المعجزة او في الادلّة السمعية حتى اعلم صدق صاحبها ولا اعلم صدقه حتى انظر فيها - ونحو ذلك من مدافعة الحق ودعاة من ليس بموفق واصطلاح - من ليس فيه صلاح - ولا لاح عليه فلاح - بل يبادر الى النظر فيها لاحتمال صدقها المترتب على التصديق به السعادة الكبرى وعلى التكذيب به الشقاوة العظمى - فاذا علم صدقها سارع الى التصديق بها والعلم النافع والعمل ولم يشتغل بعلم المغالطات والتشدق بالجدل كاشتغال الخالين عن الخوف والوجل الناسين لذكر الله عز وجل * فهذا كافٍ في دفع ما ذكرت من الشبهة الاولى في الوجه الاول وشاف فيما طلبت من فتق صميمها وقشر اديمها لمستبصر في طريق الهداية - موفق بتاييد العناية - لم تترو عروقه من منهل البدعة والغواية - فان ترويت من ذلك المنهل الوخم فاغسل يدك من صحة شاربه السقيم ووصوله الى منهل السنة العذب ذي النعيم وانشد على رؤس الملا متمثلا *

فدونك يا ماء العذيب تعرضت * مياه وخيمات عن الوصل صدت

اما ما ذكرت من الشبهة الثانية في الوجه الثاني بقولك انما يصح الاستدلال بكلام الله تعالى مهما كان عدلا حكيما لا يفعل القبيح ولا يريده فاما مع تجويزكم القبيح عليه وارادته بكل الكائنات من وجوه الفساد من كفر وظلم وسواه فما الثقة بكلامه الى آخره - فاعلم وما اظنك تعلم لما خالطك من الوخم فاعمى واصم انه تعالى لا ينسب اليه قبح ولا ظلم اذ لا يتصوران منه بدليل العقل و النقل اما العقل * فها انا اقدم طرفا منه كالتوطئة والتمهيد ثم اذكر بعد النقل منه طرفا ردأ له وردفا - فاقول وبالله التوفيق اما دلالة العقل على ذلك فلان الظالم هو المتصرف في ملك

غيره هذا قول جميع ائمة الهدى والاتباع - وعليه انعقد الاجماع - قبل ظهور الابتداع * قلت او في ملكه على وجه مخالف لحكم حاكم عليه يلزمه طاعته وليس الله تعالى متصرفا في ملك غيره ولا مخالفا لحكم من يلزمه طاعته اذ لا مالك سواه ينسب الملك اليه - ولا حاكم غيره يحكم عليه - بل هو المالك للعبيد - والحاكم بما يريد - له الخلق والامر والعزة والقهر والعظمة والكبرياء والقدرة والعلاء والعلم والحكمة والسلطان والسطوة - لا يجري في ملكه الا ما يشاء - ولا يوجد الا ما سبق به القضاء - يعطي ويمنع - ويضر وينفع - ويخفض ويرفع - ويجلب ويدفع - ويفرق ويجمع - كل نعمة منه فضل - وكل نقمة منه عدل - لايسأل عما يفعل وهم يسئلون - والقبح والحسن يطلقان على معان مختلفة - منها ان يوصف الشيء الملائم للطبع بالحسن وغير الملائم بالقبح ومنها ان يوصف الشيء الكامل بالحسن والناقص بالقبح - فهذان المعنيان عقليان بلا خلاف ولكن ليس المراد هنا وانما المراد ما يتعلق به في الاجل ثواب او عقاب فهذ الحكم فيه للشرع دون العقل لوجوه - الاول ما تقدم من قوله تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] - الثاني ان العقل لا مجال له في الاهتداء الى معرفة الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب - الثالث ان الفعل القبيح كالكذب مثلا قد يزول قبحه ويحسن عند اشتماله على مصلحة راجحة على مفسدته والاحكام البديهية ككون الكل اعظم من جزئه لا تزول بسبب اصلا - فقول المعتزلة ان بديهة العقل تحكم بالتحسين والتقبيح ليس بصحيح - الرابع ان افعال الخلق قد دلّ الدليل على وقوعها بقدرة الله تعالى وارادته وان المخلوق غير مستبد بالاختراع - قال ائمتنا رضي الله عنهم ومنهم الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي وهذا لفظه - وكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما تتحيّر فيه عقول ذوي الالباب - فكيف انفردت هي باختراعها دون ربّ الارباب - وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكساب هيهات هيهات ذلّت المخلوقات - وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات قلت والى صدور ذلك عن اختراع الاله الواحد - اشرت بقولي في بعض القصائد - في توحيد الرب الماجد - منتقلا من ذكر الغزل الى وصف الله عز وجل *

خليليّ ما نعمى ونعمان والحمى * وليلى وما ذكري للبنا ولبنان
دعاها فمقصودي سواها والما * اكني بها عن عالي الوصف والشان
اله تعالى عن ثنا (*sic*) وصف واصف * مجيد وفي جود رحيم ورحمان
تقدس في اسمائه وصفاته * وفي ذاته عن كل عيب ونقصان
عليم بكل الكائنات وخالق * لها باختراع منه من غير اعوان
فكن كون الاكوان من غير حاجة * الى فعل آلات وقول وازمان
له الحمد حقا وحده دون غيره * على ذلك قد دلّت قواطع برهان
ويكفي دليلا قولنا الحمد والثنا * لوصفين محمودين حسن واحسان
وليس كلا الوصفين الا لصانع * حكيم جواد واحد ما له ثان
فكل جميل او جمال فجوده * وصنعته عن حكمة ذات اتقان
وذلك كل الكائنات جمادها * ومائعها مع كل نام وحيوان
فلا عرض او جوهر غير خلقه * ولا جسم الا خلق خلاق اكوان
فما النحل ثم العنكبوت لتهتدي * الى صنعة من غير الهام رحمان
ولا فطنة في صنعة ثم حكمة * وعلم اتت الا بتعليم منان
ولا قدرة عند الورى او ارادة * سوى خلق سلطان علا كل سلطان
فحاشاه من وجدان ما لا يريده * على ملكه يعلو اذاً ملك شيطان
وافعاله فضل وعدل تصورا * بملك يراه ليس بالظالم الجاني
وليس بذا قبح كما ظن جاهل * نحا باعتزال نحو مذهب خذلان
ولكن فيه حكمة اي حكمة * فلا نقمة الا بها سرّ ديّان
ولا نعمة الا ومن عنده اتت * اليك وان جائتك من عند انسان
فيا رب وفقنا لشكر لنا به * مزيد من النعماء في نص قرآن
واكمل لنا دينا اليك مقربا * بتحقيق ايمان وايقان عرفان
وصل على زين الوجود محمد * امام الورى ما غردت ورق اغصان

قلت وسياتي ذكر مباحث عقلية ايضا بعد الادلّة النقلية ان شاء الله تعالى اعني ما وعدت به ان يكون ردفا والوعد ينبغي فيه الوفاء * فاما النقل فنصوص الكتاب والسنة ناطقة مع اجماع الامة قبل ظهور البدعة ان افعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وارادته والاستشهاد من ذلك بالقليل يخرجنا

الى حيز التطويل فليقتصر من ذلك على ما يحصل به الكفاية في الارشاد الى الايمان به والله ولي الهداية * فمن ذلك قوله تعالى [الله خالق كل شيء] وقوله سبحانه [والله خلقكم وما تعملون] وقوله تعالى [الا له الخلق والامر] وقوله سبحانه [الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير] وقوله تعالى [انا كل شيء خلقناه بقدر] وقوله سبحانه [من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم] وقوله تبارك وتعالى [اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم] وقوله جل جلاله [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة] وقوله سبحانه [وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه] وقوله عز من قائل [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون] وقوله تبارك وتعالى [فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون] وقوله تعالى [سنستدرجهم من حيث لا يعلمون] وقوله سبحانه [واضله الله على علم] وقوله عزوجل [ومن يضلل الله فماله من هاد] وقوله تبارك وتعالى [ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله] وقوله سبحانه [ولو شاء الله ما اشركوا] وقوله عز وجل [ولو شاء ربك ما فعلوه] وقوله تعالى [وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين] وقوله جل وعلا [ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا] وقوله سبحانه [ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها] وقوله تعالى [اتريدون ان تهدوا من اضل الله] وقوله عز وجل [ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها] وقوله تعالى [وكذلك زينا لكل امة عملهم] وقوله سبحانه [واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا] جاء في التفسير امرنا اي كثرنا * تقول امر بنو فلان بكسر الميم اذا كثروا - قلت ومن ذلك قول موسى عليه السلام لقد جئت شيئا امرا اي كبيرا بالباء الموحدة - وقول ابي سفيان لقد امر ابن ابي كبشة اي كبر وعظم * وقوله عزوجل حاكيا عن الخضر عليه السلام [لقيا غلاما فقتله] وفي الحديث الصحيح انه طبع يوم طبع كافرا وقوله تعالى حاكيا قول الكليم عليه الصلوة والتسليم [ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء] وقوله تبارك وتعالى حاكيا قول الخليل المكرم صلى الله عليه وسلم [تعذب

تعذب من تشاء وترحم من تشاء] وقوله سبحانه حاكيا قول شعيب عليه السلام
[قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيءٍ علما] وقوله
تعالى حاكيا قول نوح صلى الله عليه وسلم لقومه [ولا ينفعكم نصحي ان
اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون]
قلت وفي قوله هو ربكم اشارة الى ما ذكرت اولا من ان تصرف المالك
في ملكه ليس فيه ظلم اذ الرب في وضع اللغة المالك وهذا انما ظهر لي
عند وضع هذا الكلام اعني كون هذه الاشارة ظاهرة في التعليل * قلت
وكذلك قول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ان تعذبهم فانهم عبادك
فان الاشارة الى التعليل المذكور ايضا مفهومة من قوله فانهم عبادك
وقوله عز وجل مخبرا عن اولي الالباب ومعلما لنا الدعاء والاداب [ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب] قلت وهذه الاية الكريمة خاتمة ايات ثلاثين نسال الله الكريم
ان يختم لنا بها ولاحبابنا والمسلمين آمين * وهذا ما اقتصرت عليه من
الكتاب المبين مما خطر بالبال وحضر في الحال * واما الاحاديث
فاقتصر منها ايضا على ثلثين حديثا محذوفة الاسانيد - وطرق الروايات
منسوبة الى الكتب الستة التي هي الاصول لكتب الحديث والامهات
والمعتمد عليها في النقل والاستدلال في جميع الجهات وهي صحيحا
البخاري ومسلم وموطأ مالك وسنن ابي داود والترمذي والنسائي
رضي الله عنهم اجمعين * الحديث الاول روينا في صحيحي البخاري
ومسلم وسنن ابي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان
احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك
ثم يكون مضغة مثل ذلك - ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويومر
باربع كلمات يكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد - فوالذي لا اله غيره
ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها - وان احدكم ليعمل

بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها * الحديث الثاني روينا في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بيّن لنا ديننا كانّا خلقنا الآن فيما العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل - قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله * الحديث الثالث روينا في صحيح مسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة * الحديث الرابع روينا في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال صلى الله عيه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء * قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل التقدير فان ذلك لا اول له * الحديث الخامس روينا في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف في كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز - وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان * قال العلماء المراد بالقوة عزيمة النفس في امور الآخرة وما يتعلق بالدين من الاقدام في الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى وانواع البلاء واحتمال المشاق في الطاعات والنشاط في العبادات من الاذكار والصوم والصلوات وغير ذلك من المهمات * الحديث السادس روينا في صحيح مسلم وسنن ابي داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال صلى الله عليه وسلم اولا تدرين ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه اهلا ولهذه اهلا * الحديث السابع

روينا في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل صلى الله عليه وسلم عن اولاد المشركين فقال الله اعلم اذ خلقهم بما كانوا عاملين * قلت وسياتي في آخر الكتاب ذكر خلاف فيهم من اهل السنة والصحيح انهم في الجنة لحديث صحيح ياتي ذكره هنالك * الحديث الثامن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم حاجّ آدم موسى فقال انت الذي اخرجت الناس من الجنّة بذنبك واشقيتهم فقال آدم لموسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه اتلومني على امر كتبه الله تعالى قبل ان يخلقني او قدره علي قبل ان يخلقني قال صلى الله عليه وسلم فحجّ ادم موسى اخرجه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والنسائي * قلت وانما حجّه لانه لامه على ذنبه بعد التوبة منه والذنب بعد التوبة غير مواخذ به بفضل الله تعالى واما قبل التوبة فالقدر لا يقوم به حجة للمذنبين لانهم مواخذون بعدل الله تعالى * الحديث التاسع روينا في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال كان عذابا يبعثه الله عز وجل على من كان قبلكم فجعله رحمة للمؤمنين ما من عبد يكون في بلد يكون فيه الطاعون فيمكث فيه ولا يخرج صابرا محتسباً يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد * الحديث العاشر روينا في صحيح البخاري ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء * الحديث الحادي عشر روينا في صحيح البخاري ايضا عن سهل ابن سعد رضي الله عنه انه صلى الله عليه و سلم قال ان العبد ليعمل عمل اهل النار وهو من اهل الجنة و يعمل عمل اهل الجنة وهو من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم * الحديث الثاني عشر روينا في صحيح البخاري ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم جفّ القلم بما انت لاق * الحديث الثالث عشر روينا في صحيح البخاري ايضا عن عمران ابن الحصين رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم كل يعمل لما

خلق له او لما تيسر له * الحديث الرابع عشر روينا في صحيح البخاري ايضا من ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه * الحديث الخامس عشر روينا في صحيح البخاري ومسلم وسنن ابي داود عن علي كرم الله وجهه قال كنّا في جنازة ببقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد - وقعدنا حوله - وبيده مخصرة فجعل ينكت بها الارض (وفي رواية بعضهم عود) فقال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار او من الجنة - فقال رجل من القوم لا نتكل يا رسول الله قال لا اعملوا فكل ميسر وفي رواية بعضهم فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له الحديث *

الحديث السادس عشر روينا في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر رحمه الله تعالى قال كان اول من قال بالقدر في البصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجّين او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هولاء في القدر - فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والآخر عن شماله - فظننت ان صاحبي سيَكِلُ الكلام اليَّ فقلت ابا عبدالرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤن القرآن ويتقفّرون العلم وذكر من شأنهم وانهم يزعمون ان لا قدر وان الامر أُنُفٌ - قال فاذا لقيتَ اولئك فاخبرهم اني بريءٌ منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر - ثم قال حدثني ابي عمرُ بْنُ الخطاب قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منّا احدٌ حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فَخِذَيْهِ وقال يا محمد اخبرني عن الاسلام - فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام أنّ

تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا - فقال صدقت - فعجبنا له يسأله ويصدقه - قال فاخبرني عن الايمان - فقال أنْ تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمنَ بالقدر خيره وشرّه - قال صدقت - قال فاخبرني عن الاحسان - قال ان تعبد الله كانّك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك - قال فاخبرني عن الساعة - قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل - قال فاخبرني عن امارتها - قال ان تلد الامة ربّها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان - قال ثم انطلق فلبثت مليا - ثم قال يا عمر أتدري مَنْ السائل - قلت الله ورسوله اعلم - قال فانه جبريل اتاكم يعلّمكم دينكم - اخرجه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم وقوله يتقفرون هو بتقديم القاف على الفاء ومعناه يطلبونه ويتبعونه هذا هو المشهور - وقيل معناه يجمعونه - ورواه بعضهم بتقديم الفاء وهو صحيح ايضا ومعناه يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه - وروي في غير مسلم يقتفون بتقديم القاف وحذف الراء وهو صحيح ايضا ومعناه ايضا يتبعون - وقال بعضهم يتقعرون بالعين وفسّره بانهم يطلبون قعره اي غامضه وخفيه ومنه متقعر في كلامه اذا جاء بالغريب منه - وفي رواية بعضهم يتفقهون بزيادة الهاء وهو ظاهر * قلت هذا مختصر كلام شرّاح الحديث رحمهم الله تعالى * وقوله يزعمون ان لا قدر وان الامر انف هو بضم الهمزة والنون اي مستانف لم يسبق به قدر ولا علم من الله وانما يعلمه بعد وقوعه - قال ائمتنا وهذا قول غلاتهم وليس قول جميع القدرية وكذب قائله وضل وافترى - قلت يعنون ان القدرية صنفان احدهما ينفي القدر والعلم معا والثاني ينفي القدر فحسب - وسيأتي ان شاء الله ايضاح ذلك وبيان حكم الصنفين في التكفير - وان الاول منهما كافر بلا خلاف وهم الذين اراد ابن عمر وكلامه ظاهر في تكفيرهم - وفي الثاني اختلاف بين ائمة اهل الحق والله اعلم * الحديث السابع عشر روينا في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقـــر انا كل شيء خلقناه

بقدر قلت فهذه سبعة عشر حديثا كلها في القدر وكلها صحاح رويناها في الصحيحين معا وبعضها في احدهما كما ترى مع زيادة ما ذكرت من رواية ما في الكتب السنة التي هي اصول الاسلام وامهات الاخبار ورواتها الذين ذكرتهم من سادات الصحابة رضي الله عنهم عشرة عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود وابو هريرة وعمران بن الحصين وجابر بن عبدالله وسهل بن سعد وعمرو بن العاص وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم * وها انا اردفها باحاديث اخرى في القدر ايضا ممـــا اخرجه ابو داود والترمذي وهي ثلاثة عشـــر تتمة الثلاثين التي وعدت بهـــا *

الحديث الثامن عشر رويناه في سنن ابي داود عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر * الحديث التاسع عشر رويناه في سنن ابي داود عنه صلى الله عليه وسلم انه سأله رجل من مزينة او جهينة فقال يا رسول الله فيما يعمل في شيء خلا ومضى او شيء يستانفه لآن - قال في شيء خلا ومضى - فقال الرجل او قال بعض القوم ففيم العمل قال ان اهل الجنة ميسّرون لعمل اهل الجنة وان اهل النار ميسّرون لعمل اهل النار * الحديث العشرون رويناه في جامع الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشرّه وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه * الحديث الحادي والعشرون رويناه في سنن ابي داود والترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت يا بنيّ انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك - فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اوّل ما خلق الله القلم قال له اكتب فقال يا رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيءٍ حتى يوم القيمة - فاني سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقـــول من

مات على غير هذا فليس مني * الحديث الثاني والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الّا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا * فقال اصحابه ففيمَ العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه - فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل - ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير قال الترمذي وفي الباب عن ابن عمر هذا حديث حسن صحيح غريب * الحديث الثالث والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصائبها ومحابها وهذا بعض الحديث * الحديث الرابع والعشرون روينا في كتاب الترمذي ايضاً عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضلّ - فلذلك اقول جف القلم على علم الله * الحديث الخامس والعشرون في الرضاء بالقدر روينا في جامع الترمذي ايضا عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله * الحديث السادس والعشرون في ذمّ القدرية روينا في سنن ابي داود عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم ولا تعودوه فهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال - زاد في رواية

فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم الكلام * الحديث السابع والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجية والقدرية * الحديث الثامن والعشرون روينا في سنن ابي داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في هذه الامة خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر - رواه ابن عمر رضي الله عنهما - قال وعن نافع ان رجلا اتى ابن عمر فقال ان فلانا يقرأ عليك السلام الرجل من اهل الشام فقال ابن عمر انه بلغني انه قد احدث التكذيب بالقدر فان كان قد احدث فلا تقرئه مني السلام فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في هذه الامة خسف ومسخ الحديث * الحديث التاسع والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن ابي عزة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله لعبد ان يموت بارض جعل له اليها حاجة * قلت ومن هذا ما نقل انه جاء بعض الناس الى سليمن ابن داود عليهما السلام وقال له يا نبي الله اريد منك ان تامر الريح يحملني الى بلاد الهند فان لي فيها حاجة في هذه الساعة - والحّ عليه في ذلك فقال له نعم وامر الريح ان تحمله فلما خرج من عنده التفت سليمن فرأى ملك الموت عليه السلام قائما عنده ورآه متبسّما فسأله عن تبسّمه - فقال يا نبي الله تعجبت من هذا الرجل واني أمرت بقبض روحه في ارض الهند في هذه الساعة فبقيت مفكرا كيف يصل الى بلاد الهند في هذه الساعة فلما سألك ان تامر الريح تعجبت من ذلك - انتهى * وفي هذا المعنى قلت *

فمن لم تاته منا المنايا * الى اوطانه يوما اتاها
كما قال الذي عزى نفوسا * وقوى في توكلها قواها
فمن كانت منيته بارض * فليس يموت في ارض سواها

عن الامام مالك رضي الله عنه انه بلغه انه قيل لاياس ما رايك في القدر فقال لا يعلم سرّه الّا الله وكان يضرب به المثل في الفهم * قلت ومما ضرب المثل به قول ابي تمام بمدح بعض الخلفاء قيل هو المامون وقيل هو المعتصم بشعر من جملته قوله *

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم احنف في ذكاء اياس
شبّهه في الشجاعة بعمرو بن معدي كرب وفي الكرم بحاتم طي المشهور
وفي الحلم بالسيد الجليل الاحنف بن قيس وفي الذكاء باياس بن معاوية
بن قرة الامام المشكور - فغضب بعض جلساء الممدوح من كبراء دولته من
تشبّهه اياه بعمرو وحاتم في شجاعته وسماحته وتكلم عليه في ذلك مصغرا
لهما في جنبه ومنكرا بالتشبيه باهل الكفر الذي لا يحمد فاطرق ابو تمام
مفكرا في ذلك ثم انشد *
لا تعجبوا ضربي له من دونه مثـ * ـلا شرودا في الندى والبأس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس
قلت يعني ان الله تعالى قد ضرب النور الاقل مثلا لنوره العظيم الاجل
وذلك قوله سبحانه [الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح]
الاية * فزال الغضب وتعجّبوا من براعة فطنته وانقاد قريحته غاية العجب
وسألوه عن اطراقه وسكوته - فذكر كلاما معناه انه افكر في شاهد يشهد له من
كلام العرب فلم يجده فاستفتح كلام الله فوجد فيه ما طلب - قلت لما لحقته
في ذلك الملامة افكر في شاهد يشهد لكلامه بالاستقامة فالتمس ذلك في
كلام العرب فلم يحصل له فيه اربٌ فارتحل بفكره وانتقل الى كلام الله
عز وجل وغاص في بحر جواهر علومه على عجل في غوصه حتى انتهى
الى بحر جواهر النور فاستخرج منه جوهرة الشاهد المذكور * قلت والكلام
في هذا واشباهه يطول ويخرجنا مما نحن له قاصدون - فلهذا اخترت الاضراب
عن ذكر شيءٍ من المحاسن والآداب وحلم الاحنف بن قيس المذكور وما
ذكر من تعلمه ذلك من قيس بن عاصم المشهور - رجعنا الى ما كنا
بصدده وعن الامام مالك ايضا انه سأله رجل عن القدر فقال الست تومن
به قال بلى فقال حسبك حدثني علي بن الحسين عن ابيه رضوان الله
عليهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تَرْكُهُ مَا لَا
يعنيه وبلغه ايضا انه قيل للقمان رضوان الله عليه ما بلّغ بك الى ما يُرى
قال اداء الامانة وصدق الحديث وتركي ما لا يعنيني وقال الامام
محيي الدين النووي رضي الله عنه قال الامام ابو المظفر السمعاني

رضي الله عنه سبيل معرفة هذا الباب التوفيق من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول فمن عدل عن التوفيق فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفا النفس ولا يصل الى ما يطمئن به القلب لان القدر سرّ من اسرار الله تعالى ضُرِبَتْ دونه الاستار واختص الله تعالى به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة و واجبنا ان نقف حيث حدلنا ولا نتجاوزه - وقد طوى الله تعالى علم القدر عن العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب - وقيل ان سرّ القدر ينكشف لهم اذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها * الحديث الثلثون روينا في كتاب الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر - فغضب حتى احمرّ وجهه حتى كانما فقئ في وجنتيه حب الرمان - وقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم ان لا تتنازعوا فيه * قلت فهذه ثلثون حديثا في القــدر جمعتها من الصحيحين وباقي الكتب الستة التي فضلها اشهر اخرجها كل امام حافظ نقاد خبر رووها بالاسانيد المتصلــة ورواها عنهـــم الجـــم الغفيـــر فهي الامهات كما قدمت لكتب الحديث والاصول والوسيلة التي يحصل بها الى معرفة السنة الوصول عليهـــا اعتمـــد العلماء عليها في جميـــع الاعصار وبها استدلّ الفقها في جميع الامصار * وقد قدمت ان سبعة عشر حديثا من الثلاثين المذكورة كلها صحاح روينا بعضها في الصحيحين معاً وبعضها في احدهما مع ما ذكرت من زيادة رواية باقي الكتب الستة الصحاح وذكرت ايضا ان رواتها عشرة من سادات الصحابة رضي الله عنهم وسمّيتهم وقد زاد معهم في رواته الثالثة عشر ستة منهم * فجميع رواة احاديث القدر التي ذكرتها في هذا المختصر من الصحابة رضي الله عنهم ستة عشر * وجميع رواياتهم فيه مسندة لنا مسموعة وهذه اسماؤهم رضي الله عنهم مجموعة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابو هريرة وعمران بن حصين وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة

وعبادة بن الصامت وسهل ابن سعد وعمرو بن العاص وابو عزة وعايشة بنت ابي بكر * وروى ائمة الحديث في ذلك احاديث اخرى ايضا عن خلايق من الصحابة غير المذكورين منهم ابو بكر الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص وانس بن مالك ومعاذ بن جبل وأُبَيّ بن كعب وابو سعيد وابو الدرداء و حباب بن الارت وابن حميد الساعدي وعديّ بن حاتم وابو سريحة الغفاري وذو اللحية الكلاعي وسراقة بن جعشم وابو خزامة وأسما بنت ابي بكر * وهؤلاء خمسة عشر الجملة احد وثلثون صحابيا مع غيرهم رضي الله عنهم اجمعين * وجعلنا لهديهم متبعين وبدينهم الحق ندين وجمع بيننا وبينهم يوم الدين مع ساير الاحباب والمحبين آمين * قلت فما تقول ايها المعتزلي في مجموع هذه الاخبار التي رواها ائمة الحديث الاعلام الاحبار عن الثقات والسادات الاخيار عن المصطفى المكرم صلى الله عليه وسلم مع كثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجها وشهرتها وحسنها وصحتها وكثرة طرقها وصريح منطوقها الظاهر في اثبات القدر ووجوب الايمان به على طريق التواتر - أيترك الاحد بها والايمان بمقتضاها ويقتصر على محض حكم العقول ونرمي (sic.) بحكم الشرع وسنة الرسول والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه الذي على سائر الكتب يزهو [وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا] فاي دين يبقى لنا اذا رمينا سنة نبينا ونبذناها وراء ظهورنا وديننا انما هو متلقي منها اذ مرجوع بيان احكام الكتاب اليها قال الله العظيم لنبيه الكريم عليه افضل الصلوة والتسليم [وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّلَ اليهم] هذا وايات الكتاب المقدمات وغيرها موافقات للاحاديث المذكورات في اثبات القدر كما مر وكذا اجماع سلف الامة اهل الاتباع قبل ظهور الابتداع وكذا النظر الصحيح من العقل لا يحيل ما ورد في ذلك من النقل ومن الاجماع المذكور اتفاق السلف فاطنة على قول ماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن * وفي هذا المعنى انشد الحبر الفاضل بحر الفضايل السيد المعظم والامام المقدم صاحب المرتبة العلية والمشهود له عند موته بالقطبية محمد بن ادريس الشافعي القرشي المطلبي رضي الله عنه وارضاه وجعل في علا الجنة ماواه *

ما شئـــتَ كان وان لم اشأ * وما شئتُ ان لم تشأ لم يكـــن
خلقت العباد على ما علمت * وفي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا اعنــــت وذا لم تعــن
فمنهم شقــيٌ ومنهـــم سعيـــد * ومنهم قبيـــح ومنهـــم حسن
ومنهـــم فقيـــر ومنهم غنـــي * وكلٌّ با عمـــا له مرتهـــن

روي ذلك عنه صاحباه المُزني والربيع * واما ما ذكرنا من اتصافه بالقطبية فذلك ما رواه الشيخ الامام شهاب الدين بن المُلَق من الشيخ الامام تاج الدين ابن عطاء الله عن الشيخ الامام العارف بالله ابي العباس المرسي عن الشيخ الامام العارف بالله شيخ الشيوخ المشهود له بالقطبية ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم اجمعين - مع ما شهد به الخضر عليه السلام قبل ذلك بزمانه انه من الاوتاد - وذلك في قصيدة مشهورة رويناها في رسالة الامام القشيري المشهورة * قلت وفي قرب الاشيا من الوقوع بسوق القدر وبعدها عنه اذا لم يقدر احسن القائل الآخر *

الجد انهـــض بالفتى من عقلـــه * فانهض بجدك في الحوادث او ذر
ما اقـــرب الاشيا حيـــن تسوّقها * قـــدرٌ وابعـــدها اذا لم تقـــدر

ولما كتب هذا المذكور الذي جمع فيه بين الجد والمقدور خطر لي ان انشد في ذلك واقول *

انظـــر جدك للفوايت لاحقـــا * وشريف عزمك للسوابق سابقـــا
وحميـــد رأيك للحـــوادث قائدا * ثم التمنـــي للامانـــي سائقـــا
هيهـــات كل للمـــرام مخـــالف * لحكـــم حـــق لايزال موافقـــا
كل ابي ينقـــاد غيـــر القـــائد * مقـــدور خلاق تبـــارك خالقـــا

قلت وهذه الابيات كالمعارضة للبيت الاول منهما فانه وان كان حسنا [1]

....

ولكن على ايجابه الروحاني الاول ثم ابجاب الروحاني ما دونه هل هذا الا

[1] In this place two folios of the MS. are missing.

بحكم لا معدول له ثم تكلم معهم في الطبائع و اجتماع العناصر واستدلّ على بطلان مذهبهم المقطوع بكفره بما لا حاجة الى ذكره اذ كفرهم ظاهر لا يحتاج الى نظر ناظر ثم انتقل الى الكلام في الاستدلال على بطلان التحسين والتقبيح العقليين وقال في اثناء ذلک و سبيلنا ان نوجز عليهم القول فنقول ما ادعيتم حسنه او قبحه ضرورة فانتم فيه منازعون وعن دعواكم مدفوعون واذا بطل ادعاء الضرورة في الاصول بطل رد النظريات اليها * قال وهذه الطريقة على اتخاذها يهدم اصول المعتزلة في التحسين والتقبيح و اذا تناقضت هذه الاصول وقولهم في الصلاح والثواب والعقاب وغيرها متلقًا (؟) منها فتنحسم عليهم ابواب الكلام في التعديل والتجويز * قلت يعني في جميع ما حكّموا فيه العقل من التحسين و التقبيح و ما بنوا على ذلك من وجوب الصلاح والا صلح واللطف والتعويض على الآلام على الله تعالى ومنشعب من ذلک مذهب اهل التناسخ * قال فيقال لهم لم ادعيتم العلم الضروري بالحسن والقبح مع علمكم بان مخالفيكم طبقوا وجه الارض واقل شرذمة منهم يربون على عدد التواتر ولا يسوغ اختصاص طائفة من العقلاء بضرب من العلوم الضرورية دون بعض مع استواء الجميع في مداركها * قال ومما يوضح الحق في دربهم عن دعوى الضرورة ان الذي ادعوه قبيحا على البديهة قد اطبق مخالفوهم على تجويزه واقعا من افعال الله تعالى مع القطع بكونه حسنا - فانهم قالوا الرب تعالى ان يولم عبدا من عبيده من غير استحقاق ولا تعويض على الالم و من غير جلب نفع ودفع ضرر موفقين على الالم ثم كما قطعوا بتجويز ذلک في احكام الله تعالى قطعوا بانه لو وقع لكان حسنا وهذا ما لا سبيل الى دفعه * وفيه فرض تحسين في الصورة التي ادعا المعتزلة العلم الضروري بالقبح فيها * قال وربما يشتغيون بالرجوع الى العادات ويقولون العقلاء يستحسنون الاحسان وانقاذ العرقي وتخليص الهلكى ويستقبحون الظلم والعدوان وان لم يخطر لهم السمع قلت يعني بالسمع حكم الشرع * قال وهذا تدليس وتلبيس فأنا لا ننكر ميل الطباع الى اللذات ونفورها عن الالم والذي استشهدون من هذا القبيل - وانما كلامنا في ما يحسن من حكم الله تعالى وفيما يقبح فيه والدليل على ما قلناه ان العادة كما اطردت على

زعمهم في استقباح العقلاء واستحسانهم فكذلك استمرّ دأب ارباب الالباب في تقبيح تخلية العبيد والا ما يفتخرون بعضهم ببعض ممّوا من السادة ومستمع وهم متمكنون من حجر بعضهم عن بعض - فاذا تركوهم سدى والحالة هذه كان ذلك مستقبحا على الطريقة التي مهدوها مع القطع بان ذلك لا يقبح في حكم الاله سبحانه * قلت يعني ان ذلك واقع ومشاهد من عبيد الله الفاخرين بعضهم ببعض مع علمه تعالى بهم وقدرته على منعهم فوقوعه من اظهر الادلّة القاطعة على عدم قبحه في حكم المولى جلّ وعلا * وان كان قبيحا في حكم العباد فلا يقاس الغائب على الشاهد - اعنى لا يقاس حكم الله على حكم عبيده اذ لا يتصور القبيح في حكمه اصلا لا شرعا ولا عقلا * قال وربما يسوّغون لاثبات وجوب شكر المنعم عقلا صنيعةً فيقولون ان العاقل اذا علم انه له ربا جوّز في ابتداء نظره ان يريد منه الرب المنعم شكرا او لو شكره لاثابه واكرم مثواه ولو كفر لعاقبه وارداه فاذا نظر له الجائزان فالعقل يرشده الى اثبات ما يؤدّى الى الأمن من العقاب وارتقاب الثواب * وضربوا لذلك مثلا فقالوا من يصدي له في سفرته مسلكان يؤدّي كل واحد الى مقصده واحدهما خلي عن المخاوف عري من المتالف والثاني يشمل على المعاطب واللصوص وضواري السباع ولا غرض له في السبيل المخوف فالعقل يقضي بسلوك السبيل المأمون * قال وهذا الذي ذكروه له ما قالوه فانه يعارضه خاطر آخر يناقضه وذلك ان يخطر للعاقل انه عبد مملوك مخترع مربوب وان ليس للملوك الا ما اذن له مالكه ولو اتعب نفسه وانصبها لصارت مكدودة مجهودة من غير اذن ربها - وقد يعتضد هذا الخاطر عقده بان الرب غني عن شكر الشاكرين متعال عن الاحتياج وان تعالى كما يسدى النعم قبل استحقاقها لايبتغى بدلا عليها - فاذا عارض هذا الخاطر ما ذكروه قضى العقل بتوقف من خطر له الخاطران قال - ومما يوكد ما قلناه ان الملك العظيم اذا منح عبدا من عبيده كسرة من رغيف ثم اراد ذلك العبد ان يدور في المشارق والمغارب ويثني على الملك بما حباه ويشكر عطاءه وينص على انعامه فلا يعد ذلك مستحسنا فان ما صدر من الملك بالاضافة الى قدره

نزير مستحقر تافهٌ مستصغر وجملة النعم بالاضافة الى قدر الله تعالى اقلّ واحقر من كسيرة رغيف بالاضافة الى ملك ملك * قال فان اردنا ان ينقض عليهم ما ذكروه من وجه اخر فرضنا الكلام فيمن لم يخطر له المنعم او لا فنقول هذا قولكم فيمن خطرت له الفكر وعنت له العبر فما قولكم في العاقل الذاهل الذي لم يخطر بباله شيء فهذا قد فقد الطريق الى العلم بالوجوب والشكر حتم عليه * قال وهذا عظيم موقعه على الخصوم فان قالوا لا بدّ ان يخطر الله تعالى ببال العاقل في اول كمال عقله ما ذكرناه فهذا تلاعب بالدين فكم من عاقل متماد في غوايته مستمر على غرته لم يخطر له قط ما ذكروه ثم هذه الخواطر في ابتداء النظر شكوك والشك في الله تعالى كفر والرب تعالى لا يخلق الكفر على اصولهم فان قالوا يبعث الله تعالى الى كل عاقل ملكا يختم على قلبه ويقول في نفسه قولا يسمعه فهذا بهت عظيم واثبات كلام لم يسمعه ذوعقل وفيه نقض اصلهم في استبعاد الكلام سوى الحروف والاصوات * وقال ايضا في الهدي والضلال والختم والطبع اعلم وفقك الله لمرضاته ان كتاب الله العزيز اشتمل على آيٍ من القران دالة على تفرد الرب تبارك وتعالى بهداية الخلق واضلالهم والطبع على قلوب الكفرة منهم هي نصوص من ابطال مذاهب مخالفي اهل الحق ونحن نذكر من صيام من ايات الهدي والضلال ثم نتبعها بالاي المحتوية على ذكرالختم والطبع فمما يعظم موقعه عليهم قوله تعالى [والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم] وقوله تعالى [انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء] وقوله تعالى [من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون] واعلم ان الهدى في هذه الآي لاينتجه حمله الا على خلق الايمان وكذلك لاينتجه حمل الضلال على غير خلق الضلال ولسنا ننكر ورود الهداية في كتاب الله على غير هذا المعنى الذي ذكرنا فقد ترد والمراد بها الدعوة * قال الله تعالى [وانّك لتهدى الى صراط مستقيم] معناه وانك لتدعو وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها يوم القيمة * قال الله تعالى [فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم] فذكر تعالى المجاهدين في سبيلـه وعنى بهم

المهاجرين والانصار ثم قال سيهديهم فتعين حمل الهداية على ما ذكرناه * وقال تعالى [فاهدوهم الى صراط الجحيم] معناه اسلكو بهم اليها والمعنى بقوله تعالى [فاما ثمود فهديناهم] الدعوة ومعنى الاية انا دعوناهم فاستحبوا العمى على ما دعوا اليه من الهدى * قال وانما اشرنا الى انقسام معنى الهدى والضلال ليحيطوا علما بانا لا ننكر ورود الهدى والضلال على غير معنى الخلق ولكنا خصصنا استدلالنا بالآي التي صدرنا الفصل بها ولا سبيل الى حمله على الدعوة فانه تعالى فصّل بين الدعوة والهداية فقال [والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء] فخصص الهداية وعمم الدعوة وهذا مقتضي ما استدللنا به من الايات ولا وجه بحملها على الارشاد الى طريق الجنان فانه تعالى علق الهداية على مشيئته واختياره وكل من يستوجب الجنان فحتم على الله عند المعتزله ان يدخله الجنة * وقوله تعالى [فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام] مصرح باحكام الدنيا وشرح الصدر وحرجه وذكر الاسلام من اصدق الايات على ما قلنا وان استشهد المعتزلة في روم حمل الهداية على الدعوة او غيرها مما يطابق معتقدهم بالايات التي تلوناها فالوجه ان تقول لا بعد في حمل ما استشهدتم به على ما ذكرتموه وانما استدللنا بالايات المفصلة المخصصة للهدى بقوم والضلال باخرين مع التنصيص على ذكر الاسلام وشرح الصدر له ولا مجال لتاويلاتهم المزخرفة في النصوص التي استدللنا بها قال واما ايات الطبع والختم فمنها قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم * وقوله تعالى [وجعلنا قلوبهم قاسية] قال وقد حارت المعتزلة في هذه الايات واضطربت لها اراؤهم فذهبت طائفة من البصريين الى تسمية الرب تعالى الكفرة بتمييز الكفر والضلال قالوا فهذا معنى الطبع قال ولا خفاء بسقوط هذا الكلام فان الرب تعالى تمدح بهذه الايات واثباتها عن اقتداره واقتداره على ضمائر العبد واسراره و بين ان القلوب بحكمه يقلبها كيف شاء وصرح بذلك في قوله تعالى و يقلب افئدتهم وابصارهم فكيف يستجاز حمل هذه الآيات على تسمية وتلقيب وكيف يسوغ ذلك اللبيب والواحد منا لا يعجز عن التسميات والتلقيبات فما وجه استيثار الرب بسلطانه قال وجهل الجبائي

وابنه هذه الآيات على محمل بشع مؤذن بقلة اكرامهما بالدين وذلك انهما قالا من كفر وسم الله قلبه بسمة يعلمها الملائكة فاذا ختموا على القلوب تميزت لهم قلوب الكفار من أفئدة هــذا معنى الختم عندهما وما ذكراه مخالفة لنص الكتاب وفحوى الخطاب فان الآيات نصوص في ان الله تعالى يصرف بالطبع والختم عن سبيل الرشاد - من اراد صرفه من العباد فانه تعالى قال [وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه] فاقتضت الاية - كون الاكنة مانعة من ادراك الحق - والسمة التي اخترعوا القول بها لا يمنع من الادراك والى متى نتعدى غرضنا في الاختصار وقد وضح الحق وحصحص واستبان عناد المخالفين في تاويلاتهم والله الموفق للصواب * ثم قال في الاستطاعة وحكمها - العبد قادر على كسبه وقدرته بانية عليه - وذهبت الجبرية الى نفي القدرة وزعموا ان ما يسمى كسبا للعبد او فعلا له فهو على سبيل التجوز والتوسع في الاطلاق والحركات الارادية بمثابة الرعدة والرعشة * قال الدليل على اثبات القدرة ان العبد اذا ارتعدت يده ثم حركها قصدا فانه يفرق بين حالتيه في الحركة الضرورية والحركة التي اختارها واكتسبها - والتفرقة بين حالتي الاضطرار والاختيار معلومة على الضرورة ويستحيل رجوعها الى اختلاف الحركتين - فان الضرورة مماثلة الاختيارية قطعا ولكل واحدة من الحركتين ذهاب في جهة واحدة وانتقال اليها - ولا وجه في ادعاء افتراقهما بصفة مجهولة يدعى - فان ذلك يحسم طريق العمل بتماثل كل مثلين - فاذا لم ترجع التفرقة الى الحركتين تعين صرفها الى صفة المتحرك وليس ذلك الا القدرة ثم نسلك بعد ذلك سبيل السبر والتقسيم في اثبات القدرة - فنقول يستحيل رجوع التفرقة الى نفس القائل من غير مزيد فان الامر لو كان كذلك لاستمرت صفة النفس ما دامت النفس - فاذا رجعت التفرقة الى زائد على النفس لم يخل ذلك الزائد من ان يكون حالاً او عرضاً - وباطل ان يكون حالا فان الحال المجردة لا تطرأ على الجوهر بل تتبع موجودا طاريا - وان كان ذلك الزائد عرضا تعين كونه قدرة فانه ما من صفة من صفات المكتسب عند القدرة الا ويتصور ثبوتها مع الاقتدار و ينتفي معظم الصفــات المغايرة للقدرة مع ثبوت القدرة والقدرة الحادثة

عرض من الاعراض وهي غير باقية وهذا حكم جميع الاعراض عندنا واطبقت المعتزلة على بقاء القدرة * والدليل على استحالة بقاء جميع الاعراض انها لو بقيت لاستحال عدمها * قال ويفرض هذا الدليل في القدرة ثم سنبين اطراده فيما عداها فنقول لو بقيت القدرة ثم قدر عدمها لم يخل القول في ذلك اما ان يقدّر انتفاؤها بضد وهو مذهب المخالفين واما ان يقدر انتفاؤها بانتفاء شرط لها وباطل تقدير عدمها بطريان ضد فانه ليس الضد الطاري بنفي القدرة اولى من ردّ القدرة الضد ومنعها اياه من الطريان * ثم اذا تعاقب الضدان فالثاني يوجد في حال عدم الاول - فاذا تحقق عدمه فلا حاجة الى الضد وقد يصرم ما قبله * وباطل ان يقال تنتفي القدرة بانتفاء شرطها فان شرطها لا يخلو اما ان يكون عرضا واما ان يكون جوهرا * فان كان عرضا فالكلام في بقائه وانتفائه كالكلام في القدرة * وان كان جوهرا فلا يتصور مع القول ببقاء الاعراض انتفاء الجواهر فان سبيل انتفائها قطع الاعراض عنها - فاذا قضي ببقاء الاعراض لم يتصور عدمها فاذا امتنع تقدير عدمها امتنع عدم الجوهر وبطل المصير الى ان القدرة تعدم باعدام الله تعالى اياها - فان الاعدام هو العدم والعدم نفي محض ويستحيل ان يكون المقدور نفيا اذ لا فرق بين ان يقال لا مقدور للقدرة وبين ان يقال مقدورها منتف * قال واذا ثبت استحالة بقاء القدرة الحادثة فانها يقارب حدوث مقدوراتها ولا يتقدم عليه ولو قدرنا سبق الاعتقاد الى بقاء القدرة لما استحال تقدمها على وقوع مقدوراتها ولذلك يجب القطع بقدم القدرة الازلية على وقوع المقدورات * ولما ثبت ان القدرة الحادثة لا تبقى ترتب على ذلك استحالة تقدمها على المقدور فانها لو تقدمت عليه لوقع المقدور مع انتفاء القدرة * و ذلك مستحيل * والحادث في حال حدوثه مقدور بالقدرة القديمة وان كان متعلقا للقدرة الحادثة فهو مقدور بها واذا بقي مقدور من مقدورات الباري تعالى وهو الجوهر اذ لا يبقى غيره من الحوادث فلا يتصف في حال بقائه واستمرار وجوده بكونه مقدورا اجماعا * وذهبت المعتزلة الى ان الحادث في حال حدوثه يستحيل ان يكون مقدورا للقديم والمحدث وهو بمثابة الباقي المستمر وانما يتعلق القدرة بالمقدور في حال عدمه وقالوا على طرد ذلك يجب

تقدم الاستطاعة على المقدور ويجوز مقارنة ذات القدرة ذات المقدور من غير ان يكون متعلقة به حالة وقوعه * قال والدليل على ان الحادث مقدور وان الاستطاعة تقارن الفعل ان نقول القدرة من الصفات المتعلقة ويستحيل تقديرها دون متعلق لها * فاذا فرضنا قدرة متقدمة وفرضنا مقدورا بعدها في حالتين متعاقبتين ولاينقرر على اصول المعتزلة تعلق القدرة بالمقدور فانا ان نظرنا الى الحالة الاولى فلا يتصور فيها وقوع - وان نظرنا الى الحالة الثانية فلا تعلق للمقدور فيها * فاذا لم يتحقق في الحالة الاولى امكان ولم يتقرر في الثانية اقتدار فلا يبقي لتعلق القدرة معنًى ويعضد ذلك بوجهين احدهما ان المقدور لا يخلوا اما ان يكون عدما واما ان يكون موجودا * ويستحيل كونه عدما فانه نفي محض و الوجود عند المخالفين غير مقدور * والوجه الثاني انهم انما زعموا ان الحادث بمثابة الباقي في استحالة كونه مقدورا ثم لا امكان في الحالة الاولى من وجود القدرة * والحالة المتوقعة بعدها ليست حالة تعلق القدرة فان شاع ذلك فليكن الثاني مقدورا في الحالة الاولى من القدرة * ولا مخلص عن ذلك * وقال ايضا في الرد على القائلين بالتولد القدرة الحادثة لاتتعلق الا بقائم بمحلها * وما يقع مناسبا لمحل القدرة فلا يكون مقدورًا بها بل يقع فعلا للباري سبحانه وتعالى من غير اقتدار للعبد عليه * فاذا اندفع الحجر عند اعتماد معتمد عليه فاندفاعه غير مقدور للعبد عند اهل الحق * وذهبت المعتزلة الى ان ما يقع مناسبا لمحل القدرة يجوز وقوعه متولدا عن سبب مقدور مباشر بالقدرة * فاذا اندفع الحجر عند الاعتماد عليه فاندفاعه متولد عن الاعتماد القائم بمحل القدرة * ثم المتولد عندهم فعل لفاعل السبب وهو مقدور بتوسط السبب * ومن المتولدات ما يقوم عندهم بمحل القدرة كالعلم النظري المتولد عن النظر القائم بمحل القدرة في خبط وتفصيل طويل واختلاف فيما تولد وفيما يتولد * قال وليس من غرضنا التعرض لتفاصيل مذهبهم * والدليل على ما صار اليه اهل الحق ان الذي وصفوه بكونه متولدا لايخلو من ان يكون مقـــدورا او غير مقدور فان كان مقدورا كان باطلا من وجهين احدهما ان السبب على اصلهم موجب للمسبب عند تقدير ارتفاع الموانع فاذا كان المسبب واجبا عند وجود السبب او بعده

فينبغي ان يستقل بوجوبه ويستغني عن مآثر القدرة فيه ولو تخيلنا اعتقاد
مذهب التولد وخطر وجود السبب وارتفاع الموانع واعتقدنا مع ذلك انتفاء
القدرة اصلا فيوجد المسبب بوجود السبب جريا على ما قدرناه من الاعتقادات
والوجه الثاني ان المسبب لو كان مقدورالتصور وقوعه دون تصور السبب
والدليل عليه انه لما وقع مقدورا للباري تعالى اذا لم ينسب العبد اليه
فانه يقع مقدورا له تعالى من غير افتقار الى توسط سبب وقال الامام
فخرالدين الرازى احتج اصحابنا انه لو صح القول بالتولد للزم وقوع الاثر
الواحد بموثرين مستقليـــن بالتاثير وهذا محال فالقـــول بالتولد محال
بيان الملازمة انه اذا التصق جوهر فرد بكف رجليـــن ثم ان احدهما
جذب الكف في حال ما دفع الآخر ايضا كفه فلو صح القول بالتولد كان
الجذب مولدا للحركة في ذلك الجوهر الفرد كما ان الدفع مولد للحركة
فيه فاما ان يتولد من كل واحد منهما حركة على حدة او يتولد منهما معا
حركة واحدة والاول باطل لانه يقتضي حصول الجسم الواحد في الآن
الواحد في الحيز الواحد مرتين وهذا غير معقول وايضا فعلى هذا التقدير تكون
الحركتان متماثلتين مليس اسناد احدهما الى الجذب والثانية الى الدفع
اولى من العكس فلزم استناد كل واحدة منهما الى الجـــذب والدفع
فيعود الامر الى وقوع الاثر الواحد بموثرين مستقلين ولما بطل هذا القسم
ثبت انه حصل في ذلك الجـــوهر الفرد حركة واحدة وتلك الحركة
الواحدة حصلت بعد الجذب وبعد الدفع ثم كل واحدة من هاتين العلتين
مستقلة باقتضاء هذا الاثر مع القول بالتولد فيلزم حصول الاثر الواحد لموثرين
مستقلين وذلك لان ذلك الاثر يستغني بهـــذا عن ذاك وبذاك عن
هذا فلما اجتمعا عليه لزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد
منهما وهو محال واستدلال المعتزلة على القول بالتولد انما هو لحسن
المدح والذم والثـــواب والعقاب والجواب عنه في مسئلة خلق الافعال
وبالله التوفيق وقال امام الحرمين ايضا في ارادة الكائنات مذهبنا ان كل
حادث مراد الله تعالى حدوثه ولا يختص تعلق مشية الباري تعالى بصنف
من الحوادث دون صنف بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث خيرها

و شرّها نفعها و ضرّها قال ثم من ائمتنا من اطلق ذلك عامًّا ولم يطلقه تفصيلا
فاذا سئل عن كون الكفر مراد الله تعالى لم بخصص في الجواب ذكر ما
تتعلق الارادة به وان كان يعتقده ولكنه يجتنب اطلاقه لما فيه من ابهام الزلل
اذ قد يتوهّم كثير من الناس ان ما يريده الله يامر به و يحرض عليه
و لفظ يطلق عاما ولا يفصل * فانک تقول العالم بما فيه لله تعالى ولو فرض
سوال في ولد او زوجة لم يقل الولد و الزوجة لله تعالى * قال و من حقق
من ائمتنا اضاف تعلق الارادة الى كل حادث معمما و مخصصا مجملا
ومفصلا و استدلّ على صحة مذهب اهل الحق وبطلان مذهب المعتزلة
من وافقهم على نفي القدر بما لا يحتمل ايراده هذا المختصر * ثم قال
و مما يقوى التمسک به اجماع السلف الصـــالحيـــن قبل ظهور الاهواء
واضطراب الآراء على كلمة غير معدودة من المجملات وهي قولهم ماشاء الله
كان و ما لم يشا لم يكن وتكلم على ذلک * ثم قال ومما تمسک به ائمتنا ايضا
ان قالوا الافعال المحكمة دالّة على علم من يخترعها فانما يتقرر ذلک على
مذهب اهل الحق الصايرين الى ان مخترع الافعال الرب تعالى و هو
عالم بحقائقها - ومن ذهب الى ان العبد مخترع افعاله وهو غير عالم بها
فقد اخرج الاحكام عن كونه دالّا على علم المخترع و ذلک نقض الادلّة
العقلية * قلت و قد قدمت قول صاحبه الامام حجة الاسلام ابي حامد
الغزالي رضي الله عنه في هذا و ذكره ما يصدر من النحل والعنكبوت
وسائر الحيوانات من لطيف الصناعات ما تتحير فيه عقول ذوي الالباب
فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب * قال امام الحرمين و مما
يطيش عقولهم اتفاق العلما قاطبة على ان المديون القادر على برأة ذمته
اذ قال و الله لا قضين حق غريمي غدا ان شاء الله عزوجل فاذا تصرم الامد
المضروب والاجل المرقوب فلايحنث الحالف لاستثنائه مشية الله تعالى *
وينزل ذلک منزلة ما لو قال لاقضين حق غريمي غدا ان شاء زيد ثم شاء زيد
ولم يقضه فيحنث لا محالة * قال و مما يقوى الزامهم ان يقول الرب تعالى
عندكم مريد ايمان الكافرين و ذلک واجب في حكمه فبينوا معاشر المعتزلة
ما نسألكم عنه و اوضحوا الوقت الذي تقدم الارادة فيه والارادة حادثة عندكم

ولا يكادون يضبطون في ذلك وقتا موقوتا و لا يلقون لانفسهم بيوتا * ثم ذكر ان المعتزلة استدلوا بظواهر من كتاب الله تعالى لم يحيطوا بفحواها ولم يدركوا معناها منها قوله تعالى [ولا يرضى لعباده الكفر] قال و في الجواب عن هذه الآية مسلكان - احدهما الجري على موجبها وتمسك بمذهب من فصل بين الرضي و الارادة و الوجه الثاني حمل العباد على الموفقين للايمان الملهمين بالايقان وهم المشرّفون بالاضافة الى الله ذكرا - وهذه الآية تجري مجري قوله تعالي [عينا يشرب بها عباد الله] وليس المراد جميع العباد بل المراد المصطفون * قلت ويوئد الاول ما سياتي ذكره عن زين العابدين ويوئد الى ما سياتي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية انهم المخلصون * وفي رواية اخرى عنه اى لا ارضي لاوليائي واهل طاعتي - هذه رواية عطاء والاولى رواية الوالي * وقال السدي لايرضى لعباده المومنين ان يكفروا * قال الامام ابوالحسن الواحدي و هذا طريق من قال بالتخصيص في هذه الآية ومن اخذ انها على العموم قال الكفر غير مرضي لله من الكافر وان كان بارادته و معناه - و على هذا لا يمدحه ولا يثني عليه * وقال بعض ائمتنا اى لايثيبه قال بعضهم اى لا يحبه * قال امام الحرمين و مما يسترو حون اليه قوله تعالى [لوشاء الله ما اشركنا] الآية قالوا و الدليل منها ان الرب سبحـــانه تعالى اخبر عنهم و بين انهم قالوا لوشاء الله ما اشركنا ثم وبخـــهم وردّ مقاليهم ولو كانوا ناطقين بحق مفصحين بصدق لما قرعوا * قلنا انما استوجبوا التوبيخ لانهم كانوا يستهزءون بالدين ويبغون ردّ دعوة الانبياء وكان قد قرع مسامعهم من شرائع الرسل تفويض الامر الى الله فلما طولبوا بالاسلام والتزام الاحكام تعللوا بما احتجوا به على النبيين قالوا لو شاء الله ما يشبه اما لم يكن من غرضهم ذكر ما ينطوي على عقيدتهم * و الدليل على ذلك قوله تعالى في سياق الاية [قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن] قال و كيف لايكون الامر كذلك والايمان بصفات الله فرع الايمان لله تعالى والمقرعون بالآية كفرة بالله تعالى * قلت و هذا الذي قاله ظاهر وها انا اضرب له مثلا آخر اظهر و اخصر وهو ان ذلك كمثل فاجر نهي عن

فجوره فقال هذا على مقدور فانه يقال له عند ذلك يرتكب الفجور ويقول هذا على مقدور مع انه صادق في قوله هذا لكنه نعلل بالقدر مع مخالفته ظاهر حكم الشرع فيوجه عليه الملام والتقريع والردع واري مع هذا ان يعارضوا بقوله تعالى [ولو شاء الله ما اشركوا] فهذه الآية مما يحقق ما تقدم من تاويل الآية التي احتجوا بها وصحة معتقدنا و الحمد لله ولا وجه للاستدلال بالآية التي ذكروا مع وجود هذه آية فان الحق سبحانه و تعالى يقول -[ولو شاء الله ما اشركوا] بالقول الصريح المفصل الذي ليس للتاويل فيه مدخل - رجعنا الى كلام امام الحرمين رضي الله عنه قال ومما يستدلون به العوام الاستدلال بقوله تعالى [وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون] وهي عامة في صفتها متعرضة لقبول التخصيص عند القائلين بالعموم مجملة عند منكر العموم ولا يسوغ الاستدلال في القطعية بما يتعرض للاحتمال او يتصدى للاجمال - ومذهب المعتـــزلة ان العموم اذا دخله التخصيـــص صار مجـــملا في بقية المسميات ولا خلاف ان الصبيـــان و المجانين مستثنون و ذلك موجب الآية تخصيصا و اصل العبادة التذلل والطريق المعبدة هي المذللة بالدوس قال فالمراد بالآية وما خلقتهم الا ليذلوا ثم من منع فقد ابدي تذلله و من عبد فشواهد الفطرة واضحة على تذلله وان تعرض و افترى * قال والحمل على ذلك امثل من الحمل على تناقض فان الرب تعـــالى علم ان معظـــم الخليقة سيكفـــرون فيكـــون التقدير وما خلقت من علمت انه يكفـــر الا ليؤمن وهذا لاوجه له * قلت وهذا ظاهر لانه يصير التقدير وما خلقت من علمت انه لايـــؤمن الا ليؤمن اذ قد علم سبحانه ان الكافرين لايؤمنون * واري خمسة اشياء قد عرضت لهذه الآية مانعة من عموم الاستـــدلال بها بعضها ما ذكره امام الحرمين في كلامه هذا - الاول منها ان المفسرين اختلفوا في معنى قوله تعالى يعبدون - الثاني ان الآية مجملة عند بعض العلماء الثالث انه دخلها التخصيص باستثناء المذكورين - الرابع ان اصل العبادة التذلل كما ذكر وعمومها على هذ الوجه ممكن لقوله تعالى [وان من شيء الا يسبح بحمده] و قوله صلى الله عليه وسلم المولود يولد على الفطرة - الخامس مايؤل اليه ما ذكروه

في العموم من التناقض المذكور * قلت ومع هذه كلها ينبغي ان يعارضوا بقوله عزوجل [ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس] الآية - و وجه الاستدلال بها - ان المخلوقين لجهنم ليسوا مخلوقين للعبادة لان المخلوقين للعبادة هم الذين سبقت لهم الحسنى بالسعادة و قد قال الله تعالى فيهم [اولئك عنها مبعدون] قال ومما يستدلون به قوله تعالى [ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك] قلنا في الآية المتقدمة على هذه دلالة قاطعة على بطلان مذهبكم يعني قوله عزوجل [قل كل من عند الله] وتكلم على ذلك * ثم قال في آخر كلامه على ان المعتـــزلة لا يقولون بظاهر الآية بعنى الآية التي احتجوا بها اذ الخير و الشر من افعال العباد واقعان بقدرة العباد خارجان عن مقدور الله تعالى فيهما جميعا بالعبد عندهم انتهى كلامه * قلت جميع ما ذكرت عن امام الحرمين المشهور بجودة النظر و الانتقاد اختصرته و جمعته من مواضع متفرقة من كتابه الارشاد - و قد كنت قدمت شيئًا من المعقول على ما استشهدت به من المنقول ثم اردفناه بكلام امام الحرمين المذكور المرتضى وها انا اورد شيئًا من المباحث العقلية ايضا و اقتصر منها على اربعة اشياء محصورة التعداد العلم و القدرة و الارادة و خلق افعال العباد * فاقول هل علم الحق سبحانه كفر الكافر قبل خلقه ام لا انصفني و الا اعتزل مسائلي ايها المعتزلي - فان قلت لم يعلم ذلك فقد نسبته الى الجهل تعالى الله عن ذلك و كذبت فيما صدق القايلين [ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين] وقوله عزوجل [لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر] و قوله الكريم [وهو بكل شيء عليم] و غير ذلك من الآيات والذكر الحكيم - التي تكذيبها كفر بالله العظيم - و ان قال علمه قلت فهل قدر على منعه منه ام لا فان قلت لم يقدر فقد نسبته الى العجز تعالى الله عن ذلك و مثلك في ذلك مثل من هرب من الرشاش فوقع تحت الوابل بل غرق في بحر ليس له ساحل - اعني انك هربت مما توهمت انه يكون ظلما في حقه تعالى ووقعت فيما هو اعظم و هو نسبته اليه من الجهل والعجز تعالى

الله عن ذلک علوا كبيرا - و ان قلت قدر على منعه من ذلک ولم يمنعه فقد نسبت الرب القدير الحكيم الخبير سبحانه الى الرضى بالقبيح الذي زعمت انه لاينسب الى الله تعالى اذا يصير مقدرا عليه مع القدرة على المنع منه و على ان لا يكون شي من القبيح في مملكته و نقضت اصلک و هدمت مذهبک بل نقضت ذلک و هدمته بما هو اعظم و اوضح واجلى مما ليس لك عنه محيد ولا محيص اصلا * وهو قولك بوجوب الاصلح على الله عز وعلا وتقدس عن ذلك وتعالى فبالله عليك هل الاصلح عدم الايجاد للكفار ام ايجادهم مع تخليدهم في النار ام موتهم فيها ام بقاءهم على تعاقب الدهور في العذاب الشديد والويل والثبور وحرمان القصور وسائر اللذّات والسرور في دار الكرامة والنعيم المقيم مع رضوان الله وجوار المولى الكريم والتعوّض عن ذلك سخط الجبار وعذابه الاليم نسأل الله الكريم العفو والعافية من ذلك ومن جميع البلايا والمهالك لنا ولاحبابنا المسلمين آمين * والى نفي الوجوب على الله اشرت في بعض القصائد بقولي *

وما من واجب بل راغ حمق * وضلوا باعتزال عن صواب

عليه اوجبوا اشيا ولم يبق * الا ان يقوموا للعقاب

وما للعقل حكم بل لشرع على * في منصب على انتصاب

ففي سبحان لا تعذيب الا * ببعث الرسل في نص الكتاب

ثم اقول بعد هذا و اذا اعترفت بالحق من انه سبحانه علم كفر لكافر قبل خلقه قلت لك هل اراد صدور الكفر منه ام لم يرده فان قلت اراده فقد حصل المراد و وافقتنا وذلك هو المراد ويمكن ان نقضت اصلك ولزم كون مذهبك غير صحيح بتجويزك ...... و ارادة ما زعمت من القبيح واقول ان لم يرد ذلك بل اراد منه الايمان - فقضيت بوجود ما لم يرد وعدم ما اراد فصار على حكمك هذا ماشاء الله لم يكن وما لم يشاء

كان عكس ما اجمع عليه السلف الصالح وصار الملك القهار على هذا مقهوراً
وحينئذ يكون الواقع على وفق ارادة عدوّ الله ابليس اكثر من الواقع على
وفق ارادته تعالى اذا المعاصي اغلب من الطاعات لقوله تعالى
[الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم] و قوله عز وجل [ولا تجد
اكثرهم شاكرين] * قلت و على هذا قال الامام حجة الاسلام ابو حامد رضى
الله عنه [1] .... [ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس] يقول خلقنا
وفي قوله تعالى [ولا يزالون مختلفين الا مَنْ رَحِم ربّك ولذلك خلقهم]
يقول فريقين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم فيختلف و ذلك قوله
[فمنهم شقي وسعيد] وفي قوله تعالى [ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
و اهليهم يوم القيامة] قال وهم الكفار الذين خلقهم الله للنار وخلق النار لهم
فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة قال الله تعالى [خسر الدنيا
والاخرة] وفي قوله تعالى [كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة] قال ان الله تعالى بدأ خلق بني آدم مومنا و كافرا كما قال
تعالى [هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن] ثم يعيدهم يوم القيامة
كما بدأ خلق مومنا و كافرا وفي قوله تعالى [واجعلنا للمتقين اماما] يقول
ائمة تهتدي بنا ولا تجعلنا ائمة ضلالا لانه قال لاهل السعادة وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وقال لاهل الشقاوة وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
وفي قوله تعالى [يحول بين المرء وقلبه] يقول يحول بين المومن و بين
الكفر ويحول بين الكافر و بين الايمان وفي قوله تعالى [قال رب بما
اغويتني] اى اضللتني وفي قوله تعالى [فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين الا من هو صال الجحيم] يقول لا تُضِلّونَ انتم ولا أُضِلُّ منكم الا مَنْ
قضيت له انه صال الجحيم وفي قوله تعالى [وجعلنا في اعناقهم اغلالا]

---

[1] Two folios are missing here from the MS

وفي قوله تعالى [اغفلنا قلبه عن ذكرنا] وقوله تعالى [ولو شاء ربّك لآمن من في الارض كلهم جميعا] ونحو هذا من القرآن * قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَحْرُصُ على ان يومن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله تعالى انه لا يومن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من يسبق له من الله الشقاوة في الذكر الاول ثم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم [لعلك بَاخِعٌ نفسك ان لا يكونوا مومنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية] وفي قوله تعالى [امرنا مترفيها] يقول سلطنا شرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك اهلكناهم بالعذاب - وهو قوله تعالى [وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها] وفي رواية اخرى عنه اكبرنا فساقها - وفي قوله تعالى [افلا يتوبون الى الله و يستغفرونه] قال قد دعا الله تعالى الى التوبة ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه - قال تعالى [ثم تاب عليهم ليتوبوا] - وفي قوله تعالى [قل كل من عند الله] يقول الحسنة والسيئة من عند الله اما الحسنة فانعم الله بها عليك واما السيئة فابتلاء الله بها - وفي قوله تعالى [ان تكفروا فان الله غني عنكم] يعني الكفار [الذين لم يرد الله ان يطهّر قلوبهم] فيقولوا لا اله الا الله - ثم قال [ولا يرضى لعباده الكفر] وهم عباده المخلصون الذين قال تعالى [ان عبادي ليس لك عليهم سلطان] فاكرمهم شهادة ان لا اله الا الله وحسبها اليهم - وفي قوله تعالى [واما ثمود فهديناهم] يقول بيّنّا لهم - وفي قوله تعالى [وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا اياه] يقول أَمَرَ - وفي قوله تعالى [واضله الله على علم] يقول اضله في سابق علمه - وفي قوله تعالى [ونبلوكم بالشر والخير فتنة] يقول نبتليكم بالشدة والرخا والصحة والسقم والغنا والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلالة - وفي قوله تعالى [ومن يرد الله فتنته فلن تملك له

من الله شيئا] يقول من يرد الله ضلالته لم يغن عنه شيئا * كل هذا المذكور رواه الامام البيهقي بسنده كما ذكرنا * و روي الامام الحاكم ابو عبد الله من حديث عطا بن السائب عن مقسم عنه انه قال اول ما خلق الله تعالى القلم خلقه من هجاً قبل الالف واللام فتصور قلما من نور فقيل له أجرِ في اللوح - قال يا رب بما ذا - قال لما يكون الى يوم القيامة - فلما خلق الله الخلق وكّل لهم حفظة يحفظون عليهم اعمالهم فاذا قامت القيامة وعرضت عليهم اعمالهم وقيل [هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون] عرض بالكتابين فكانا سواءً * قال ابن عباس الستم عربا هل يكون النسخة الا من كتاب - رواه الحاكم عنه كما ذكرنا وقال صحيح - وعن طاوس قال كنت عند ابن عباس ومعنا رجل من القدرية فقلت ان ناسا يقولون لاقَدَرَ قال او في القوم احد منهم قلت لو كان ما كنت يصنع به قال لو كان فيهم احد منهم لاجذب براسه ثم قرات عليه انه كذا وكذا [وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الارض مرتين - الاية] رواه الحاكم من حديث الاعمش عن عبد الله بن ميسرة عن طاوس وقال على شرط البخاري ومسلم و رواه البيهقي ايضا بسنده الصحيح - قال طاوس فتمنيت ان كل قدري كان عندنا * ومن حديث عكرمة عنه قال كان الهدهد يدل سليمان على الماء فقلت وكيف ذلك والهدهد ينصب له الفخّ يلقي عليه التراب * فقال اذا جاء القضا ذهب البصر * قلت وفي نحو هذا مثل يذكر اذا نزل القدر عمي البصر ولم ينفع الحذر * وفي حديث سعيد بن جبير عنه ان القدر اذا جاء حال دون البصر * قال الحاكم على شرطهما وروي البيهقي ايضا كل هذه المذكورات وغيرها مما يطول ذكره وجميع هذا المذكور عن ابن عباس من روايات الائمة المذكورين هو من تفسيره * واما ما رواه عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقد قدمت عنه ما اخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من قوله صلى الله عليه وسلم في اولاد المشركين لما سئل عنهم الله اعلم اذ خلقهم بما كانوا عاملين * وفي صحيح مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق ابويه طغيانا وكفرا ومما روي ابن عباس ايضا خطبة النبي صلى الله عليه وسلم لضماد من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له * و روي ايضا حديث واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشي قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشي لم يضروك الا بشي قد كتب الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف الحديث - رواه الترمذي وصححه ومن رواية غير الترمذي * واعلم انما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطيك * وما رواه البيهقي بسنده الى ابى الجورا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى قال يقول الله عز وجل ابن آدم انا خلقت الخير والشر فطوبى بالعبد قدّرتُ على يديه الخير - و ويل لعبد قدّرت الشر على يديه * و روي الطبري بسنده الى عطاء بن ابي رباح قال كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال ارايت من صدني عن الهدى واوردني دار الضلال والردي لاتراه قد ظلمني - قال ان كان الهدى شىالك عنده فقد ظلمك و ان كان الهدى هو له يوتيه من يشاء فلم يظلمك ولا تجالسني * و روي الطبري بسنده الصحيح الى ميمون بن مهران قال قال لي ابن عباس رضي الله عنهما احفظ عني ثلاثا اياك والنظر في النجوم فانها تدعوا الى الكهانة - واياك والقدر فانه يدعو الى الزندقة - واياك وشتم احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكبك

الله في النار علي وجهك وغير ذلك مما روي عنه حذفته ايثارا للاختصار واكتفاء لما فيه كفـــاية لاهل الاعتبار ومنهـــم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد يقدم قوله في الحديث الصحيح اذ القيت اولئك فاخبرهم اني اني بري منهم وانهم برأء مني والذي كلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثـــل احد ذهبـــا فانفقه ما قبل الله منه حتي يومن بالقدر - الحديث * وفيه قوله صلى الله عليه وسلم ويومن بالقدر خيره وشره - وروي الطبري بسنده الي نافع ان ابن عمر قال له رجـــل ان قوما يتكلمون في القدر - فقال اولئك يصيرون الي ان يكونوا مجوس هذه الامة - فمن زعم ان مع الله تعالي قاضيا او قادرا او رازقا او ملك او قال او مالـــكا لنفسه ضرا اونفعا او حيوة او نشورا لعنه الله واخرس لسانه واعمي بصره وجعـــل صلوته وقيامه هبا وقطع له الاسباب وكبه علي وجهه في النار ومنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - وقد قدمت عنه حديث الصحيحين وغيرهما الذي قال فيه فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمـــل بعمـــل اهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب الحديث الي آخره * وقوله في الحديث الصحيح الذي اخرجه مسلم الشقي من شقي في بطن امه * وفي المستـــدرك على الصحيحين عن عبد الله قال والذي لا اله غيره ما في الارض نفس الا الموت خيـــر لها ان كان مومنا فان الله تعالي يقول [لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات] وان كان فاجـــرا فان الله تعالي يقول [انما نملي لهم ليزدادوا اثما] رواه الحاكم * وقال علي شرطهما ومنهم عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما و روي الحـــاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين - عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلـــم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور يومئذٍ شئ اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك حف القلم

على علــم الله * قال الحاكم على شرطهما ولا علة له * و رواه البيهقي عن الحاكم واخرجه ابو حاتم بن حِبّال بكسر الحاء المهملة وتشديد الموحدة - قال الامام البيهقي القي عليه من نوره اى ممن علم الله ايمانه وامر القلم فجرى به وكتب من السعداء اصابه من ذلك النور فاهتدى - ومن علم الله كفره وامر القلـم فجري به وكتب من الاشقيـــا اخطاه ذلك النور- قال الله تعالى [او من كان ميتا فاحييناه وجعلنـــا له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمـــات ليس بخارج منها] وقال تعالى [الله ولي الذين آمنوا يخرجهـــم من الظلمات الى النور] وقال تعالى [واضله الله على علم] ومنهـــم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما * روي الامام مالك رضي الله عنه فى الموطا عن عمرو بن دينار قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول في خطبته ان الله هو الهـــادي والفاتر * ومنهم عمران بن حصين رضي الله عنه روي البخاري ومسلم عنه قال قيـــل يا رسول الله علم اهل الجنة من اهل النار قال نعم قيل ففيم يعمـــل العاملون قال كل ميسر لما خلـــق له قلت وقد قدمت عنه نحوا من هذا - من حديث البخاري * وروي البيهقي بسنده الصحيح الى ابى الاسود الديلمي قال قلت لعمران بن حصين اني جلست مجلسا ذكروا فيه القدر فقال عمران الله الذي لا اله الا هو لو ان الله عذب اهل السمـــوات والارض عذبهم وهو غير ظالم حين يعذبهم - ولو رحمهم كانت رحمته اوسع لهم وسنقدم المدينة فنســـال ابن مسعود وابي بن كعـــب وسالهما فقالا مثـــل ذلك * و رواه الطبري بسند صحيح عنه و زاد فيه ولو ان لرجـــل مثل أُحُد ذهبا ينفقه في سبيل الله لا يومن بالقدر خيره وشره لا يقبل منه - ومنهم عمار بن ياسر رضي الله عنه روي عبـــد الله بن المبـــارك بسنده عنه قال قال موسى يا رب خلقت خلقـــا خلقهم للنـــار فاوحى الله اليه ان ازرع زرعا فزرعه

وسقاه وقام عليه حتى حصده وداسه - قال ما فعل زرعك - قال رفعته - قال ما بركت منه - قال ما لا خير فيه - قال فاني لا ادخل النار الا ما لا خير فيه - ومنهم ابو هريرة رضي الله عنه * روي الامام احمد بسنده الى عمار مولى بني هاشم قال سالت ابا هريرة عن القدر فقال كيف بآخر سورة القمر وقد قدمت عنه احاديث صحيحة في القدر من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم حظه من الزنا حديث البخاري * وقوله صلى الله عليه وسلم قال قدر الله وما شاء فعل حديث مسلم و غير ذلك * ومنهم ابو موسى الاشعري رضي الله عنه - روي الحافظ ابن حبان عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على حسب ذلك منهم الاسود والابيض والاحمر والاصفر ومنهم بين ذلك ومنهم السهل ومنهم الحزن والخبيث والطيب * و روي نحوه ابو داؤد والترمذي و صححه ولفظه ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنوا آدم على قدر الارض الحديث * و روي ابن حبان ايضا في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله آدم ثم اخذ الخلق من ظهره فقال هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي - قال قائل يا رسول الله فعلى ماذا العمل قال على مواقع القدر - و روي نحوه ابو داؤد والترمذي والحاكم وقال على شرطهما ولفظه ان الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية - فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون - ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية - فقال خلقت هولاء للنار و بعمل اهل النار يعملون الحديث - ومنهم سلمان الفارسي رضي الله عنه - روي البيهقي بسنده الصحيح الى حجاج الازدي قال سالنا سلمان ما الايمان بالقدر قال ان نعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه و ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه -

و روي الطبري عنه انه قال ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذاري الى يوم القيامة - وكتب الاجال والاعمال والارزاق والشقاوة والسعادة - ومنهم ابو الدردا رضي الله عنه - روي البيهقي عنه بسند حسن انه قال كل يعمل في ثواب اعد له قلت هكذا هو في الاصل المنقـــول منه ولعله في ثواب او عقاب اعد له والله اعلـــم - ومنهـــم ابي بن كعب و زيد بن ثابت وحذيفة بن النعمان وعمرو بن العاص وعائشه بنت ابي بكر رضي الله عنهم اجمعين - روي الحافظ ابو حاتم بن حبان بسنده الصحيح الى ابن الديلمي قال اتيت ابي بن كعب فقلت لـــه وقع في نفسي شي من القدر فحدثني بشي لعـــل الله يذهبه من قلبي قال لو ان الله عذب اهل سماواته واهل ارضه عذبهـــم و هو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم ولو انفقت مثل احد في سبيـــل الله ما قبله الله منك حتى يومن بالقدر - وتعلـــم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولو مت على غيـــر هذا لدخلت النار - قال اتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك - ثم اتيت زيد بن ثابت فحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك - و روي البيهقي بسنده الى زيد بن اسلـــم قال قال عمر بن الخطـــاب لعمرو بن العاص لقد عجبت لك في ذهنك وعقلك كيف لم يكن من المهـــاجرين الاوليـــن - فقال له عمرو وما اعجبك يا عمر من رجـــل قلبه بيد غيره لا يستقيم او قال لا يستطيع التخلص منه الا الى ما اراد الذي بيده - فقال عمر صدقت - و روي الحاكم والطبري بسنديهما عن عمرو بن العاص قال عجبت من الرجل يفر من القدر وهو بواقعه ومن الرجـــل يري القذاة في عين اخيه و يدع الجزع في عينيه - وقد قدمت عنه ايضا حديثين في القدر رواهما الترمذي - و روي البيهقي بسند صحيح الى خثيمة عن

عطية قال دخلت انا ومسروق على عائشة رضي الله عنها فذكر - واقول
عبد الله يعني ابن مسعود من احب لقا الله احب الله تعالى لقاه - ومن
كره لقا الله كره الله لقاه - قال رحمه الله على ابن ام عبد حدثكم اول
حديث لم تسالوه عن اخرة ان الله اذا اراد العبد خيرا قبض له قبل موته
بعام ملكا يسدده و يفسره حتى يموت وهو خير ما كان يقول الناس مات
فلان وهو خير ما كان فاذا احتضر وراي ثوابه من الجنة جعل يودع نفسه -
ود لو خرجت قبل ذلك حين احب لقا الله واحب الله لقاه -
وان الله اذا اراد بعبد شرا قبض له شيطانا قبل موته بعام يفتنه ويصده
ويضله حتى يموت حين يموت وهو شر ما كان و يقول للناس مات فلان
وهو شر ما كان فاذا احتضر ورای ما اعد له فی النار جعل يتبلغ نفسه
كراهة للخروج فعند ذلك يبغض لقا الله والله للقائه ابغض - و روي
البيهقي ايضا عنهما انه ذكر لهما خروجهما فقالت كان يقدر قلت يعني
خروجها الى البصرة حتى جرى يوم الجمل ما جري - و روي الطبري
بسنده الى هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة ان العبد ليعمل الزمان
بعمل اهل الجنة وانه عند الله مكتوب من اهل النار الحديث - و رواه
ابن حاتم بن حبان في صحيحه لفظه عن عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة وانه لمكتوب فی الكتاب
انه من اهل النار فاذا كان قبل موته بحول يعمل بعمل اهل النار فيدخل
النار - وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار انه مكتوب فی الكتاب انه من
اهل الجنة - فاذا كان قبل موته بحول فعمل بعمل اهل الجنة فمات
فدخل الجنة - اللهم انا نسالك حسن الخاتمة مع العفو والعافية فی الدنيا
والاخرة لنا ولاحبابنا والمسلمين آمين - قلت فهذا ما اقتصرت على ذكره
عن هولاء السادة المذكورين الذين اقتصرت من سادات الصحابة عليهم -

وقد قدمت ان احاديث القدر رواها فوق ثلاثين صحابيـــا ومن التابعين زين العابدين علي بن الحسين رضوان الله عليه وعلى ابائه - روى الطبري بسنده ان رجلا من البصـــرة جاء اليه - فقال له يا سيدي اني وافد اهل البصرة اليك قال القدر قد فشابها وارتد اكثر الناس - فقال له سل - فقال للخير - فقال اكتب علم وقضا وقدر وشا واراد واحب - فقال الشر - فقال اكتب علم وقضا وقدر وسآء واراد ولم يرض ولم يحب - فرجع الى البصرة فقرا على الناس ما كنت فرجع اكثرهم - و روى عنه اقوال اخرى غليظة في تكفيـــر اصحاب القدر رواها الامـــام البيهقي وغيره باسانيدهم - قلت وهذا صريح من زين العابدين في التفريق بين الارادة والرضـــا وهو موافق لما قدمته من قول بعض ايمتنا - ومنهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - روى الامام البيهقي بسنده الى الامام مالك - قال ان عمر بن عبد العزيز كان حكيما يقول لو اراد الله ان لا يعصي ما خلق ابليس - قلت وقد ذكر الامام الثعالبي رواية ان آدم عليه الســـلام التقي بابليس في الارض فلامه على صنيعه وقال يا ملعــون انت الذي اخللت بي وعزرتني واخرجني من الجنـــة وفعلت وفعلت - قال فبكـــي ابليس وقال يا آدم انا فعلت بك ما تقول وانزلتك هذه المنـــزلة فمن فعل بي ما انا فيه واحلني هذه المنزلة - رجعنا الى كـلام عمر بن عبد العزيز وكان يقول ان في كتاب الله لهولاء القدرية علمـــا بينـــا علمه من علمه وجهله من جهله قوله تعـــالى [فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم] و روى سعيد بن منصور في تفسيره قال حدثنا عمر بن دينار قال خرجت وافدا الى عمر بن عبد العزيز في نفر من اهل الكـــوفة وكان معنـــا صاحب لنا يتكلـــم في القدر - فسالنا عمر بن عبد العزيز حوائجنا ثم ذكرنا له القدر - فقال لو اراد الله ان لا يعطني ما خلق ابليس - ثم قال قد بين انه ذلك

في كتابه [فالكم وما تعبدون الاية] فرجع صاحبنا ذلك عن القدر - ورواه الطبري بسنده الى عمر بن ذر وراد لو ان الله تعالى كلف العباد على قدر عظمته لما قامت لذلك سماء الارض ولا جبل ولا شي من الاشياء ولكنه اخذ منهم اليسير - ولو اراد واحب ان لا يعصي لم يخلق ابليس راس المعصية - قال بعض الايمة المتاخرين رحمه الله على عمر لقد اتانا حسن دليل واخصر ولهذا قال مالك انه كان حكيما - و روي عنه سعيد بن منصور بسنده انه قال يا ايها الناس اتقوا الله من احسن فليحمد الله - ومن اساء فليستغفر الله فانه الله لابد لاقوام ان يعملوا اعمالا كتبها الله عليهم ووضعها في ركابهم - وقال ايضا فيما رواه ابو داؤد من رواية سفيان الثوري وغيره عنه ما اعلم الناس - وحدث الناس من محدثة ولا ابتدعوا من بدعة هي ابين امرا ولا ابت امرا من الاقدار بالقدر لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم يعزون به انفسهم على ما فاتهم - ثم لم يزده الاسلام الا شده - ولقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث ولا حديثين قد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقينا وتسليما لربهم عز وجل وتضعيفا لانفسهم ان يكون شي لم يحط به علمه ولم يحصه كتابه ولم يمض فيه قدرته وانه لمع ذلك في محكم كتابه لمنه اقتبسوه ولمنه تعلموه و لئن قلتم انزل الله كذا وثم قال كذا لقد قروا منه ما قراتم وعلموا من تاويله ما جهلتم وقالوا بعد ذلك كله بكتاب وقدروا ما يقدر يكن وماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ولا يملك لانفسنا نفعا ولا ضرا - ثم رغبوا وبعد ذلك ذهبوا - روي الامام الطبري بسنده الصحيح الى الامام الاوزاعي قال كتب عمر بن عبد العزيز الى ابن له كتابا فكان فيما كتب اني اسال الله تعالى الذى بيده القلوب يضع فيها ما يشاء من هدى وضلالة - و روى الامام احمد بن حنبل رضي

الله عنه بسنده عنه انه دعي غيــلان لشيٍ بلغــه عنه في القدر - فقال يا غيــلان ما هذا الذي بلغني عنك - قال يكذب علي - قال ما تقول في العلم - قال هذا العلــم - قال اذهب الان فقل ما شيت يا غيــلان انك ان قررت بالعلــم خصمت وان جحدته كفرت - و انك ان تقربه فتخصم خير لك من ان يجحده فيكفر - ثم قال اقرأ [يس] قال نعم - فقرأ [يس] الى قوله تعالى [لا يومنــون] قال كيف ترى - قال كاني لم اقرأ هذه الايات قط اني اعاهد الله ان لا اتكلم في شي مما كنت اتكلم فيه ابدا قال اذهب فلمــا ولّى قال اللهــم ان كان كاذبا فاذقه حر السلاح فلم يتكلــم في زمن عمر فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك تكلم فلما ولى هشام ارســل اليه وقال ليس قد كنت عاهدت الله لعمر بن عبد العــزيز ان لا يتكلم في شي من هذا ابدا - قال اقلني فوالله لا اعود قال لا قال لا اقالنى الله ان اقتلك اتعرف فاتحة الكتاب - قال نعم - قال اقرأ فقرأ [الحمد لله رب العالمين الى اياك نعبد واياك نستعين] قال قف على ما استعنته على امر بيده لا يستطيعه او على امر بيــدك اذهبوا فاقطعوا بيديه و رجليه و اضربوا عنقه و اصلبوه - قال الايمة هذا الحــديث اسناده صحيح - و قد روي العلمــاء من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اثبات القدر والايمان به وتضليــل منكريه والتغليظ على القدرية ما يطول ذكره من ذلك ما روي الامــام البيهقي بسنده عنه ان اصحاب القدر يستتابون فان تابوا والانفــوا من ديار المسلمين ومن التابعين ايضا الحسن البصــري رضي الله عنه - روي البيهقي بسنده الصحيح الى حميد قال قدم الحسن مكة فكلمني فقهــاء مكة ان اكلمه فيجلس لهــم يوما فكلمته فقال نعــم فاجتمعوا و هو على سرير - فقال له رجــل ياابا سعيد من خلق الشيطــان قال سبحان الله [و هل من خالق غير الله] خلق الشيطان و خلق الخير

و خلق الشر - و روي ايضا بسنده الصحيح الى حماد بن زيد عن خالد قال قلت للحسن يابا سعيد آدم خلق للارض ام للسماء - فقال خلق للارض فقلت اريت لو انه استعصم فلم ياكل من الشجرة - قال لم يكن له بد من ان ياكل منها لانه خلق للارض - و روي ايضا بسنده الصحيح الى حميد قال قرات القرآن كله على الحسن ففسره على الاثبات فسالته عن قوله تعالى [كذلك سلكناه في قلوب المجرمين] قال الشرك بالله سلكه في قلوبهم - وسالته عن قوله تعالى [ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون] قال اعمال سيعملونها - وسالته عن قوله تعالى [ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم] و روي ايضا بسنده الصحيح الى خالد عنه في قوله تعالى [ولذلك خلقهم] قال خلق هولاء للجنة وهولاء للنار - وبسنده الصحيح الى الاشهب عنه في قوله تعالى [وحيل بينهم و بين ما يشتهون قال بينهم وبين الايمان - وبسنده الصحيح ابي مروان مولى هند بنت المهلب قال دعا معبد الى القدر علانية فما كان احد اشد عليه في التفسير والرواية والكلام من الحسين فعبت ثم قدمت فالقي معبدا فقال لي اما شعرت ان الشيخ وافقني يعني الحسن فاصفعوا بعد ما شئتم فاتيته فقلت يابا سعيد قول الله تعالى [تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ما له وما كسب سيصلى نارا ذات لهب] كان في ام الكتاب - قبل ان يخلق الله عز و جل ابا لهب فقال سبحان الله ما شانك نعم والله وقبل ان يخلق ابا ابيه - فقلت فهل كان ابولهب يستطيع ان يومن حتى لا يصلي هذ النار - قال لا والله ما كان يستطيع فقلت احمد الله هذا الذي كنت عهدتك عليه ان الذي دعاني الى ما سالتك ان معبد الجهني اخبرني انك قد وافقته قال كذب لكع كذب لكع - قلت وهكذا بلغني عن بعض المبتدعة انهم يدعون نطريق البهت والافترا

ان الحسن البصـــري على عقيدتهم حتى ادعوا ذلك ايضا فى الامـــام ابي حامد الغزالي بل بلغني ان بعضهم ادعى ذلك في الامام الشافعي وغيره من العلماء الاجـــلاء ومن كبار الاولياء من ائمة اهل السنة وصلحـــايهم يدلسون بدلك على الجهال ليستميلوا العوام تغريتهم بالصـــلاح اهل العلم والصـــلاح من اجلاء اهل السنة وائمتهم بمجرد التمويه والكذب الصـــريح والاختلاف والافتراء القبيـــح الذي يكذبهم به ضرورة حس السمع والبصـــر كما يكذب منكـــر وجود الشمس والقمر وما مثالهم فيما ادعوه من ذلك الا كمثال قوم لا يزال بعض الملوك يدهمهم بعساكره ويقابلهم ويهزمهم طول دهره ويجلب عليهم بخيله ورجله ويفتك فيهم باسره وقيله لسوء سيـــرتهم وقبح طريقهم حتى افنـــاهم ومن بلادهم نفاهم - فلما مات ادعوا انه لهم موافق - وبحسن سيرتهم وابق - ولطريقهم سالك وشاكر ومكذبين في ذلك جميـــع العساكر الذي لطـــريقته يتبعون وبطعنه في طريقهم دائما يسمعون وبطعانه فيهم طول الدهر يجتمعـــون فان كل من ادعوا من اهل السنة انه منهـــم ليتكثروا به ويزينوا مذهبهم بكونه بزعمهم داخـــلا فيه معهم تكذبهم تصانيفه وسيرته وقوله وفعله وعلمه وعمله وظاهره وباطنه وانكاره عليهم وطعنه فيهم لتغيره عنهم ومخالفته لهم ومخاصمته معهم ومحاربته اياهم وغير ذلك مما امتلا به الوجود من كثرة الشهود - وامتنع فيه الجحود كما امتنـــع جحود المعاين المشهود - وهكذا ادعوا ان اهل البيت رضوان الله عليهم يعتقدون معتقدهم وقد قدمت عن علي وذريته وابن عباس رضي الله عنهم من الاحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم وغيرهما ما يكذبهم - وقد روي الطبـــري بسنده أن رجـــلا من الشيعة سال جعفر بن محمد الصادق رضوان الله عليه عن القدر - فقال له اكتب ان الله تعالى لا يطـــاع قهرا وان الله لا يعصي قهرا فاذا اراد الطاعة كانت واذا اراد المعصية كانت فان عذب فبحق وان

عفي .ميا لفضـــل او قال فيفضـــل رجعنا الى حديث الحسن البصري الذي ادعوا انه منهم - روي ايمتنا عنه بسند صحيـــح انه قال من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن - و روي الحـــاكم بسنده الى ابن ابي يحيى قال سمعت الحسن واتاه رجل فقال يزعم ان من قتل مظلوما فقد قتـــل في غير اجله مقال من اكل بقية رزقه بل قتل في اجله قلت جميع هذا الكلام من قوله يزعـم الى قوله كـــلام الحسن وهو ظاهـــر وانما نبهت عليه ليـــلا يتوهم من ليس له معـــرفة بمذهب اهل السنة واهل البـدعة غير ذلك - وتقدير الكـــلام اياه رجـل مقال له الحسن يزعم وانما اعاد قوله مقـــال تاكيدا والزاما كانه قال فان كان كمـا يقـول فمن اكل بقية رزقه - وقال الامـام احمد بن حنبـــل رضي الله عنه حدثنـا اسماعيـــل عن منصور بن عبد الرحمن قال قلت للحسن قوله عز و جـل [ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكـم الا في كتاب من قبـل ان نبرأها] قال سبحان الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والارض في كتاب الله قبل ان يبرأ النسمة - و روى الطبـري بسنده عنه انه قال من كذب بالقدر فقد كذب بالاسـلام * و منهـم سعيد بن المسيب رضي اللـه عنه - روى البيهقي عن عمـرو بن شعيب قال كنت عند سعيـد بن المسيب رضي الله عنه اذا جاءه رجـل مقـال يا ابا محمد ان ناسا يقولون قدر الله كل شيء ما خلا الاعمال - مغضب سعيد غضبا لم اره غضب مثله قط حتى هم بالقيـام - ثم قال فعلوها فعلوها ويحهم ويحهم لو يعلمون اما اني سمعت فيهم حديثا كفـاهم به شرا - فقلت وما ذاك يا ابا محمد يرحمك الله - فقـال حدثني رافع بن خديج عن النبي صلى اللـه عليه وسلـم انه قال سيكـــون في امتي اقوام يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعـــرون - فقلت يا رسول الله كيف يقولون - قال يقرون ببعض القدر ويكفرون ببعض يقولون

الخيـر من الله والشر من الشيطـان الحديث * ومنهم سالم بن عبد الله رضي الله عنه - روى البيهقي بسنده الى سفين عن عمر بن محمد قال جاء رجل الى سالم بن عبد الله - فقال أرأيت رجلا زني قال يستغفر الله - قال كتبه الله عليه - قال نعم - قال فيعذبه وقدكتبه عليه فاخذ كفا من حصا فحصبه * ومنهـم عطا بن ابي رباح رضي الله عنه - روى الحاكـم بسنده الى عبد الواحد بن سليم - قال سألت عطأ فقلت ان ناسا من اهل البصرة يقولون في القدر - قال تقرأ القرآن - قلت نعم - قال اقرأ الزخرف - فقرأت [حم والكتاب المبين] الى قوله تعالى [وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم] قال أتدري ما ام الكتاب - قلت الله ورسوله اعلم - قال هو الكتاب الذي كتبه قبـل ان يخلـق السموات والارض فيه ان فرعون من اهل النار و [تبت يدا ابي لهب] * ومنهم طاؤس رضي الله عنه - روى الطبري بسنده الصحيح الى عمرو بن دينار قال قال طاؤس احذروا معبد الجهني فانه قدري * ومنهـم مجاهد رضي الله عنه - روى سعيد بن منصـور عن سفيان عن ابن ابي نجيـح عنه انه قال في قوله تعالى [لا تجعلنـا فتنة للقوم الظالمين] قال لا تسلطهم علينا فيفتنونا فيفتنوبنا - وبسند البيهقي للصحيح الى ابن ابي نجيح انه قال في قوله تعالى [يحول بين المرأ وقلبه] قال يحول بين الكافر وقلبه حتى يتركه لا يعقل - وبسنده الى منصور عنه في قوله تعالى [ما انتـم عليه بفاتنين الا من هو صـال الجحيـم] في علم الله - وبسند سعيد عن سفيان عن ابن ابي نجيح عنه في قوله تعالى [اني اعلم ما لا تعلمون] قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها - وروى الطبري بسنده الى الحاكم عنه في قوله تعالى [وكل انسان الزمناه طائره في عنقه] قال مكتـوب في ورقة في عنقه شقي او سعيد * ومنهـم ابن سيرين رضي الله عنه - روى الامـام احمد بسنده عنه قال ان لم يكـن

اهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا ادري من هم * ومنهم سعيد بن جبير رضي الله عنه - روي سعيد بن منصور بسنده عنه في قوله تعالى [وهديناه النجدين] نجد الخير ونجد الشر - وبسند الطبري اليه [لو لا كتاب من الله سبق] قال ما سبق لاهل بدر من السعادة - وفي قوله تعالى [اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب] قال ما سبق لهم من الشقاوة * ومنهم اياس بن معاويه بن قرة رضي الله عنه - روى الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه بسنده عنه انه قال ما كلمت احدا من اهل الاهواء بعقلي كله الا القدرية - قلت لهم ما الظلم فيكم - قالوا أن يأخذ الانسان ما ليس له - فقلت لهم ان لله كل شيء - قلت وقد قدمت عن الامام مالك انه بلغه عنه انه قيل له ما رأيك في القدر - فقال لا يعلم سره الا الله - قال مالك وكان يضرب به المثل في الفهم * ومنهم الشعبي - روى الطبري بسنده عنه انه قال لا تجالسوا القدرية - و روى بسنده ايضا غير ذلك من اغلاظ القول فيهم والتكفير لهم * ومنهم زيد بن اسلم رضي الله عنه - روى الطبري بسنده الحسن الى الربيع بن حيثم عن زيد بن اسلم قال والله ما قالت القدريه كما قال الله عز وجل ولا كما قالت الملائكة ولا كما قالت الانبياء ولا كما قال اهل الجنة ولا كما قال اهل النار ولا كما قال اخوهم ابليس - قال الله تعالى [وما تشاؤن الا ان يشاء الله] وقالت الملائكة عليهم السلام [لا علم لنا الا ما علمتنا] وقال شعيب صلى الله عليه وسلم [وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا] وقال اهل الجنة [الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله] وقال اهل النار [ربنا غلبت علينا شقوتنا] وقال اخوهم ابليس [رب بما اغويتني] *

قلت وهذا ما اقتصرت عليه ايضا من كلام هؤلاء العلماء المذكورين الذين اقتصرت عليهم من اجلاء التابعين رضي الله عنهم اجمعين * ومن

الفقهاء الاجــلاء الائمة المشهورين قدوة الامة المتبعين للسنة احسن المتابعة المتبوعين اهل المذاهب الاربعة مالك والشافعي واحمد وابوحنيفة رضي الله عنهم وارضاهم وجعل في علا الجنان ماواهم * وها انا اذكر شيأ من كلامهم وكلام اصحابهم في القدر بتقدم من تقدم منهم في الزمان وتاخير من تاخر * فالامـام ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم - فروى الامـام البيهقي بسنده الى ابي عصمة نوح بن ابي مريم قال سألت ابا حنيفة من اهل الجماعة قال من فضل ابا بكر وعمر واحب عليا وعثمان وآمن بالقدر خيره وشره من الله ومسح على الخفين ولم يكفر مومنـــا بذنب ولم يتكلم في الله شيء * و روى الطبري بسنده الى محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة قال حدثنا ابو حنيفة وذكر سنده الى ابن مسعود رضي الله عنه قال يكون النطفة في الرحم اربعين يوماً الحديث وفيه فيقول رب ذكر او أنثى شقي او سعيد وما رزقه - قال محمد وبهذا ناخذ وبه كان ياخذ ابو حنيفة - الشقي من شقي في بطن امه - والسعيد من وعظ بغيره - وبسنده الى ابي يوسف صـــاحب ابي حنيفة قال لا تصـــل خلف جهمي ولا رافضي ولا قدري واما الامـــام مالك واصحابه رضي اللــه عنه فروى البيهقي عنه انه قال القدرية شر الناس وأرذلهم وقرأ [يضلــوا عبادك] الآية * قلت يعني قول نوح عليه السلام [انك ان تذرهم يضلــوا عبادك] * و قال ابو بكر الابهري في شـــرح ابن عبد الحكـــم عن مالك انه قال في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلــوا قال فقلت لــه من القدرية عند مالك - فقـــال روى ابن وهب عن مالك انه قال هم الذين يقــولون ان الله لا يعلــم الشيء قبـــل كونه * و روى البيهقي بسنـــده انه سئـــل مالك عن تزويـــج القدرية - فقـــال [ولعبد مومن خيـــر من مشرك] وبسنده الى يونس بن عبد الاعلى قال سمعت اشهب يقـــول قال مالك القدرية لا تنـــاكحوهم

ولا تصلوا خلفهم ولا تحملــوا عنهم الحديث * وان رأيتمــوهم في ثغــر فاخرجــوهم منه * وقال مالك ما اضــل من كذب بالقدر لو لم يكــن عليهم الا قوله تعالى [خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن] لكفى بها حجة - و روى الطبــري بسنده الى اشهب قال سألت مالكا عن قوله تعالى [ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم] قال ليكون [فريق فى الجنة وفريق فى السعيــر] * و روى البيهقي بسنده الى الامــام الحافظ محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري قال السنة عندنا ان الايمــان قول وعمــل يزيد وينقص وهو قول ائمتنا مالك والاوزاعي وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة - وان القدر خيره وشره من الله عز وجل قد جف القلم بما هو كائن الى يوم يقوم الساعة علم الله من العباد ما هم عاملون والى ما هم صائرون - وامرهم - ونهاهم - فمن لزم امر الله عز وجل وآثر طاعته فبتوفيق الله - ومن ترك امر الله وركب معاصيه فبخذلان الله اياه - ومن زعــم ان الاستطاعة قبل العمل بالجوارح اليه ان شاء عمل وان شاء لم يعمل كذب بالقدر ورد كتاب الله عز وجل وزعم انه مستطيــع لما لم يرده الله ونحن نبرأ الى الله من هذا القول - ولكن نقول الاستطاعة فى العبد مع الفعــل فاذا عمل عملا بالجوارح من بر او فجور علمنا انه كان مستطيعا للفعل الذي فعل - واما قبل ان يفعله فانا لا ندري لعله يريد امرا فيحال بينه وبينه والله تعالى مريد لتكوين اعمــال الخلق - ومن ادعى خلاف ما ذكرنا فقد وصف الله تعالى بالعجز وهلك فى الداهرين * واما الامام الشافعي واصحابه رضي الله عنهم فقد روى الربيــع بن سليمان من اصحابه عنه انه قال لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من ان يلقاه بشيء من هذه الاهواء * وذلك انه رأى قوما يتجادلون فى القدر بين يديه - قال الشافعي اخبــر الله تعالى في كتابه ان المشيئة له دون خلقه والمشيئة ارادة الله - قال تعالى

[وما تشاؤن الا ان يشاء الله] فاعلم خلقه ان المشية له - قال وكان الشافعي يثبت القدر * قلت وقد قدمت ما رواه الاسامان المزني والربيع من اصحابه مما انشد قوله * * شعر *

ما شئت كان وان لم اشا * وما شئت ان لم تشا لم يكن

الى آخر الابيات الخمسة * وقال الربيع عن الشافعي لو حلف رجل فقال والله لا افعل كذا الا ان يشاء الله او الا ان يقدر الله - واراد به القدر فلا شيء او قال فلا شيء عليه * قلت يعني لا يحنث * وقد قدمت تقرير المسئلة عن امام الحرمين - وقال عاصم سمعت المزني يقول سألت الشافعي عن قول النبي صلى الله عليه سنة لعنهم الله المكذب بقدر الله - فقلت من القدرية - فقال هم الذين يزعمون ان الله لا يعلم المعاصي حتى تكون - قال المزني هذا عندي كفر - وقال عاصم قال المزني الله الخالق وافعال العباد مخلوقة لا يقدر احد ان شاء شيأ الا ان يشاء الله - قال الله تعالى [وما تشاؤن الا ان يشاء الله] قال وسمعت المزني يقول اذا قال والله لا اضرب اليوم احدا فضرب نفسه لا يحنث لانه انما اراد غيره من الناس - وهذا يدخل في اللغة على القدرية * وقول الله تعالى [خالق كل شيء] فان الله تعالى خالق الاشياء كلها - ومنها اعمال العباد - ولم يعن نفسه انما اراد سواه - قلت وقد قدمت هذه القاعدة ايضا اعني كون المتكلم لا يدخل في حكم الخطاب * واما الامام احمد واصحابه رضي الله عنهم فقال حنبل سمعت ابا عبد الله يقول علم الله في العباد قبل ان يخلقهم سابق وقدرته ومشيته في العباد او قال نافذة في العباد وخلق آدم وعلم منه المعصية قبل ان يخلقه - وكذا علمه سابق محيط بافاعيل العباد وكلما هم عاملون * قلت ومما نقل عن الامام احمد وحكاه بعض اهل العلم عنه انه قال اذا سأل انسان عن اعمال العباد أهي من الله عز وجل دون العباد أم

من العباد دون الله عز وجل أم من الله عز وجل ومن العباد فالجواب عن ذلك انها على غير ذلك لان افعال العباد لو كانت من الله عز وجل دون العباد لكان العباد لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم - ولو كانت من العباد دون الله عز وجل لكان العباد يعملون عملا بغير علم الله ومشيئته وارادته - ولو كانت من الله عز وجل ومن العباد على معنى واحد تشابهت العبودية بالربوبية - ولا يجوز ان يقال بواحد من هذه الاقاويل بل يقال افعال العباد هي من الله تعالى تقديرا وخلقا ومن العباد عملا واكتسابا * ومعانيها من قبل الله عز وجل سبعة والتي من قبل العباد سبعة فالتي من قبل الله عز وجل علم سابق لا يخطي بل يقع الامر على وفق ما علم سبحانه - ومشيئة نافذة وقدر مكتوب وتسليط من الشيطان وتطبيع الشهوة وتركيب الهوى واحداث الطاقة * قلت يعني بالطاقة قدرة العبد على العمل * قال والتي من قبل العباد النظر والفكر واهتياج الشهوة واتباع الهوى والغفلة عن العواقب ورجاء المغفرة بلا ندم - انتهى كلامه في الاسباب * ثم قال والثواب والعقاب على الاكتساب والعمل لا على التقدير والله اعلم * قلت وهذه المذكورات من قبل العباد ست لا غير - والسابعة ساقطة من الاصل ولعلها الاكتساب والله اعلم بالصواب * ومن الفقهاء اولى المقامات الرفيعة شيخ الامام مالك ربيعة رضي الله عنه - روى الامام الطبري بسنده الى الامام ذي الفضل والمجد الليث بن سعد قال قال غيلان لربيعة يا ابا عثمان أيرضى الله ان يعصي فقال له ربيعة افتعصى الله قهرا * ومن جملة الفقهاء الائمة الاجلاء سفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك والاوزاعي رضي الله عنهم *

فاما الامام سفيان الثوري رضي الله عنه فروى الامام البيهقي بسنده عنه انه قال له انسان ان لنا اماما قدريا - فقال لا تقدموه - قال ليس لنا

امام غيره - قال لا تقدموه * وبسنده عنه ايضا انه قال سمعت اعرابيا بعرفة يقول اللهم من اولى بالزلل والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفا - ومن اولى بالعفو عني منك وعلمك فيّ سابق وامرك فيّ نافذ اطعتك باذنك والمنة لك عليّ وعصيتك بعلمك والحجة لك فاسألك بوجوب رحمتك - او قال بثبوت حجتك وانقطاع حجتي وبفقري اليك وغناك عني ان تغفر لي - اللهم لم احسن حتى اعطيتني ولم اسيء حتى قضيت عليّ - اللهم انا اطعناك بنعمتك في احب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا الله - ولم نعصك في ابغض الاشياء اليك الشرك فاغفر ما بينهما - اللهم انك آنس المونسين لاوليائك واقربهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في ضمائرهم وتطلع على سرائرهم وسري اللهم لك مكشوف وانا بك ملهوف واذا اوحشتني الكربة آنسني ذكرك واذا عمت عليّ الهموم لجأت اليك استجارة بك علما بان ازمة الامور بيدك وان مصدرها عن قضايك *

واما الامام سفيان بن عيينة رضي الله عنه فروى الامام البيهقي عنه انه سئل عن القدرية - فقال قالت القدريه ما لم يقل الله عز وجل ولا الملائكة ولا النبيون ولا اهل الجنة ولا اهل النار ولا ما قال اخوهم ابليس * قال الله عز وجل [وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين] * ثم ذكر من قول الباقين مثل ما قدمته عن زيد بن اسلم الا انه قال - وقال النبيون [وما يكون لنا ان نعود فيها] ولم يقل وقال شعيب كما قال زيد بن اسلم - وبسند البيهقي ايضا عنه انه قال له انسان يا ابا محمد انا وجدنا خمسة اصناف كفروا بمن آمنوا به - قال من هم - قال الجهمية والقدرية والمرجية والرافضة والنصارى - قال كيف - قال قال الله تعالى [وكلم الله موسى تكليما] فقال الجهمية لا ليس كما قلت بل خلقت كلاما فكفروا وردوا على

اللـه - وقال الله عز وجـل [ذوقوا مس سقـر انا كل شي خلقنـاه بقدر]
فقالت القدرية لا ليس كما قلت الشر من البشر - وليس ممن خلقته وكفروا
و ردوا على الله - وقال اللـه تعالى [ام حسب الذين اجتـرحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات] الاية - فقالت المرجية لا ليس
كما قلت بل هو سواء - فكفروا و ردوا على الله عز وجـل * وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ان خيـر هذه الامـة بعد نبيها صلى الله عليه
وسلم ابوبكـر - ثم عمر - فقالت الرافضة لا ليس كما قلت بل انت خيـر
منهما - فكفـروا به و ردوا عليه * وقال عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلـم
اني عبد الله ورسـوله - فقالت النصارى لا ليس كما قلت بل انت هو -
فكفروا و ردوا عليه * قال سفيان النبـوة الغبوة قلت في قوله الغبوة الغبوة
احتمالان - احدهما الاغراء اى الزموا ما جاءت به الغبوة - والثاني استعظام
لما ادعوا فيه وتكذيب لهم وان ليس عنده سوى الغبوة - والله اعلم * وبسنده
ايضا عنه انه قيل له ههنا رجل يكـــذب بالقدر - فقال كذب عدو الله -
لقد سمعت اعرابيا بالموقف وهو افقه منه - يقول اللهم خرجت وانت
اخرجتني - وعليك قدمت وانت اقدمتني اطيعك بامرك ولك المنة
عليّ واعصيك بعلمك ولك الحجة عليّ فانا أسألك بواجب حجتك
وانقطاع حجتي الا رددتني بذنب مغفور *

واما الامام ابن المبارك رضي الله عنه - فروى الامام البيهقي بسنده
عنه انه قال ان النصارى لا يؤمنـــون من اربع خصـــال ذنب قد مضى
لا يدري ما الرب يصنع فيه - وعمر قد بقي فيه لا يدري ما فيه من الهلكات -
وفضل قد اعطي لعله مكر واستدراج - وضلالة قد زينت له فراها هدى -
ثم ذكر كلاما معناه كـــم من زاغ قلبه ساعة اسرع من طرفة قد سلب دينه
وهو لا يشعر - نسأل الله الكريم العافية * و روى الطبـري بسنده عنه انه قال

ومن قال ان الله لا يعلم الشر حتى يكون فهو كافر ومن قال انا مستغن عن الله فهو كافر - ومن قال ان الله ظالم العباد فهو كافر * قلت يعني من زعم انه تعالى اذا قدر على العبد المعصية ثم عاقبه عليها يكون ظالما - وقد تقدمنا اقامة البرهان على انه لا يكون تعالى ظالما بذلك لانه المتصرف في خلقه المالك * واما الامــام الاوزاعي رضي الله عنه - فروى الامــام البيهقي بسنده الصحيح عنه في حديث يهودانه وينصرانه - قال على ما سبق له في العلم لا مخرجا به من علــم الله والى علم الله يصيرون - وبسنده ايضا انه سئل عن القدرية - فقال للسائل لا تجالسهم - وبسند الطبــري الى بقيّة قال سألت الاوزاعي والزبيدي عن الجبر - فقال الزبيدي امر الله وقدرته اعظــم من ان يجبر ويقهر ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبــل عنده على ما شاء * وقال الاوزاعي ما اعرف الجبــر اصلا في الكتاب والسنة ولكــن القضــاء والقدر والخلق والجبــل * ومن الفقهاء السادة المشهورين قتــادة - روى الامــام البيهقي بسنده الى سعيــد بن ابي عروبة قال سألت قتــادة عن القدر - فقال تسئلني عن رأي العــرب ان العرب في جاهليتها واسلامها كانت تثبت القدر * وبسنده الصحيح اليه عنه في قوله تعالى [انا ارسلنا الشيــاطين على الكافرين تؤزهم ازا] قال تزعجهــم الى المعاصي ازعاجا * قلت وهذا ما اقتصرت ايضا عليه من كلام الائمة المذكورين الذين اقتصرت عليهم في الفقهاء الاجلة المشهورين *

واما المشائخ العارفون الاوليــاء المقــربون - فسياتي ذكر اثبــاتهم للقدر وانهم عليه مجمعون * وامــا ائمة الحديث المتقنــون الحفــاظ المسندون - فقد اندرج ذكر بعضهم في الائمة المذكورين مثل الامامين مالك واحمد - والامــامين سفيان وسفيان وغيرهم من الفقهــاء المذكورين وممن ذكرت من العلماء التابعين - وبعضهم تقدم ذكــرهم في الاحاديث التي استدللت بها

على اثبات القدر - فهم الذين رووها وذكرهم أشهر من أن يشهر - اعني الائمة الحفاظ العباد الاعلام الذين على كتبهم مدار الاسلام - وهم الامام ابو عبد الله البخاري - والامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج النيشابوري - والامام ابو داؤد السجستاني - والامام ابو عيسى الترمذي - والامام ابو عبد الرحمن النسائي رضي الله عنهم * واما ائمة الاصول المحققون النظار المدققون فعقائدهم في ذلك معروفة وتصانيفهم مشهورة موصوفة مشحونة بالبراهين المفحمة القاطعة في الرد على المبتدعين الخارجين عن المتابعة * وقد ذكرت جماعة منهم في اول هٰذا المعتقد - وفي مواضع منه استدل باقوال بعضهم عليها المعتمد * وكذلك ائمة علم الادب كابي عمرو والخليل والاصمعي وثعلب وغيرهم من علماء العربية موافقون على العقيدة السنية * وقد روى الامامان ابن عبد البر والطبري بسنديهما عن الامام الاصمعي - قال سأل اعرابي عن القدر - فقال ذلك علم اختصمت فيه الظنون وغلا فيه المختصمون - والواجب علينا أن نرد ما اشكل علينا من حكمه الى ما سبق من علمه * وقال الاصمعي سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول اشهد ان الله يضل من يشاء - وله الحجة البالغة على عباده وغير ذلك مما رواه رب امام باسناده وهو اعتقاد كافة العرب - كما رواه الامام ثعلب قال لا اعلم عربيا قدريا - قيل له يقع في قلوب العرب القول بالقدر - قال معاذ الله ما في العرب الا مثبت للقدر خيره وشره اهل الجاهلية والاسلام - وذلك في اشعارهم وكلامهم كثير * وكذا حكاه عمر بن عبد العزيز وقتادة كما تقدم * وحكاه ايضا ثعلب عن سائر العجم - والله اعلم * وقلت قد اقتصرت على نقل هذه النبذة اليسيرة عن يسير من العلماء القائلين بذلك من الاصناف المذكورة ممن طبق وجه الارض ذات الطول والعرض - وعلى الجملة فقد انعقد الاجماع من الصحابة ومن بعدهم قبل ظهور الابتداع *

بيان اجماع الصحابة على اثبات القدر بما صح من الدليـــل واشتهر

روى الامام الطبري بسنده الى سعيد بن ابي مريم - وهو عنه احتج به البخاري ومسلم - قال اخبرنا مالك وابن ابى الزناد عن عمرو عن طاوس قال ادركت ثماني مائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر - قلت هكذا هو في الاصل المنقول منه ثمان مائة بحذف الياء التى بعد النـــون * و روى ايضـا بسنده الى ابى الاسود الديلي انه قال ما رأيت احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مثبت القدر * و روى الامـام مالك فى الموطا عن طاوس انه قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر حتى العجز والكيس * او الكيس والعجز - هكذا رواه يحيى بن يحيى وابن مصعب وغيرهما من مالك * وهكذا رواه مسلم - قال الامام بن عبد البر ورواه ابن وهب والقعنبي ادركت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر * و روى الامام البيهقي بسنده الصحيح الى حماد بن زيد - قال ادركت الناس وما كلامهم الا ان قضي وقدر * وقد ثبت في الصحاح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال نفر من قدر الله الى قدر الله بمحضر جمهور المهاجرين والانصار - فاقروه على ذلك من غير انكار * وكذلك صح عنه ما قدمت بعضه - وهو ما روى الامام البيهقي بسنده الصحيح الى حماد عن خالد الحذا عن عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن عبد الله بن الحارث بن نوفل - قال خطبنا عمر بن الخطاب بالجابية فحمد الله واثني عليه - فلما اتى على [من يهده الله فلا مضل له ومن يضلـــل فلا هادي له] قال له الجاثليق ان الله لا يهدي ولا يضل -

فقال عمر كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو اضلك وهو يدخلك
النار ان شاء الله - والله لولا لوث عهدك لضربت عنقك * وكذلك رواه
الامام الطبري بسنده الصحيح الى الامام سفيان الثوري وغيره عن خالد
الحذاء بسنده المذكور - وقال فيه بل الله خلقك والله أضلك ثم يميتك
فيدخلك النار ان شاء الله - وذكر ما تقدم - ثم قال ان الله تعالى خلق
الخلق وكتب - او قال حين خلق الخلق - او قال حين خلق آدم - كتب
اهل الجنة وماهم عاملون - وكتب اهل النار وماهم عاملون - ثم قال هولاء
لهذه وهولاء لهذه - ميفرق الناس - وما تخلف في القدر اثنان * وكذلك
ما قدمت عنه بسند الامام البيهقي انه كان كثيرا ما يقول على المنبر
وخفض عليك فان الامور - بكف الاله مقاديرها - مع البيت الثاني * وكذلك
ما قدمت بسند الامام مالك في الموطا عن ابن الزبير انه كان يقول في
خطبته ان الله هو الهادي والفاتن - وكل هذا المذكور واقع في مجامع
المهاجرين والانصار - ومستفيض بينهم من غير انكار - وكذلك اجماع
السلف والخلف مطلقا على قول ما شاء الله كان - وما لم يشأ لم يكن - وكل
هذا على وجه الاجمال والتعميم * وقد قدمت انه روى احاديث اثبات
القدر فوق ثلاثين صحابيا مع التسمية لهم والتابعين - وذكرت كلام جماعة
منهم في اثباته على وجه التفصيل والتبيين - من أجلائهم وكبارهم من اهل
البيت وغيرهم * قلت واذا علم ما روينا وتقرر علم ان مذهب الحق الانور -
ومنهج السنة الازهر - ان كل خير وشر - ونفع وضر - بقضاء وقدر * ومن ذلك
ان كل طاعة وعصيان واساءة واحسان وسائر افعال العباد واقوالهم وعلمهم
واعمالهم ونياتهم وعقيداتهم وسائر حركاتهم وسكناتهم - وكلما قدر الله تعالى و رتب
على مقدوره من اجر وثواب وحساب وعقاب فهو الحكم الحق اللائق
بحكمته - والسابق في علمه الجاري في طريقي الفضل والعدل الى

جميع خلقه - ولا ظلم ولا جور الا فيما وقع مخالفا لامره ونهيه * وقد قدمت الكلام في بيان ذلك وتقريره وتحريره وتحقيقه - وكل افعال الله تعالى متساوية بالنسبة الى الحكم الالهية - وانما يختلف مراتبها بالاضافة الى البرية * قال نقاد الانظار واستاد النظار محل المتكلمين امام الحرمين رضي الله عنه ولولا انه شاع في الفاظ عصبة الحق انه تعالى خالق الخير والشر لكان سر التوحيد يوجب ان يقال ليس في افعال الله خير وشر بالاضافة الى العبد - قال وقد نبه على هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث قال خلق الله آدم ثم اخذ الخلق من ظهره - فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولاأبالي - قلت وهذا الحديث رويناه في صحيح ابي حاتم بن حبان كما قدمت *

بيان الاستدلال و الاستشهاد على خلق الله تعالى أفعال العباد

الدليل على ذلك مع ما قدمنا من المعقول والمنقول من الايات واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم - وبلغه في امته نهاية السوال قوله عز وجل [فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى] [أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون] [أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون] سلب عنهم القتل والرمي والزرع مع مباشرتهم لذلك - وأثبت فعل المذكورات لنفسه - وأخبر أنه خلق الذي تمنون - ودخل في ذلك ما يمنى في الطاعة والمعصية معا * فما تقول أيها المعتزلي في مني الزاني وشهوته للزنا وقدرته عليه خلق ذلك كله أم لا - وكذلك ولد الزنا - وهل كان الاصلح له ان يكون ولد زنا أو ولد حلال - وكذلك قوله تعالى [أنه هو أضحك وأبكى] من أضحك الكافر عند

سرورة بقتله للمسلم وحصول غرضه في جميع فجورة - ومن ابكى المسلم حزنا عند قتل الكافر أباه وأخاه - وهل المضحك والمبكي الا من صدر عنه الاضحاك والابكاء * واذا كان الامر كذلك ولا سبيل الى ان تقول غير ذلك ألزمتك ما لا تجد عنه محيصا - ولا ترى لك منه خلاصا - وهو ان اقول في تقدير ذلك - القتل سبب لضحك القاتل والسبب متوقف على مسبب يوجده ومتوقف عليه مسبب بالفتح يصدر عنه ينسب ذلك المسبب تارة الى المسبب وتارة الى السبب تقول أحيا الله الارض وأحياها المطر وأضحك الله سنك وأضحكتك نعمة الله - فالمسبب بالفتح هو الضحك والسبب هو النعمة والمسبب هو خالقها - ثم المسبب بالفتح متوقف على السبب المتوقف على المسبب من حيث الجملة - والمتوقف على المتوقف على شي متوقف على ذلك الشي - فالمسبب متوقف على المسبب - والمتوقف على شيء لا يوجد الا بذلك الشي - ومسبب الاسباب هو رب الارباب * فجميع الاسباب والمسببات لا توجد الا به - والقتل في الصورة المذكورة سبب والضحك مسبب فلا يوجد الا به - هو المطلوب والحمد لله * واقول ايضا مسبب الاسباب موجدها والموجد هو الخالق - ومسبب الاسباب هو الله - فخالق الاسباب هو الله - والقتل المذكور سبب للضحك فخالقه هو الله - وهو فعل العبد - ففعل العبد خالقه الله - فثبت ما ذكرنا من كون افعال العباد خلق الله وهو المطلوب والحمد لله * واقول ايضا أفعال العباد مُوجِدُها هو المولى - لقوله جل وعلا [وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى] فنص الله تعالى على انه هو الرامي - والرامي موجد الرمي - والرمي فعل العبد - فصح وثبت ما ذكرنا من خلقه تعالى أفعال العباد - وذلك هو المطلوب والمراد - والحمد لله الذي من يهده فلا مضل له ومن يضلل فما له من هاد * ثم أفعال العباد

مشتملة علي طاعات ومعاص كما قررت لك في القتل . وكذلك الضحك المرتب عليه وهو المضحك تعالى بالدليل القاطع من العقل والنقل - مخالق الكل هو الله الحكم العدل القاضي بذلك - والخالق له بالقدرة المقارنة للفعل التي بها قدر العبد عليه والناهي عنه حكمه - وابتلاؤ المعاقب للمخالف ان شاء علي كسبه يوم رجوعه اليه - ولغير الموحد فلابد لقوله الصدق في القرآن المجيد [الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد] حيث قال سبحانه وتعالى [إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] * فان قلت قوله تعالى [اضحك وابكى] محمول علي غير ما ذكرت ففي تفسيره اقوال مشهورات * منها ما قيل ابكى السماء بالمطر - واضحك الارض بالنبات - والى ذلك اشار القائل بقوله *

أما ترى الارض قد اعطتك زهرتها * مخضرة واكتسي بالنور عاريها
وللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

قلت الضحك والبكاء حقيقة في المعروفين - بين الناس المشهورين - والحقيقة هي الاصل الذي عليه التعويل - ولا يعدل عنه الا بدليل - وذلك ايضا هو الظاهر - واليه الفهم مبادر * فان سلمت ذلك وادعيت التخصيص فيه * قلت خلاف الاصل - فان قلت لا نسلم ان الضحك يكون معصية - قلت من زعم ان الضحك للسرور - بحصول الغرض من الشرور - كالقتل وسائر الفجور - ليس هو من المحضور - فهو في جحد القطعيات يسعى فان السرور بالمعصية معصية قطعا وكذلك قوله تعالى [وجعلناهم ائمة يدعون الى النار] * وقوله سبحانه [هو الذي يسيركم في البر والبحر] * والسير قد يكون في المعصية * وقوله تعالى [وخلق كل شيء فقدره تقديرا] * وقوله سبحانه [من يضلل الله فلا هادي

له] سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون] [وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس] * [وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة] قلت والكتاب العزيز مشحون بالايات الكريمات المصرحات بخلقه تعالى لافعال العباد وارادته لها - وتعداد ذلك يطول - وآية واحدة تكفي اولى العقول * وقد استدل اصحابنا بقوله تعالى [والله خلقكم وما تعملون] قالوا وما مصدرية اى خلقكم واعمالكم * وقول المعتزلة انها موصولة ومعناها والذي تعملون مخالف للظاهر ومحتاج الى اضمار اى والذي تعملون فيه البحث من الحجارة * والاضمار خلاف للاصل * ولو فتحنا باب حمل الادلة على خلاف ظواهرها او على زيادة الاضمار فيها - لازيلت الظواهر كلها وبطل الاستدلال بها * وقول المعتزلة ان ابراهيم عليه السلام احتج على الكفار بان العابد والمعبود جميعا خلق الله ومعبودهم هو الحجارة ممنوع * قلت وتقرير المنع انهم كانوا يحدثون فيها تصويرا وتمثالا لاجله اتخذوا الاصنام آلهة وعبدوها * والدليل عليه قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم [ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون] فاخبر ان عكوفهم انما هو على التماثيل - والتماثيل تصاوير في الحجارة لا صورة الحجارة التي خلقت عليها - والتماثيل عملهم فمعبودهم الذي عكفوا عليه عملهم - ومعبودهم خلق الله اجماعا - فعملهم خلق الله وهو المطلوب والحمد لله * فان قيل يمتنع ان يكون التمثيل آلهة لان التمثيل عمل والعمل عرض والعرض لا يتصور اتخاذه آلهة - قلت الجواب من وجهين - احدهما منع امتناع اتخاذ الاعراض آلهة بدليل قوله تعالى [أفرأيت من اتخذ الهه هواه] والهواء عرض بالاتفاق * والثاني ان التماثيل والتصويرية صارت الحجارة على صورة غير صورتها المخلوقة عليها لولا تلك الصورة ما عبدوها فمعبودهم هو الصورة التي مثلوها وهو عملهم

فمعبودهم عملهم ومعبودهم خلق الله كما تقدم فعملهم خلق الله وهو المطلوب والله اعلم * ويؤيد ما ذكرنا من ان الاعمال خلق الله عز وجل ما روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يصنع كل صانع وصنعته - وتلا بعض الرواة عند ذلك [والله خلقكم وما تعملون] قال البخاري فاخبر ان الصناعات واهلها مخلوقة - قال وسمعت عبد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد - يقول ما زلت اسمع اصحابنا يقولون افعال العباد مخلوقة * و رواها البيهقي في كتاب القدر ولفظه ان الله خالق كل صانع وصنعته - وقال هذا اسناد صحيح * و روى في كتاب الاعتقاد بسند صحيح الى قتادة في قوله تعالى [والله خلقكم وما تعملون] قال خلقكم وخلق ما تعملون بايديكم - قلت وعلى الجملة فقد قال ائمتنا من الاولياء والعلماء اثبت الله تعالى الخلق لنفسه ونفاه عن غيره بقوله عز وجل [الا له الخلق والامر] ولما قرئت هذه الاية بين يدي الشيخ الكبير العارف بالله عمر النهارى السهير قال تعالوا نقتسم ما بقي فلت يعني انه لم يبق لغير الله تعالى شيء من الخلق والامر * والاحاديث الدالة على ما ذكرنا من خلق الافعال والهداية والاضلال وسبق المقادير في ازل الآزال خارجة عن الحصر والتعداد مشهورة صحيحة الاسناد * وقد قدمت منها ما فيه الكفاية لمن وفق للهداية * وقد روينا في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له الحديث * و روينا في سنن ابي داؤد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه - قال علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة - الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له - قال الترمذي حديث

حسن * و روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء * و روينا في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر - اللهم انك ان تشأ لا يعبد في الارض - قال العلماء فيه التسليم لقدر الله تعالى - والرد على غلاة القدرية الزاعمين ان الشر غير مراد ولا مقدور لله تعالى عن قولهم * قال ائمتنا - وقد اتفق سلف الامة وخلفها من الصحابة والتابعين - ومن بعدهم من العلماء السلف الصالحين رضي الله عنهم اجمعين على ان الخالق المبدع هو الله لا خالق سواه ولا مبدع الا اياه - خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فلا يكون شيء الا بخلقه وابداعه وارادته وقضائه *

بيان معنى الاستطاعة القائمة بالعباد التي يصدر عنها افعالهم على وجه الصلاح او الفساد وبيان التوفيق والخذلان والهدى والضلال

قال ائمتنا سلامة الجوارح وانتفاء الموانع الظاهرة لا يُوجِدُ الفعْلَ من الفاعل بمجردها بل لابد من قوة خاصة متجددة من عند الله تعالى بخلقها في العبد - وهي على حسب ما يخلق الله تعالى فيه - فان فعل بها خيرا سمي توفيقا وعصمة وتائيدا - وان فعل بها شرا سمي خذلانا - وان فعل مباحا سمي عونا - وهذه الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل ويسبقها خلق العزم عليه - فلابد في الافعال الاختيارية من خلق الله تعالى لاعضاء ولحركة فيها ولقوة وهمة يصدر بها الافعال - والله خالق للشخص ولقواه

ولعزمه وافعاله * والدليل على خلق القوة والهمة اجماع المسلمين على سوال الله التوفيق - والاستعاذة من الخذلان - وما سألوه الا ما هو بيده وقادر عليه * قال شعيب عليه السلام وما توفيقي الا بالله فهو تعالى خالق العضو المتحرك والقوة فيه والحركة الناشية منه - وخالق العبد واختياره ولا يخرج شيء عن خلقه وقدرته فله الخلق والامر وبه الحول والقوة * والتوفيق هو خلق قدرة الطاعة * والخذلان خلق قدرة المعصية - فالموفق لا يعصي اذ لا قدرة له على المعصية - وكذلك القول في نقيضه * قلت والمراد بقوله والموفق لا يعصى ان الموفق بشيء او في وقت لا يقدر يعصي فيهما لا مطلقا الا ان يكون موفقا مطلقا كالملائكة والانبياء عليهم السلام - وذلك هو العصمة مختصة بهم وكذلك النقيض المذكور - فالمخذول والعياذ بالله في شيء او في وقت لا يقدر يطيع فيهما - والمخذول مطلقا يمتنع عليه الطاعة مطلقا كالشياطين نعوذ بالله منهم * وصرفت المعتزلة التوفيق الى خلق لطف يعلم الرب تعالى ان العبد يؤمن عنده وحملوا الخذلان على امتناع اللطف ولا يقع عندهم في علوم الله اللطف في حق كل احد بل منهم من علم تعالى انه يومن اذا لطف به - ومنهم من علم انه لا يزيده الا تماديا في الطغيان واصرارا على العدوان * قال امام الحرمين ويلزمهم من مجموع اصلهم ان يقولوا ان لا يتصف الرب تعالى بالاقتدار على ان يوفق جميع الخلائق - وهذا خلاف الدين - ونصوص الكتاب المبين * وقد قال سبحانه [ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها] وقال تعالى [ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة] الى غير ذلك انتهى * قال اصحابنا واذا صحت الجوارح وارتفعت الموانع الحسية سميت استطاعة - يتوجه بسببها التكليف - وهذه الاستطاعة تكون قبل الفعل ومعه مستصحبة الى تمامه ليتمكن منه - وهذه الاستطاعة هي محل

نظر الفقيه لتعلقها بفروع الدين - واما ما يتعلق باصوله - فنظر الاصولي في استطاعة اخرى وزائدة لا حيلة للعبد فيها وهي ما تقدم ذكره اعني القوة الواردة من الله تعالى للتوفيق والخذلان او العون على ما تقدم من البيان وذلك هو خلق الله للفعل فيمن ظهر منه وبسبب ظهوره من الفاعل ينسب اليه وسمى كسبا ويرتب عليه الثواب في امتثال المامورات والعقاب في ارتكاب المحظورات * قلت ولو قيل وبسبب ظهوره من الفاعل واختياره لكان اولى ليخرج عنه غير المختار فاذا الاستطاعة استطاعتان احداهما استطاعة التكليف وهي ما ذكرنا من سلامة الجوارح وارتفاع الموانع الحسية - وقد يعبر عن ذلك باجتماع شروط معروفة في المكلف - والثانيه إستطاعة الفعل وهي القوة المذكورة وخالفت المعتزلة في ذلك فزعموا ان الاستطاعة إنما هي قبل الفعل وهي سلامة الجوارح وارتفاع الموانع فقط وان القدرة المتقدمة على الفعل باقية فيه - وهذا القول باطل من جهتيْ العقل والنقل أما العقل فلان القدرة الجاذبة أعني قدر العبد عرض من الأعراض - وجملة الأعراض عندنا غير باقية أعني لا يبقى العرض زمانين * والدليل على أستحالة بقاء الاعراض أنها لو بقيت لاستحال عدمها - وتقرير ذلك قد تقدم ويلزم صدور المقدور في حال عدم القدرة وهو محال * وأما النقل فقال الله عز وجل [وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم و الله يعلم أنهم لكاذبون] الى قوله تعالى [فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين] قلت و وجه الاستدلال بذلك ان الله تعالى كذبهم في نفي الاستطاعة الاولى التي هي صحة الجوارح وارتفاع الموانع وهي مناط التكليف فانها موجودة فيهم - ولكنهم عدموا الاستطاعة الثانية التي هي خلق قدرة الطاعة المقارنة للفعل المسماة بالتوفيق التي نقيضها الخذلان الذي منعهم من الخروج على التحقيق

بدليـل قول اصدق القائلين [فثبطهم وقيل اقعـدوا مع القاعدين] * قلت والشواهد الدالة على ما ذكرنا من الاستطاعة الثانية التي اثبتها اهل الحق يطـول ذكرها بل يتعذر حصـرها * ومنها قوله تعالى [ما كانوا يستطيعـون السمع وما كانوا يبصرون] وقوله صلى الله عليه وسلـم للذي اراد قتله لم تكن لتستطيـع الذي اردت - وذلك مـا روى الحـاكم في المستـدرك على الصحيحين انه جـاء رجـل الى رسـول الله صلى الله عليه وسلـم فقـال من انت - قال انا نبي - قال وما نبي - قال رسول الله - قال متى تقـوم الساعة - فقال غيـب [ولا يعلـم الغيب الا الله] قال ارني سيفك فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلـم سيفه - فهز الرجـل ثم رده عليه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلـم اما انك لم تكن تستطيـع الذي اردت * قال الحاكم ابو عبد الله على شرط مسلـم * قلت وهذا في بعض الغزوات - وقضيته مشهورة في وقت القيلـولة تحت الاشجار عند ما حمى النهـار - ولا حاجة الى كثـرة الاستشهـاد - وتتبـع ما هو خارج عن الحصـر فالمراد حاصل من ذلك بهذا القدر * قلت ومن الفوائد الغريبة المطربة العجيبة ما ذكر الشيخ الكبيـر العارف بالله الشهيـر ابوطالب المكي رضي الله عنه قال كنت مرة خاطبت بعض اصحابنا في مسئلة الاستطاعة انها مع الفعل لا قبلـه ولا بعـده فتكلمت بذلك في المشيـة على مذهب اهل الكـلام المختلفين فيها قبـل ان ينكشف لي مشاهدة علـم اليقين - فرأيت في النوم قائلا يقـول القدر من القدرة والقدرة صفة القـادر - والقدر يقـع على الحركة ويظهر الافعال من الجوارح ولا يتبين فكيف تتكلم في شي لا يتبين فجعلت على نفسي ان لا اناظـر احـدا في هذا البـاب * قال وحدثت عن بعض المشائخ قال كان في نفسي شي من هذا القدر فكنت استكشفه فلاينكشف حتى لقيت بعض الابدال فاستكشفته اياه - فقـال لي ويحك

ما تصنع بالاحتجاج نحن ينكشف لنا عن سر الملكوت فننظر الى الطاعات
تنـزل صورا من السماء حتى تقع على جوارح قوم فيتحرك الجوارح بها
وننظـر الى المعاصي تنزل صورا من السماء على جوارح قوم فيتحرك
الجوارح بها فكشف الله عن قلبي القدر - او قال الجهل بالقدر - واخلف لي
العلم بمشاهدة القدرة * وقال الخلـق اهون من ان يفعلوا شيئا لا يريده الله
تعالى من المعاصي او الطاعات * وقد ظهر صحة قولنا وبطلان قولهم من طريقي
العقل والنقل صحة وبطلانا واضحين للناظر المعتبر وناهيك بذلك وضوحا
للمستيقظ المستبصر انهم زعموا ان مقدورات العبـاد ليست مقدورات للـرب
تعالى * قال ائمتنا وسبيلنا ان نسـألهم هل كان الرب سبحانه قبـل ان يقدر
عبده على ذلك موصوفا بالاقتـدار على ما كان في معلـومه انه سيقدره
عليه ام لا [1] - فان قالوا لا فقد ظهـر بطـلان ما قالوا * وقال بعضهـم فقد كفـروا
لتعجيزهم ربهم سبحانه فيما هو من جملة الممكنات ولم يتعلق به قدرة العبـد
بعد - وان قالوا نعم - قلنا كيف يكون باقتداره العبد عليه خارجا عن مقدوره
بعد ان كان عليه قادرا - وصفـاته تعالى تستحيـــل ان تتبـدل او تنتقص
وتتغير - وليس لهم شبهة تبدونها لدفع ما لزمهم في هذا من الباطل الشنيع
والضلال الفضيع سوى ما زعموا من استحالة مقدور بين قادرين - وهذا كلام
جاهل لم يحـط بالمسئلة تحقيقـا او مكابر لكونه لم يجد الى الخـلاص مما
لزمه طريقـــا * فان اهل الحق يعتقدون تفرد البـــاري سبحانه بالخلـق

---

[1] In the margin is added in the same hand —

ولكن الله غضب على قوم في القدم - فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل الغضب
ليدخلهم دار الغضب - ورضي عن قوم في القدم - فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل
الرضا * قلت قوله غضب على قوم في القدم - ورضي عن قوم في القدم يعني حكم
عليهم وقضي بالغضب والرضى - نسأل الله الكريم التوفيق والموت على مذهب اهل
الحق والتحقيق *

والاختــراع - فلا خالق سواه تعالى - وهــم يعتقدون تفرد العبد بخلق اعماله فلا خالق سواه لها * واذا كان المذهبــان فى المسلكيــن المذكورين سالكيــن وعن المفهلين المذكورين صادرين - فاين ما زعموه من مقدور بين قادرين * قال امــام الحرمين ولو تناقض في معتقــد المخالف بقاؤه مقدورا لله مع تجدد تعلق قدرة العبد به فاستبقى كونه مقدورا للرب * وانتفاء كونه مقدورا للعبد اولى من انقطاع تعلق كون الرب تعالى قادرا عليه لتجدد كونه مقدورا للعبــد * واذا ثبت وجوب كون مقدور العبد مقدورا للــه فكلما هو مقــدوره تعالى فانه محدثه و خالقه اذ من المحــال ان يتفرد العبد باختراع ما هو مقدور اللــه تعالى *

بيان كسب العبد لافعاله ونسبتها اليه مع خلق الله لها وتقديرها عليه

اعلــم ان جميع ما قدرنا من انفراد البارى تعالى بخلق افعال العباد واختراعها وايجادها وابداعها خيــرها وشرها نفعها وضرها لا يخرجها عن كونها مقدورة للعبــد بخلق الله له قدرة يقوى بهــا على الاكتســاب * فهو تعالى خالق المسببات والاسبــاب خلق القادر والقدرة والمقدور معا وخلق الاختيــار والمختار جميعا خلقنا وخلق الفعل فينا [والله خلقكم وما تعملون] - وخلق فينا اختيارنا [وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين] واظهر فينا الاكتساب ومكننا منه بخلق الداعية اليه والقدرة عليه - فالداعية مخلوقة قبله والقدرة مقارنة له خلافا للمعتزلة - وقد قدمنا في ذلك الادلّة ونسب الفعل الينا لظهوره فينا واختيارنا له واكتسابنا - وقد تقدم بيان الاستطاعة وان البارى تعالى خالق كل شئ - ومن ذلك المعصية والطاعة - وقد نطق القرآن الكريم بما ذكرنا - من خلق الله افعالنا بواسطة اكتسابنا قال الله العظيم

[قاتلو هم يعذبهم الله بايديكم] فهو المعذب الموجد للعذاب - بما اجري على ايدى السادات الصحاب - ونالوا به المجد والثواب - بالهمم العوالي والاكتساب - وكذلك قوله عز وجل لنبيه الكريم المبجل صلى الله عليه وسلم [قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا] اى بعذاب ينزله من السماء او يظهره في الارض بغير واسطة سبب بصاعقة او خسف او غير ذلك مما به العطب او بواسطة ايدينا رميا وضربا وطعنا بالقناء ويكون هو المعذب - كما قال جل و علا [وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى] وقد صرح بما ذكرنا من الخلق والكسب قول الباري قال [فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري] - فيا ليت شعري ما جواب المعتزلة عن هذا وامثاله - و ما ذا عسى ان يجيبوا فيا ليتهم فهموا قوله تعالى [ثم تاب عليهم ليتوبوا] فيرجعوا عن اعتقادهم الباطل والى الحق ينيبوا ويتحققوا الحق في قول الحق حاكيا عن الكليم الذي مضله [فتنا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء] وعلى الجملة فليس يؤثر في جميع الوجود الا قدرة الموجد لكل موجود ولا يقع من جميع الاشياء في ملكه ما لا يشاء فلو لم يرد من احد عصيانا لما خلق لكل انسان شيطانا - بل ما كان يخلق للعقاب دارا ولا يسمى نفسه غفارا *

بيان كون قدرة الجاذبة مقارنة للفعل لا قبله كما زعمت المعتزلة

انّا اذا قدرنا حالتين في الاولى قدرة جاذبة وفي الثانية حدوث مقدور - فالمقدور لم يوجد في الحالة الاولى - وفي الثانية يمتنع تعلق القدرة به لان القدرة من الصفات المتعلقة بمقدورها - ومن احال تعلقها بالمقدور حال حدوثه قد نفي تعلقها به * وحاصل مذهبهم ان قبل الحدوث القدرة حاصلة ولا مقدور - وحال الحدوث المقدور حاصل ولا قدرة * قلت ومن قال ان الفعل حاصل من غير قدرة يقتدر بها عليه الفاعل حال حدوثه * فقوله باطل لان القدرة المتقدمة عليه كالمتاخرة عنه اذ كل واحدة منهما حال حدوثه معدومة فكما لا تقع بالمتاخرة لا تقع بالمتقدمة * وايضا فقد قدمنا ان الاعراض لا تبقى واذا لم تبق القدرة حال الفعل فهو عاجز حقا ووقوع الفعل من العاجز في ذلك الحال محال - وعلى الجملة فانه يلزم على قولهم وجود مؤثر بلا اثر ووجود اثر بلا مؤثر وكلاهما باطل اذ وجود اثر متخلف عن وقت التاثير ممتنع غير حاصل ووجود مؤثر قبل تاثيره ممتنع ايضا عند كل عاقل كما يمتنع وجود فاعل قبل الفعل ومفعول بعد موت الفاعل *

حكم تكليف ما لا يطاق

قال امام الحرمين رضي الله عنه الصحيح عندنا ان ذلك جائز عقلا غير مستحيل واحتج على ذلك بكلام طويل وقال الامام ابو حامد الغزالي يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة

ولو لم يجز ذلك لاستحال سوال دفعه - وقد سألوا ذلك - فقالوا [ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به] ولان الله تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم - بان ابا جهل لا يصدقه - ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده * وكذلك الامام فخر الدين الرازي - احتج على جواز تكليف ما لا يطاق باربعة اوجه - والزمه المعتزلة في مسئلة العلم - كما الزمناه في مسئلة خلق الافعال - وسيأتي شيء من كلامه في ذلك ان شاء الله تعالى * وقال الامام ناصر الدين البيضاوي رضي الله عنه التكليف بالمحال جائز لان حكمه تعالى لا يستدعي غرضا * وقال الامام ابو بكر بن فورك رضى الله عنه - ليس فى الشرع تكليف ما لا يطاق ولو ورد فى الشرع تكليف ما لا يطاق جاز بحق ملك المالك * ثم لم يكن المراد به ان يفعلوا ما امروا به ولكن يكون علامة لشقاوتهم كما اخبر الله تعالى [ويدعون الى السجود فلا يستطيعون] - قلت وكما جاء فى الحديث انه يقال للمصورين يوم القيامة احيوا ما خلقتم وانه يكلف المصور ان ينفخ فيه الروح - وليس بنافخ * وقال بعض ائمة اهل الحق - والحق جوازه من حيث مقتضي الالهية والعبودية - ويفعل الله ما يشاء ويعذب من يشاء ويرحم من يشاء - انتهى * قلت وعلى الجملة فالمشهور عن الشيخ ابى الحسن واصحابه المذكورين وغيرهم من ائمة اهل الحق جوازه - والمراد الابتلاء والتعجيز كما تقدم والله اعلم * اذا علم هذا واعلم ايها المعتزلى المانع من جواز تكليف ما لا يطاق انه يلزم من مذهبكم جواز ذلك بل وقوعه باجماع منكم واتفاق لانكم تقولون يستحيل حصول الفعل في حال حدوث القدرة - وفى حال حصول الفعل لا يكون قادرا كما قدمت تقريره *

بيان توسط مذهب العصابة السنية بين مذهبي الفرقتين المبتدعتين المعتزلة والجبرية

اعلم انه يحتاج هنا الى بيان الفرق بين الخالق والمكتسب والمجبر -
فاما حقيقة الخالق فهو الذي يصح منه الانفراد بالفعل - واما حقيقة المكتسب فهو الذي لا يصح منه الفعل مفردا - وبيانه ان الصبي يعجز عن حمل الشيء الثقيل فاذا اعانه الكبير حمل كل واحد منهما بطرف من المحمول * ولو انفرد به الكبير لاستقل بحمله فكذلك لو اراد العبد ان ينفرد بالفعل عن الله لم يقدر - ولو انفرد الرب سبحانه به وجد بقدرته - فاذا اعان العبد كان وجود المقدور بشيئين منهما - يسمي احدهما خلقا والاخر كسبا * واما حقيقة المجبر فهو الذي يفعل الشيء بغير اختيار عنه * قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعبد بل على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا - وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له - واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت الحركة نسبة الى صفة اخرى تسمي قدرة فسمي باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل آخر الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد - وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل

كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهو عند الاختراع متعلق به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها - قال وفعل العبد وان كان كسبا فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وبارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه [يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] قال ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن - وقوله تعالى [ولوشاء الله لهدى الناس جميعا] وقوله تعالى [ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها] ثم استدل على ذلك ايضا من جهة العقل بما يطول ذكره وقال في آخر ذلك فان قيل كيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان على ذلك فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان منمهداً ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال - انتهى مختصرا * وقال الامام فخر الدين مذهب المعتزلة - ان الارادة توافق الامر - فكل ما امر الله تعالى به فقد اراده - وكل ما نهى عنه فقد كرهه * ومذهبنا الارادة توافق العلم - فكل ما علم الله وقوعه فهو مراد الوقوع وكل ما علم عدمه فهو مراد العدم - دليلنا ان الله تعالى علم من ابي جهل انه لا يؤمن والعلم بعدم الايمان مضاد لوجود الايمان - وعند قيام احد الضدين يمتنع حصول الثاني فايمان ابي جهل ممتنع الحصول -

وايضا لو وجد ايمان من علم الله انه يموت كافرا - لانقلب علم الله جهلا - وهو محال - فلا يكون مرادا - وايضا فقد اقمنا البرهان على خلق الله تعالى لافعال العباد * وكل من خلق شيئا لا على سبيل الاكراه والالجاء فهو مريد لذلك الشيء - فوجب القطع بانه تعالى مريد لجميع افعال العباد * قلت والى مذهب اهل الحق المذكور في كون الارادة توافق العلم اشار الشيخ العارف بالله المحقق السيد الجليل بحر الحقائق ابو الشموس ابو الغيث بن جميل قدس الله روحه ونور ضريحه بقوله ان علم الله بكل شيء هو هادي ذلك الشيء قطعا - نحو ما يريده الله قديما - ويريده العبد حديثا * قلت والظاهر والله اعلم انه يعني ان علم الله تعالى لا يجوز ان يقع معلومه غير مطابق له فلابد ان ياتي كل شيء الى معلوم علم الله فيه وهو مراده القديم والى ارادة الاثبات المذكور حادثة من الاتي - فكان العلم السابق المتحتّم نفوذه هاد وقائد وجاذب لكل شيء الى ارادة اتيان ما يريده الله منه - فاستعار لما لابد من تحقيقه في شيء اسم الهادي الى ذلك الشيء مع ان من المعلوم ان التاثير للارادة القديمة دون العلم غير ان كل واحد منهما مطابق للاخر لا اختلاف بينهما بوجه من الوجوه اصلا بالبراهين القاطعة نقلا وعقلا * قلت ومما احتج به ائمتنا ايضا على بطلان مذهب المعتزلة في قولهم ان فعل العبد واقع بخلقه واختياره لا بخلق الله واختراعه وجوه مع ما تقدم من الادلة * الاول ان الشرك ان امتنع عليه حال الفعل كان مجبرا لا مختارا - وان لم يمتنع احتاج فعله الى مرجح موجب لا يكون من العبد دفعا للتسلسل ويلزم الجبر * الثاني انه لو وجد فعله باختياره كان عالما بتفاصيله فيحيط بالسكنات المتخللة للحركة البطيئة وتفرّق أحيازها * الثالث لو اختار العبد وناقض مراده مراد الله لزم جمعهما او رفعهما او الترجيح بلا مرجح فان قدرته وان كانت اعم لكنها بالنسبة الى هذا على سواء *

الرابع ان فعل العبد لو كان معلوم الوقوع وجب وقوعه وان كان معلوم عدم الوقوع امتنع والا نقلب العلم جهلا * الخامس ان السعادة والشقاوة سابقة بدلالة النصوص القاطعة والاعمال امارات عليهما ومعرفات بهما وترتب الثواب والعقاب عليها من حيث كسب العبد واختياره لها ومع هذا فالمالك تعالى عما يصفون [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون *] قلت والامام فخر الدين ذكر هذه الحجج الخمس بعبارة مبسوطة في نحو ورقتين - ثم قال امام المعتزلة فكلامهم في هذا الباب في غاية الكثرة والبسط الا انه يرجع الكل الى حرف واحد - وهو انه لو لا استقلال العبد بالفعل لكان الامر والنهي والمدح والذم والثواب والعقاب باطلا * ثم قال والجواب ان هذا لازم عليكم ايضا من ستة اوجه - ثم ذكرها - ومنها ان الله تعالى كان عالما من الازل الى الابد بان ابا لهب لا يؤمن ثم انه كان يامره بالايمان فكان هذا امرا بالجمع بين النقيضين وهو محال فالقول بتكليف ما لا يطاق لازم عليكم في مسئلة العلم كما انه لازم علينا في مسئلة خلق الافعال - ولو ان جملة العقلاء اجتمعوا وارادوا ان يوردوا على هذا الكلام حرفا لما قدروا عليه الا ان يلتزموا مذهب هشام بن الحكم * وهو انه تعالى لا يعلم الاشياء قبل وقوعها لا بالوجود ولا بالعدم الا ان اكثر المعتزلة يكفرون من يقول بهذا القول * قلت يعني انهم موافقون لنا في التكفير بهذا الاعتقاد * ومنها انه تعالى قال [ان الذين كفروا سواء عليهم آ انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون] فلو آمن الذين اخبر الله تعالى انهم لا يؤمنون لانقلب ذلك الخبر كذبا والكذب محال على الله تعالى - والمفضي الى المحال محال فكان صدور الايمان عنهم محالا مع ان الله تعالى امرهم بالايمان * ومنها انه تعالى كلّف ابا لهب ان يؤمن ومن جملة الايمان تصديق الله تعالى بما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يؤمن فقد صار ابولهب مكلفا ان يؤمن بانه لا يؤمن وهذا التكليف

بالجمع بين الضدين * ثم قال بعد ان ذكر الوجوه الستة - فثبت بهذا الوجوه ان تكليف ما لا يطاق لازم على الكل - فان قيل هب ان هذا الامكان لازم على الكل فما الحيلة في دفعه - قلنا الحيلة ترك الحيلة والاعتراف بانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وانه [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] *

قلت قد قدمت الاشارة الى ان مذهبنا اهل السنة متوسط بين مذهب المعتزلة ومذهب الجبرية وان مذهب المعتزلة ان العبد موجد فعله باختياره وهو خالقه ولا قدرة لخالقه تعالى على ايجاده - ومذهب الجبرية ان العبد مجبور على الفعل ليس له فيه اختيار - ومذهبنا ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد والى ذلك اشرت بقولي في بعض قصائد العقائد *

واعمال الورى مقدور رب * اتوها باختيار واكتساب
تعالى الله عن جبر وعن ان * يجاد ما لم يرده باغتصاب
وعن ظلم سوى فضل وعدل * منيلا في ثواب او عقاب
مليك حاكم في ملكه ما * عليه حاكم او ذو احتساب

والى المنهج المقتصد بين المنهجين المائلين الى التفريط والافراط المذمومين اشار حيث قال الامام المحقق امام الحرمين ناصر الملة الاسلامية رضي الله عنه في العقيدة النظامية - لا يخفي عند كل عاقل - ان الرب تعالى مطالب عباده باعمالهم ومجازيهم عليها في مآلهم - وانه اقدرهم على الوفا بما طالبهم به * ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث على المكرمات والزواجر عن الفواحش والموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم يلفت الى الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء عن القيمة واحوالها وجزاء المحسنين والمسيئين واقامة الحجة عليهم بارسال الرسل والفسح في المهل حرم

ببطلان الجبر و علم ان فيه توصلا الى قطع ظنيات الشرائع وردا على ما جاء به المرسلون * قال والفرق هنا ثلثة - الجبرية ويلزمهم استحالة تكاليف الشرع * والمعتزلة الزاعمون بان العبد مستبد بخلق افعاله المخالفون لاجماع السلف لا خالق الا الله المقتحمون لورطات الضلال الرادون لما تمدح الرب تعالى به في اي من كتابه الكريم في انه خالق لكل شيء * واهل الحق القائلون بان قدرة العبد مخلوقة لله تعالى والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا ولكن مضاف الى الله تعالى تقديرا وخلقا - وانه واقع بالقدرة التي هي خلق الله - وقد ملك سبحانه العبد اختيارا يصرف به القدرة لكنه تعالى احدث القدرة في العبد على اقدار احاط به ما علمه - وهي اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل - واراد من العبد ان يفعل - فاحدث فيها دواعي مستحثة وخيرة وارادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم - ووقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم واراد فالقدرة خلق الله تعالى ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وخلقا وعلما وفعلا من حيث انه سبحانه منفرد بخلقه وهي القدرة - ولو لم يرد وقوع مقدور لما اقدره ولما هيأ اسباب وقوعه - فالعبد فاعل مختار مامور منهي وفعله مقدور له مراد له خلق مقضي * قال اما الفرقة الضالة المعتقدون انفراد العبد بالخلق الصائرون الى انه اذا عصى قد انفرد بخلق ما الرب كاره له فذلك منهم خبط في الاحكام الالهيّة ومزاحمة في الربوبيّة ومراغمة في القدرة - ولو لم يرد الرب من الفجار ما علم منهم في ازله لما فطرهم مع علمه به كيف وقد اكمل قواهم - وامدهم بالعدد والعتاد - وسهل لهم طريق الحيد عن السداد * قال فاذا قد زاغت الفرقتان فاعترضت احداهما على القواعد الشرعية وزاحمت الاخرى الاحكام الربوبية * واقتصد الموفقون - وقالوا مراد الله من عباده ما علم انهم اليه يصيرون * ومن سبق

له منه سوء القضاء فهو صائر الى حكم الله الجزم وقضائه الفصل محجوج بحجة الله * ومن سبق له منه الحسنى فاولئك عنها مبعدون - انتهى *
قلت لقد اجاد فيما جمع في هذا الكلام من حسن اللفظ المشتمل على المعنى الدقيق - والجمع بين الايضاح والتحقيق * فان قلت هل اخصر من هذا مع التحقيق - قلت نعم فاسمع وبالله التوفيق * قال ائمتنا رضي الله عنهم البرهان اوجب اسناد الفعل الى قدرة الله تعالى والبديهة تفرق بين فعلنا وفعل الجماد والمكره - فلزم الجمع بينهما * فقلنا الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد على معنى ان العبد اذا صمم العزم يخلق الله الفعل فيه * ومعنى قولهم البرهان اوجب اسناد الفعل الى قدرة الله معلوم مما تقدم من الحجج العقلية والنقلية ومما يأتي بعد ان شاء الله تعالى * قلت ومما يقوى ايماننا بذلك ان جميع الشيوخ العارفين من الاولياء المقربين - والابدال والصديقين - والاوتاد والاقطاب المصطفين المحبوبين كلهم مجمعون على ان افعال العباد وجميع الكائنات خلق الله وحده باختراع واستبداد صرحوا بذلك على مشاهدة وعيان - كما صرح به ائمة الاصول من علماء السنة عن دليل وبرهان - وائمة الحديث عن اسناد مثبت واتقان - موصول الى المصطفى من ولد عدنان - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وبارك وشرف وكرم * فقد اجتمعت لنا بحمد الله الثلث كلها - النقل بالاسناد والايقان - والعقل بالنظر الصحيح القاطع البرهان - والكشف بالمشاهدة والعيان * وثلث اخرى بحمد الله تعالى كمال الايمان بذلك والعرفان والاتقان * وثلث اخرى بحمد الله تعالى لا يوجد الا فينا المقامات والاحوال والكرامات * ولهذا انكروا كرامات الاولياء التي ملات الوجود - وابت شهرتها ان تقبل الجحود - لانهم لا يعرفونها لكونهم ليس فيهم من هو من اهلها * اللهم الا بعض عوامهم ممن خالطوا الصالحين

من اهل السنة وشاهدوا البركات منهم والكرامات في بعض الجهات فانهم يعتقدونهم ويقولون بكراماتهم * قلت ومع النسع المذكورات عاشر وهو التوحيد * فانا نقول الكائنات مريدها كلها واحد لا شريك له ولا وزير ولا عون ولا ظهير - ولا ند. ولا مشد [illegible] الخلق وارادة الخير والشر الى اثنين [illegible] السلف [illegible] ولا نضيف [illegible] وليما [illegible] كغيرنا * وقد ورد في القدرية من الذم ما [illegible] علم واشتهر * بكل [illegible] المعتزلة هذا اللقب قلبوه علينا وبه نبزونا بطريق البهت و[illegible] زعموا انا نحن القدرية - والظاهر يكذبهم فان القدرية مشبهة في الحديث بالمجوس والمجوس ينسبون الشر والخير الى اثنين - يزدان - واهرمن - فالاول عندهم خالق للخير - والثاني خالق للشر - وقد علم من منا - ومنهم قسم الخير والشر في حكم الارادة والاجسام والاعمال في حكم الخلق الى اثنين الرب تعالى والعبد *

بيان القدرية من هم وكيف عند اهل الحق حكمهم وذكر شيء من الاخبار والآثار التي فيها لعنهم وذمهم

قال بعض ائمتنا رضي الله عنهم ان المجوس زعموا ان الرب تعالى يقدر على خلق بعض الاجناس ولا يقدر على بعضها * قال والمعتزلة وافقوهم في هذا حيث زعموا انه تعالى لا يقدر على مقدورات العباد - والمجوس ايضا زعموا ان الحشرات والسباع الضواري ليست من خلق الله - فلزمهم خروج جملة الاجسام من حيث تماثلت عن مقدورات الاله ويلزم المعتزلة مثله حيث اخرجوا اكثر الحوادث من اعمال العباد عن مقدورات الاله * وحقيقة الحدوث لا يختلف وقد زادوا على المجوس حيث زعموا

ان الله تعالى لم يخلق من افعال العباد لا خيرا ولا شرا * وقال الامام ابو سليمان الخطابي انما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية * وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله تعالى خالق الخير والشر لا يكون شيء منهما الا بمشيئه وخلقه فهما مضافان اليه خلقا وايجادا والى عباده فعلا واكتسابا * وقال غيره ليس خلق الشر شرا في الحكمة بل فيه سر كما ان في الخير سرا * وقال امام الحرمين اتفقوا اهل الملل على ذم القدرية ولعنهم * قال - وقد قال صلى الله عليه وسلم لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا * قال ولا ينكر لعن القدرية منكر ولكنهم يحاولون درأ هذ النبز عن انفسهم بما لا يغنيهم - ويقولون انتم القدرية اذا اعتقدتم اضافة القدر الى الله تعالى * قال وهذا بهت وتواقح - وقد قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وشبههم بهم لتقسيمهم الخير والسر في حكم الارادة والمسية حسب تقسيم المجوس - وصرفهم الخير الى يزدان والشر الى اهرمن * قال وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قامت القيامة نادى مناد في اهل الجمع ابن خصماء الله - فيقوم القدرية * قال ولا خفاء باختصاص ذلك بهم * فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ولا يعترضون بشيء من افعاله ثم من يضيف القدرة الى نفسه ويعتقده صفته بان يتصف بالقدري اولى ممن يضيفه الى ربه - انتهى كلامه * قلت وقال الشيخ الامام ابو اسحق الشيرازي رضي الله عنه في كتابه الموسوم بالاشارة بعد ان ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة * فان قيل انتم القدرية لانكم تقولون الرب سبحانه يقدر علينا خلق المعاصي يقال لهم هذا لا يصح لان من وصف غيره بالحياكة لا يصير حائكا بل الحائك من فعل الحياكة - فيقولون ان الله

يقدر لا يسمي قدرية - بل القدرية الذين يصفون انفسهم بالقدرة - ولانه صلى الله عليه وسلم شبههم بالمجوس لان المجوس يقولون بآلهين النار والنور - والقدرية ايضا يقولون بخالقين لان العبد عندهم يخلق والرب تعالى يخلق * قال وقد حكي ان بعض اهل التوحيد تناظر هو وقدري وكانا بقرب شجرة فاخذ القدري ورقة من الشجرة وقال انا فعلت هذا وخلقته فقال له الموحد ان كان الامر كما ذكرت فردها كما كانت فان من قدر على خلق شيء قدر على ضده او قال على اعادته بعد عدمه - فانقطع القدري * قال ولو لم يكن تعالى مريدا للمعصية مع وجودها من العاصي لكان عاجزا لان من يجري في ملكه ما لا يريد لا يكون الا عاجزا مغلوبا * قال ولهذا قال بعض اصحابنا المعتزلة ارادت ان تعدل الباري فعجزته - والمشبهة ارادت ان تثبت الباري فشبهته قال وهذا خلاف النص والاجماع * وذكر من ذلك ما يطول ذكره - ومنه قوله تعالى حكاية عن ابليس نعوذ بالله منه [قال رب بما اغويتني] ثم حكي عن بعض اصحابنا انه قال ان قوما ابليس افقه منهم - السكوت عنهم اولى من الكلام معهم * ونتكلم في اعتقادهم خلق افعالهم * ثم قال وهذا القول من القدرية اعظم من قول اليهود عزير بن الله - وقول النصارى المسيح بن الله لان كلا منهما اثبت مع الله واحدا - والقدرية اثبتت مع الله عز وجل خالقين لا يحصى عددهم * قلت وقد علم ذلك ايضا من نصوص الكتاب والسنة تصريحا لا تلويحا كقوله تعالى [انا كل شيء خلقناه بقدر] فهذه الآية مصرحة بانه تعالى خالق كل شيء ومقدر كل شيء جامعة بين معتقدي اهل السنة كليهما لان تقديرها على مقتضى العربية انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر * وذلك معروف اعني كون اللام من كل منصوبة معمولة للفعل المقدر قبلها - وهو خلقنا على وزان قولك زيدا ضربته اي ضربت زيدا ضربته المعبر عنه في العربية باشتغال الفعل عن المفعول

بضميره - وقد تقدم في الحديث الصحيح بيان سبب نزول هذه الآية وغير ذلك من الآيات وكذلك الاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وتؤمن بالقدر خيره وشره وتفسير الراوي وهو ابن عمر رضي الله عنهما ذلك وتبرءه منهم لما قيل له يزعمون ان لا قدر وان الامر آنف دل تفسيره صلى الله عليه وسلم لهم بقوله لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية الذين يقولون لا قدر في الحديث الذي رويناه في سنن ابي داؤد عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحاديث وفيما قدمته من الآيات الثلثين والاحاديث الثلثين وما سيأتي ما يعرفك اذا تأملته بالقدرية من هم نحن او هم * واما بيان من قطع بتكفيره منهم ومن اختلف فيه فقد قال ائمة اهل الحق رضي الله عنهم - اما القدرية الاول الذين ينفون القدر والعلم فهم كفار بلا خلاف - ولهذا تبرأ منهم ابن عمر لمخالفتهم نصوص الكتاب الصريحة التي يبعد فيها الحصر والسنن الصحيحة المتواترة معنى في كل من العلم والقدر * ولاجماع السلف الصالحين رضي الله عنهم اجمعين - قالوا وهم اخوان الفلاسفة الملحدين في الاعتقادات الذين ينكرون علم الله بالجزئيات وبناء مذهبهم على المنازعة في الآلهيات والمعاندة للرسل الكرام - عليهم افضل الصلواة والسلام * واما المعتزلة فان بعضهم يعترف بسبق العلم وبعضهم ينكره هكذا حكي عنهم بعض الائمة * وحكي بعضهم عنهم انكاره مطلقا * وقد احتج الامام مالك والامام ابو عبد الله البخاري وغيرهما من الائمة عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين * واما تقدير الله تعالى للافعال بالكتب لها فهم لا يعترفون به - ولا يؤمنون بسيء منه * وقد روى الامام الطبري ان شيخ الضلال والكفر عمرو بن عبيد احد شيوخهم قال ان كانت [تبت يدا ابي لهب] في اللوح المحفوظ

مما علي ابي لهب من لوم - وذكر الامـام الطرطوشي المالكي في كتـابه في الخـلاف عنه انه لما ذكر حديث ابن مسعـود رضي الله عنه المتفق على صحته الذي رواه البخاري ومسلـم وابوداؤد والترمذي وابن حبان المشتمـل على قوله صلى الله عليه وسلم - ويومر باربع كلمات يكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد * قال لو سمعته من الاعمش لكذبته - ولو سمعته من ابن مسعود لما صدقته - ولما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت ما بهذا بعثت الرسل ولو سمعته من الله لقلت ما على هذا اخذت مواثيقنا * قال ائمة اهل الحق وليس يزيد على كفره هذا كفـر * قلت ومن هذه الزندقة ما بلغني عن بعض المبتدعين وسمعته ممن سمع منه او رواه عنه - انه قال لما ذكر له رؤية الله عز وجل في الآخرة هو بري من رب يرى او قال لا نفعه الله برب يرى - وسياتي الكلام في الرؤية وما يدل عليها من الادلة القاطعة الباهرة - بالآيات الصريحة الظاهرة - والاحاديث الصحيحة المتواترة * قال بعض ائمتنا وقد زاد بعض الرافضة على الكفر بعـدم العلم بالاشياء حتى تكون * وقال لو كان عالما بتكذيب الامم الرسـل لكان عابثا بارسال الرسـل * قال وهذه مادة البراهمة المنكـرين للنبـوات * قلت وقد قدمت شيأ من الاحاديث واقوال العلمـاء في ذم القدرية وتكفيرهم وانهم مجوس هذه الامة * روى هذا ابوداؤد والبيهقي بسنديهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم واشتهرت تسميتهم بهذا الاسم برواية جماعة من الصحابة منهم ابن عمـر وحذيفة وغيـرهم - ومن ذلك ايضـا ما روى الحاكم ابوعبد الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون في امتي اقوام يكذبون بالقدر - اسناده صحيح * قال الحاكم على شرط مسلـم وروى الحاكم ايضا عن عائشة رضي الله عنها - قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنة الله

وكل نبي مجاب - او قال مجاب الدعوة - المكذب بقدر الله - والزائد في كتاب الله والمتسلـــط بالجبروت - يذل من اعز الله ويعـــز من اذل الله - والمستحل لحرام الله والمستحل من عترتي ما حرم الله - والتارك لسنتي وقال صحيح * وروى ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلـــم انه ذكر القدرية وقال اشـــرار هذه الامة وقال على شرط البخاري وروى البيهقي من طرق عن ابى الدرداء وابي أمامة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا يقبل منهم صرف ولا عدل - عاق ومنـــان ومكذب بالقدر * وروي ايضـــا بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة ليقم خصماء الله وهم القدرية * قال الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه انما جعلهم خصماء الله تعالى لانهم حكموا على ربهم احكاما - وجعلوا منها حلالا وحراما - وقسموها ايجابا واستحبابا ثم الزموا ربهم وما التزموا منه بل قالوا لا يلزمنا بامر الله شيء بل العقل يبين لوازم على الله ولوازم علينا وامر الله وتفاصيل السرع غير مستقل بايجاب * ثم قسموا الحق واستاثروا باحسنه على زعمهم فهم المعنيـــون صدقا بقـــوله تعالى [ام جعلـــوا لله شركاء خلقوا كخلقه] الاية واهل الحق تبرؤا من حولهم وقولهم * وفوضوا امرهم اليه وتادبوا بآداب الله ولزموا العبودية - ولم يتشوقوا الى الربوبية - ولا تعرضوا تحقيقا ولا تعريضا ولا عارضوا الله تدبيرا وتقديرا فهم تحت قهره مذعنون - وبسلطانه مقرون معترفون - بانه [لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون] وقال الامـــام القاضي ابوبكر الباقلاني رضي الله عنه انما صاروا خصمآء الله لاعتـــراضهم ونسبتهم بعض ما يقـــع من افعـــاله الى الجور ومنعهم جواز الغفران واخراج مذنبي هذه الامة من النار - وانه لا يجوز ان يبتدئ بالثواب ولا ان يتفضـــل بابتدائهم بالجنة ولا يستحق ان يعبد ويشكـــر

ان لم يثب على طاعته وانه لا لطف عنده في خزائنه يستصلح به عبيده - الى غير ذلك من وجوه اعتراضاتهم وتعقبهم لاحكامه تعالى - وطعنهم في توحيده - ووصفه بغير صفاته * قال امام الحرمين رضي الله عنه لو انصفت المعتزلة لارتدعوا عن فضائحهم بالماثور على لسان سلف الامة وخلفها من ذم القدرية * وقال بعض ائمتنا وقد تواقحوا وزعموا ان القدرية خصومهم لاثباتهم القدر راموا بذلك درأ هذا النبذ عن انفسهم بما لا يغنيهم - وراموا بذلك قذف البثر * او صاروا كالذي قال رمتني بدائها وانسلت * وقد قدمت نحوه عن امام الحرمين مع زيادة * وروى الطبري عن ابن عمر رضي الله عنهما تفسير القدرية من زعم ان مع الله تعالى قاضيا او قادرا او رازقا او مالكا لنفسه نفعا او ضرا او موتا او حيوة او نشورا * وبسنده الى ابي بكر الابهري انه قال القدرية عند مالك هم الذين يقولون ان الله لا يقدر المعاصي وروى عبد الرزاق عنه انهم الذين يقولون ان الله لا يعلم الشر قبل كونه وقال المزني قال الشافعي القدري الذي يقول ان الله تعالى لم يعلم الشر حتى عمل به * وقال احمد بن يحيى ثعلب القدري من زعم انه يقدر ونحن نقول لا نقدر الا بالله ومعونته وتوفيقه - وان لم يفعل ذلك بنا لم نقدر - فكيف يكون القدري من زعم انه لا يقدر * قلت والاخبار والآثار في ذم القدرية وتكفيرهم منتشرة مستهرة * وعلى الجملة فالقدرية قسمان - احدهما من ينكر علم الله تعالى بالشيء حتى يكون ويلزم من ذلك انه لم يقدره * وهولاء كفار بلا خلاف كما تقدم * والثاني من يسلم العلم ولكنه يزعم ان الله تعالى لم يقدر افعال العباد * فهذا مما اختلف في تكفيره مذاهب ائمة اهل السنة واقوال علمائهم * فذهب بعضهم الى التكفير بذلك واختار بعضهم عدم التكفير - وتوقف بعضهم - وفصل بعضهم * فقال من زعم ان الله تعالى

لم يقدر افعال العباد ولا يقدر عليها فهو كافر - وان نفى التقدير فقط ففيه نظر * وقد روي باسانيد صحيحة حسنة تكفير القدرية مطلقا ، عن جماعة من الصحابة وجماعة من علماء التابعين وجماعة ممن بعضهم من ائمة اهل السنة وعلمائهم المشهورين * فمن الصحابة علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم * ومن التابعين ومن بعدهم من العلماء المشهورين عمر بن عبد العزيز - وسعيد بن جبير - والشعبي - ورجاء بن حيوة - ونافع مولى ابن عمر - وكذلك نافع بن مالك المدني عمّ الامام مالك - وابراهيم بن طهمان - ومالك - والاوزاعي - واحمد - وابو ثور - وعبد الله بن الحسن العنبري * وسياتى الكلام عن الامام الشافعي واصحابه * وقد روى التكفير المذكور عن هؤلاء الائمة المذكورين جماعة من الائمة باسانيدهم * منهم الامامان الحافظان الطبري والبيهقي وغيرهما * وقد قدمت ذكر شئ من ذلك * ومنه ايضا ما روى الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كلام القدرية كفر * وكلام الحرورية ضلال * وكلام الشيعة هلكة * قلت يعني بالحرورية (بالحاء المهملة والراء المكررة وياء النسبة) الخوارج الذين نزلوا في حروراء - وقاتلهم علي رضي الله عنه - وسيأتي ذكرهم ان شاء الله في خاتمة الكتاب * وروى ايضا بسنده الصحيح الى طاوس ان ابن عباس رضي الله عنهما سمع رجلا يقول الشر ليس بقدر * فقال ابن عباس بيننا وبين اهل القدر - [سيقول الذين اشركوا] وتلى حتى بلغ [ولو شاء لهداكم اجمعين] وبسنده ايضا الى عطاء عنه في قوله تعالى [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون] قال على ما خلقهم عليه من طاعتي ومعصيتي وشقوتي وسعادتي * وبسنده ايضا الى عكرمة عنه انه قال القدرية الذين يقولون ان الله لم يقدر المعاصي على خلقه اولئك مجوس هذه الامة ملعونون على لسان الانبياء اجمعين * ان المجوس

زعمت ان الله لم يخلق شيأ من الهوام ولا شيئا يضر والشر كله خلق ابليس * وقالت القدرية ان الله تعالى لم يخلق الشر ولم يقدّر به - وابليس راس الشركاء - وهم مقرّون ان الله خالقه * وقالوا انّ الله اراد من العباد امرا لم يكن - واخرجوه عن ملكه وقدرته * واراد ابليس من العباد امرا كان * فكان ابليس عندهم اقوى واعز - كذب اعداء الله * ان الله يبتلي ويعذب على ما يبتلي وهو غير ظالم * [لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون] وبسند البيهقي الى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر * ثم قال وهذا اسناد صحيح * وروى ابو داؤد بسند ابي حازم الى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القدرية مجوس هذه الامة * ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم * قال الامام الحافظ ابو عبد الله الحاكم على شرطهما ان صح لابي حازم سماع من ابن عمر * ورواه الامام البيهقي بسنده عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم * وفي رواية عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي وهو ممن احتج به البخاري - وزكريا - وقال الامام احمد وهو شيخ وضعفه غيرهم * قال الحاكم وشاهده ما رواه ابو داؤد عن الامام احمد بسنده الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال لا تجالسوا اهل القدر ولا تفاتحوهم - قال بعض العلماء النهي عن مجالستهم انما هو لمن كان قليل العلم يخاف عليه منهم * فاما قوي الايمان قوي العلم فلا ينهى عن مجالستهم لادحاض حجتهم * وروى البيهقي بسنده الى ابي قلابة - قال لا تجالسوا اهل الاهواء فاني اخاف عليكم ان يغمسوكم في ضلالتهم او تلبسوا عليكم بعض ما تعرفون * وروى الامام الحافظ ابن عساكر ان الشيخ الامام ابا الحسن الاشعري رضي الله عنه كان يقتصد المعتزلة بنفسه ويناظرهم - فقيل له كيف يقصد اهل البدع وقد امرت

بهجرهم * فذكر كلاما معناه اذا هم لم ياتوني ولم آتهم كيف يظهر الحق -
ويعلمون ان لاهل السنة ناصرا بالحجة * وقال بعض العلماء معنى النهي
عن مخالطتهم لمن لا نفع فيه وحينئذ يكون فتح باب شر لا يعقبه فائدة *
وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يارب شرك او قال
شر قبيح على اهل الضلالة التكذيب فى القدر فلا تحاولوهم فيجري شركهم
على ايديكم * قلت وقد قدمت عن علي رضي الله عنه قوله الذي
يتكلم في المشية والله لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك
بالسيف - ثم تلا رضي الله عنه [وما تشاؤن الا ان يشاء الله] [هو اهل
التقوى واهل المغفرة] وروى الطبري بسنده الى ابن عمر رضي الله
عنهما قال لو برزت لى القدرية في صعيد ولم ترجعوا لضربت اعناقهم *
وروى القعنبي فى الموطاء فيما قرأ على الامام مالك رضي الله عنه
عن عمه الى سهيل قال كنت امس مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
فاستشارني فى القدرية - فقلت اني ارى ان نستتيبهم فان تابوا
والا عرضتهم على السيف فقال عمر ذلك رايي - قال مالك وذلك
رايي * وكذلك رواه يحيى بن يحيى عن الامام مالك * وروى الطبري
بسنده الى الامام احمد رضي الله عنه انه سئل عن القدري يستتاب
وقيل له ان عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس يريان ان يستتاب فان تاب
والا ضربت عنقه - فقال ارى ان يستتاب اذا جحد العلم قيل وكيف
يجحد العلم قال اذا قال لم يكن هذا في علم الله استتيب - فان تاب
والا ضربت عنقه * قلت قول الامام احمد هذا هو الذي عليه الاتفاق -
اعنى القول بتكفير من نفى العلم * فانه يستلزم نفي التقدير ايضا
كما تقدم بخلاف نفي التقدير السابق دون العلم فان فيه الخلاف المتقدم
فقيد الامام احمد في جوابه ما اطلقه الامامان المذكوران في جوابيهما رضي

الله عن الجميع * وقد تقدمت قصة غيلان مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وما عاهده عليه من ترك العود الى مقالته في القدر وعوده اليها وقتله مصلوبا في ولاية هشام بن عبد الملك * وروى البيهقي بسنده الى الامام مالك رضي الله عنه انه قال كان عدة من اهل الفضل والصلاح ضللهم غيلان وبسند الامامين البيهقي والطبري الى الامام ابراهيم بن طهمان قال الجهمية والقدرية كفار * وقال الامام ابو ثور القدرية من قال ان الله لم يخلق افاعيل العباد وان المعاصي لم يقدرها عليهم ولم يخلقها فهؤلاء قدرية - ولا يصلي خلفهم ولا يعاد مرضاهم ولا يشهد جنائزهم - ويستتابون من هذه المقالة - فان تابوا والا ضربت اعناقهم * وذلك ان الله تعالى خالق كل شيء وقال تعالى [انا كل شيء خلقناه بقدر] فمن زعم ان شيئا ليس بمخلوق من افاعيل العباد . كان ضالا - وذلك انه يزعم انه يخلق فعله - والاشياء قسمان اما عرض او جسم فمن زعم انه خلق جسماً او عرضاً فقد كفر * قلت واما القسم الثالث الذي هو الجوهر الفرد ففي امكان وجوده اختلاف فلعله لم يذكره لاجل ذلك * وقال عبد الله بن سالم ادركت اهل حمص وقد اخرجوا ثور بن يزيد واحرقوا داره لكلامه في القدر * وذكر الشيخ ابو العباس بن مسروق ان الشيخ العارف بالله الامام ابا عبد الله المحاسبي رضي الله عنه مات وهو محتاج الى درهم وترك أبوه مالا واحوالا كثيرة نفيسة فلم يقبل منها شيئا من اجل ان اباه كان يقول بالقدر * وذكر عنه الاستاذ ابو القسم القشيري انه ورث من ابيه سبعين الف درهم - وروي عنه ايضا انه خلف ضياعا وعقارا فلم ياخذ منها شيئا ومات وهو محتاج الى درهم * و روى الطبري بسنده الى الامام احمد رضي الله عنه انه قال لا يصلي خلف القدرية * وبسنده الى القاضي ابي يوسف صاحب الامام ابي حنيفة رضي الله عنهما انه قال لا يصلي

خلف جهمي ولا قدري ولا رافضي * وعنه انه سئل عن الحكم في القدرية - فقال الحكم ان من تعدى الحكم استتبته * فان تاب والا قتلته * وقال شعيب بن حرب قلت لسفيان يعني الامام سفيان الثوري رضي الله عنه ينسب لي قدري ازوجه قال لا - ولا كرامة * قلت فهذا ما اقتصرت عليه من ذكر الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم واقوال علماء اهل الحق والسنة والجماعة من السلف والخلف رضي الله عنهم في وصف القدرية - وذمهم وتكفيرهم * وقد روى عن الامام الشافعي رضي الله عنه تكفير من يقول بخلق القرآن ونافي القدر والرؤية - ولكن الصحيح المختار عند المحققين من اصحابه من الفقهاء والاصوليين بل عند الجمهور من الشافعيين تاويل ما روى عنه من ذلك كما سياتي ذكره انشاء الله تعالى في آخر هذا المعتقد عند شرح قولي وقبلتنا من امها لايكفر سوى فرق ياتي ذكرها فانه ظاهر كفرها * وهذا المذهب ينبغي ان يعتمد فهو الاحوط الاوسط من مذاهب اهل السنة التي هي اوسط مذاهب الامة * وساذكر ادلتنا على ما ذكرت من عدم التكفير عندنا واذكر نصوص اصحابنا في ذلك والفرق بين مذهب الاعتقاد ومذهب العناد - وليس هناك دليل قاطع على تكفير احد من اهل القبلة والاخراج من الملة بالكلية * ولهذا قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه لترك قتل الف نفس استحقوا القتل اهون او قال اسلم من سفك محجمة دم مسلم لغير حق * قلت نعم هناك بعض فرق كل منهم عن دين الاسلام مرق * وسأذكرهم انشاء الله تعالى فانهم خرجوا من بين الانام بواضح الكفر عن ملة الاسلام كالباطنية واهل الاباحة والقائلين بسقوط التكاليف عنهم - والقائلين بالحلول والاتحاد والمنجمين المعتقدين ان النجوم مدبرة او مؤثرة بذاتها والفلاسفة المعتقدين ان الطبائع

مغائرة بذاتها وسائر القائلين منهم ومن غيرهم بقدم العالم او حدوث الصانع سبحانه او انه غير مختار او غير قادر او غير عالم او عالم بالكليات - دون الجزئيات - او عالم بالموجودات - دون المعدومات لايعلمها حتى يوجد ومن قال ان عليا رضي الله عنه هو النبي ولكن اخطا جبريل عليه السلام بعدوله بالوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم - وكذلك صرح جماعة من الائمة من اصحابنا الشافعية وغيرهم ان من قذف عائشة رضي الله عنهما فهو كافر لتكذيبه بكلام الله عز وجل في برأتها * قلت واختلف العلماء في من جهل صفة من صفات الله تعالى هل يكفر قال بعضهم يكفر وقال بعضهم لا يكفر بجهل الصفة بخلاف جحدها * وممن قال بالتكفير الامام الكبير محمد بن جرير الطبري - وشيخ السنة الامام ابو الحسن الاشعري اولا وقال آخرا لا يكفر راجعا عن قوله الاول وعلى ذلك استقر مذهبه قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا * وانما يكفر من اعتقد ان مقالته حق و وافقه على هذا آخرون * وقالوا لو سئل الناس عن الصفات لوجد العالم بها قليلا * قلت وهذه المسئلة نقلها الامام محيي الدين عن الامام ابى الفضل عياض مع اقوال كثيرة في اختلاف الشراح في تاويل قول الرجل الذي قال لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابا ما عذبه احدا الحديث الصحيح - فقالت طائفة لايجوز حمله على نفي القدرة فالشاك في قدرة الله كافر والرجل القائل هذا ليس بكافر ولكن لقوله معنيان احدهما معناه لئن قدر علي العذاب اى قضاه يقال منه قدر بالتخفيف وقدر بالتشديد بمعني واحد * والثاني ان قدر هنا بمعنى ضيق علي كقوله تعالى [فقدر عليه رزقه] * وقالت طائفة قاله غير ضابط لكلامه في حال غلبة وعدم تيقظ و وصف لا يواخذ به * وقالت طائفة هذا من مجاز كلام العرب وبديع خطابها يسمونه مزج اليقين بالشك كقوله تعالى

[وانا او اياكم لعلي هدى] صورته صورة الشك والمراد به اليقين * وقالت طائفة جهل صفة من صفات الله ثم اختلفوا في ذلك على ما تقدم انتهى مختصرا * رجعنا الى ذكر القدر وقد تقدم قول الامام ابو المظفر السمعاني رضي الله عنه ان القدر سر من اسرار الله ضربت دونه الاستار واختص الله تعالى به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة وطوى علمه عن العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب الى آخر كلامه * وقال بعض العارفين الآيات والاحاديث التي فيها جزاء الاعمال ابدت حكمة التكليف والآيات والاحاديث التي فيها اثبات القدر ابدت مقتضى الآلهية والتوحيد * قلت وهذا كلام حسن فان الارادة الآلهية قد سبقت بتخصيص اهل السعادة بالجنة واهل الشقاوة بالنار قبل الاعمال بمقتضى الحكمة الالهية في ازل الازال * وقد تاملت احكام الشرع فرايتها متعلقة بالظاهر الا الايمان بالقدر فان الحكم فيه متعلق بالباطن مع كون ما يتعلق به من الاعمال وما يترتب عليه من الثواب والعقاب منوطا بالظاهر * وبيان ذلك ان في الظاهر ان من تاب تاب الله عليه وفي الباطن من تاب الله عليه تاب * وفي الظاهر ان من عمل صالحا دخل الجنة وفي الباطن من سبقت له بالجنة السعادة بمقتضي الارادة عمل صالحا وكلفنا بالامرين معا اعني بالتوبة من الذنوب وبالايمان باننا لانقدر على التوبة حتى يهدينا الله وعلينا ان نتوب وباقامة الحدود على مرتكب موجبها وبالايمان بان الله قدرها عليه وبالسخط على النفس اذا عصت واللوم لها والمعافية وبالرضا بالقضاء في ذلك والايمان بكونه كان في السابقة التي يتبعها العافية * و من الآيات الناطقة ان اللاحقة راجعة الى السابقة قول من لايدرك وصفه الواصفون [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون] ومن الاحاديث في ذلك ايضا قول سيد الانام -

عليه افضل الصلوة والسلام - الذي رواه الائمة الاعلام - حاملوا رايات السنة - ما منكم من احد الا وكتب مقعده من النار او من الجنة الحديث الصحيح المتقدم الذي رواه امام المحدثين البخاري ومسلم ورواه ايضا الامامان ابوداؤد والترمذي كلهم اخرجوه رضي الله عنهم من رواية الامام امير المومنين علي رضوان الله عليه بسندهم الصحيح اليه - قال الامام ابو سليمن الخطابي رضي الله عنه هذا الحديث اذا تاملته اصبت منه الشفاء فيما يتخالجك من امر القدر وذلك ان السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقائل له افلا نتكل على كتابنا وندع العمل لم يترك شيئا مما في ابواب المطالبات والاسولة الواقعة في باب التجويز والتعديل الا وقد طالب به - وسأل عنه فاعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ان القياس في هذا الباب متروك والمطالبة عليه ساقطة وانه لا يشبه الامور المعلولة التي عقلت معانيها وجرت معاملات البشر فيما بينهم عليها واخبر انه انما امرهم بالعمل ليكون امارة في الحال العاجلة لما يصيرون اليه في الحال الاجلة فمن يسر له العمل الصالح كان مامولا له الفوز ومن يسر له العمل الخبيث كان مخوفا عليه الهلاك وهذه الامارات من جهة العلم الظاهر وليست بموجبات فان الله تعالى طوى علم الغيب عن خلقه وحجبهم عن دركه كما اخفى امر الساعة قال ويشبه ان يكونوا والله اعلم انما عوملوا بهذه المعاملة وتعبدوا بهذا النوع من التعبد ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم ورجاءهم بالظاهر البادي لهم - والخوف والرجاء مدرجتا العبودية ليستكملوا بذلك صفة الايمان وبين لهم ان كلا ميسر لما خلق له وان عمله في العاجل دليل مصيره في الاجل ولذلك تمثل بقوله تعالى [فاما من اعطى واتقى] الآية وهذه الامور انما هي في حكم الظاهر من احوال العباد ومن وراء ذلك علم الله عز وجل فيهم وهو الحكيم الخبير [لا يسئل عما يفعل

وهم يسئلون] قال واذا طلبت لهذا الشان نظيرا من العلم يجمع لك
هذين المعنيين فاطلبه في باب امر الرزق المقسوم مع الامر بالكسب *
وامر الاجل المضروب في العمر مع التعالج بالطب * فانك تجد المغيب
منهما على موجبه - والظاهر البادي سببا مخيلا * وقد اصطلح الناس عوامهم
وخواصهم على ان الظاهر منهما لا يترك * وقال ايضا اعلمهم النبي صلى
الله عليه وسلم ان العلم السابق في امرهم واقع على معنى الربوبية وذلك
لا يبطل تكليفهم العمل بحق العبودية الا انه اخبر ان كلا من الخلق ميسر
لما خلق له في الغيب فيسوقه الى العمل الى ما كتب من سعادة او
شقاوة فيثاب ويعاقب على سبيل المجازاة * فمعنى العمل التعريض -
او قال التعرض للثواب او العقاب وبه وقعت الحجة وعليه دارت المعاملة *
فلهذا قال عمر رضي الله عنه فنعمل اذن ولم نراجع وهذا من لطيف العلم
الذي لا يدركه الا من لطف فهمه ودقت فطنته وحضره من التوفيق -
ما حضر لعمر وابصر وجه الحكمة فيه واقصر عن التمادي في البحث
والمسائلة عنه انتهى كلامه * قلت وقد جمع فيه من الحسن والتحقيق -
ما يشهد له بالفضل والتوفيق * وقال الامام ابو الفضل القاضي العياض رضي
الله عنه لا يبعد في العقل ان يجعل الله هذه الاعمال امارة على دخول
الجنة والنار ويشهد لكل عبد ما قضى له وعليه في ذلك * ولم يقصد
السائل بهذا السوال الاعتراض على قول النبي صلى الله عليه وسلم بالرد
والتشكيك كما يقصد المعتزلة باعتراضها القدح في الحق من غير مبالات
وترد الاحاديث وما يشبهها وتعترض عليها بانه تعالى اذا خلق معصية
العاصي فلم يعذبه على ما خلق فيه وما سمعوا قوله تعالى [لا يسئل
عما يفعل] وقال الامام ابوبكر الباقلاني رضي الله عنه اعلم ان كل الحاد
وبرهمة ودهرية وقول بالتناسخ وانكار ايلام البهايم والاطفال وكلما بنت عليه

المعتزلة كلامهم ووافقت به اهل الكفر والالحاد انما الجأهم اليه القول بالتعديل والتجويز وقياس افعال الله تعالى على افعالنا واخذ عدله وصفاته من صفاتنا وحكمتنا وافعالنا * قلت وقد تقدم الكلام معهم والرد عليهم فيما بنوا عليه مذهبهم من التحسين والتقبيح العقليين والاحتجاج على بطلان ذلك ومما يحتج به عليهم ايضا وجوه * الاول قوله عز وجل [وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله] ونحو ذلك من الآيات المصرحة بامر الله واعلامه برد الحكم اليه دون غيره * الثاني الآثار المصرحة باعلام الانبياء عليهم السلام الخلق بكون الحكم لله تعالى واقوالهم الدالة على ذلك كقول يوسف وابنه عليهما السلام [ان الحكم الا لله] ونحو ذلك من اقوالهم * الثالث قوله تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما] والقائلون بتحسين العقل وتقبيحه حكموه ولم يحكموا كتاب الله ولا سنة رسوله بل خالفوهما وردوهما ولم يقبلوهما فيما يطول ذكره من الامور الاخروية وغيرهما مما دلت عليه قواطع السمع ولا يتطرق العقل اليه بمنع * الرابع ما قاله الامام المحقق ابن الحاجب المالكي رضي الله عنه لو حسن العقل او قبح لذاته او لصفته لم يكن الباري تعالى مختارا في الحكم لان الحكم بالمرجوح على خلاف المعقول فيلزم الاخر فلا اختيار * قلت وتمام الاستدلال لكن الاختيار ثابت لقوله عز وجل [وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون] فلا يكون العقل محسنا ومقبحا * الخامس قوله سبحانه [ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء] قلت ووجه الاستدلال ان بيان حكم شيء مودع في الكتاب لتلقى الاحكام منه للادلة المذكورة فان لم يفهم منه رجع فيها الى السنة لقوله تعالى [لتبين للناس ما نزل اليهم] والحكم كما ذكرنا منوط بالشرع المعبر عنه بالسمع *

فان قيل القياس احد الادلة وهو عقلي قلت ليس هو بعقلي راجع الى التحسين والتقبيح الذى القول به غير صحيح بل هو راجع الى السمع ويوجب العمل به الشرع على المذهب الصحيح الجدير بالقطع لانه حمل مجهول الحكم من الفرع على اصل معلومه بعلة الجمع وكذلك الاجماع لا يكون الا عن دليل سمعي قد شاع * السادس انه تعالى خلق ابليس وعلم منه انه لا يفعل الا الشر من الاغواء والاضلال [وانظره الى يوم يبعثون] وكذلك خلق الدجال وسلطهما بما جعل فيهما من القوة على الاضلال والفتنة فهل كان ذلك منه الا عدلا وحكمة وهل كان ذلك جاريا على حكم تحسين العقل وتقبيحه كما زعموا فلا فرق بين خلق الشر وبين التقوية عليه والتمكين منه فاين حكم العقل الذي حكموا وهل كان اصلح الذي زعموا انه واجب على الملك الديان خلق الشيطان وكل فتان للمفتونين ام لو ان ذلك ما كان وهل اراد بخلق ذلك ان لا يعصى ام يعصي ويحكم ما يشاء ويضل ويهدي ويسعد ويشقى وهل كان للشيطان الذي اضل جبلا كثيرا من البشر بشيطان آخر اضله ام سابق القدر * و ما معني قوله تعالى [وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا] فسواء كان معناه عظمنا او كثرنا او راسنا او سلطنا فليس للعقل الذي زعموا من التحسين الى موافقة ذلك سبيل * السابع لو كان العقل قاضيا حاكما لما حسن تخلية العبيد يفجرون بالاماء - فانه مستقبح عند العقلاء فما جوابك ايها المعتزلي عن ذلك اتقول انه جاهل بذلك ام على المنع منه غير قادر * فكلو احد منهما قائله كافر * فبالله ايما اهون عليك سلك منهج يودي الى الكفر الصريح ام ترك القول بالتحسين والتقبيح * الثامن ما قدمت من الاستدلال بقوله تعالى [وما كنا

معذبين حتى نبعث رسولا] اذ في ذلك نفي لزوم حكم قبل الشرع لنفي لازمه الذي هو العذاب كما صرح به الكتاب * التاسع ما تقدم ايضا من ان شكر المنعم لو وجب عقلا لم يخل اما ان يكون لغير فائدة و هو عبث او لفائدة للمشكور وهو مقدس عن ذلك او للشاكر في الدنيا وهو مشقة بلا حظ او في الآخرة ولا اهتداء للعقل اليها ولانه تصرف بغير اذن المالك وتنويهٌ بذكر نذر حقير بالنسبة الى كبريائه وعظم جلاله ويصير كمن يمدح ملكا في جميع الاقطار - ويثني عليه بالليل والنهار - ويقول انعم علي برغيف او درهم او دينار - فان جميع ما اعطاه من النعم بالنسبة الى عظمته وما اتصف به من الكرم اقل واحقر من الدينار والرغيف والدرهم بالنسبة الى ملك اكبر ملك واعظم فيصير بجميع ذلك متعرضا للعقوبة والمهالك واذا كان الامر كذلك فالعقل يقول له مالك ولذلك يصير ناهيا له فضلا ان يكون له امرا كمازعموا انه يجب عليه ان يكون شاكرا * العاشر ما قاله الامام المسهور بافحام الخصوم وايضاح المعادي - القاضي الاجل ابوبكر الباقلاني رضي الله عنه مخاطبا لهم طريق ما ذكرتم لوكان العقل لم يخل اما ان يكون معلوما بضرورته او بدليله والاول محال لان ما علم بضرورة العقل العقلاء فيه مشتركون ولا يجوز اختلافهم في امر ضروري * و اكثر العقلاء بل كلهم الذين يقوم بهم الحجة - وينقطع بهم العذر - ويقطع بصدقهم ضرورة فيما يخبرون يجحدون ما ادعيتم * وعندهم ما علم ذلك الا بالسمع * والثاني قد وافقتمونا على بطلانه اذ لو كان بالنظر لصح ان يجهله بعض النظار * الحادي عشر ما قاله الفحل المناظر - والبحر الزاخر - المقدم في الفقه والاصلين - النجيب بن النجيب امام الحرمين - رضي الله عنه لسنا ننكر ان العقول تقتضي من اهلها اجتناب المهالك وابتدار المنافع الممكنة - ولكن هذا في حق الادميين * وكلامنا فيما يحسن ويقبح

في حكم الله تعالى الذي لاينالة نفع ولا ضر بفعلنا ولا بتركه * وانما الحظ لنا فيه بالثواب والعقاب * والعقـــول لا تصرف لها في ذلك فانه غيب والرب تعالى يفعل ما يشاء * الثاني عشر ما قاله الامام المشهور في الآفاق - الشيخ الجليل ابو اسحق - اعني الشيـــرازي المعروف بالفيروز آبادي * ولو وجب بشيء من جهة العقل قبل مجيء الرسل فكان العقل حجـة مجردة في ذلك لما قال الله تعالى [لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] بل كان يقول لئلا يكون للناس على الله حجة بعد العقل * الثالث عشر لو كان الى تحسين العقل وتقبيحه مرجع الاحكام لما احلت لنا بهيمة الانعام وتعذيبها بالذبح وغيره من الآلام من غير اقتـراف معاص منها واجترام كما سياتي ان شاء الله تقرير ذلك واضحا للافهام - فاضحا لمن قال لايكون من الله بغير ذنب ايلام * الرابع عشر اقول ايها المعتزلي الدافع بالنكاح بنته واخته لرجل اجنبي ينكشف عورتها وينظـر الى ما يجب ستره - حتى عن ابيها وامها * ويلعب ذلك كيف ماشاء بها * هل يحسن العقــل ذلك من الاجنبي ويقبحه من اقرب الناس اليها اللازم له صونها واللاحق له عارها والغيرة عليها كيف وفي الغيرة من الرؤية وحدها او الذكر بالفم قد طال ما اسهد السهر فيما تقدم * ومن الشواهد على ذلك والدلائل قول القائل * * شعر *

اغار عليها ان ترى الشمس وجهها   بغيـر خمـار والمحـب غيـور

وقول الاخر * * شعر *

ولا تذكر الى العامرية انني   اغار عليهـــا من فم المتكلـم

قلت وقد اقتصرت على هذه الادلة المذكورة على بطلان القول بالتحسين والتقبيح العقلي وقد فرعوا على هذا الاصل الفاسد فروعا كثيرة باطلة وكل دليل اقمناه على بطلان اصلهم فانه يهدم جميع ما بنوا عليه من الفروع من

حيث الجملة * اذ من المستحيل فى العقل بقاء الفرع مع انهدام الاصل
مع انه لابد ان يستدل على بطلان كل فرع في موضعه ان شاء الله تعالى
بدليل مختص به فيما بنوا من تفريع العقائد على الاصل الفاسد ان الله
تعالى ما خلق شيئا من اعمال العباد ولا اضل احدا ولا اراد اضلاله
بل اراد اصلاحهم وهدايتهم - فلم يقع في ملكه ما اراد بل وقع مراد خلقه
دون مراده فكان ما لم يشا وما شاءه لم يكن والخلق ما شاؤه كان وما
لم يشاؤه لم يكن فجعلوا مراد العبد نافذا في كل مقصود - وحكموا برد مراد
الآله القادر المعبود - وقالوا ما نفذت ارادته في خلقه ولا مشيئه في ملكه
وصمموا فى الاعتقاد على انه تعالى لا يقدر على افعال العباد * وزعموا
بناء على قاعدتهم ان صفة القبيح في كل قبيح غير مختلفة ولا متزايدة
بل كلها على وتيرة واحدة * قال الامام القاضي ابو بكر الباقلاني رضى الله
عنه اتفقوا على هذا فحينئذ الكفر بالله تعالى وجحد رسله وقتلهم كغيره
من صغائر المعاصي * وذلك منهم مخالف لما علم بالضرورة من الشرائع
ومن الكتاب والسنة - ومن مقتضي العقول - ولما اجمع عليه المسلمون
ولمذهبهم فى الفرق بين الكبائر والصغائر * ومنها انكارهم كرامات الاولياء *
لما لم تتسع عقولهم للفرق بينها وبين المعجزات فكانهم ما سمعوا قط قوله
تعالى في مريم [كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا] ولا
سمعوا شيئا من سير الصحابة والتابعين - وسائر السلف الصالحين * ومنها
انكارهم الدجال واحواله كذلك فردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تواتر عنه من الاخبار عنه والاستعاذة منه * وان عيسى عليه السلام ينزل
فيقتله * فكل ذلك من السمعيات القطعية * بل ردوا على جميع الرسل
لانهم انذروا قومهم ولم يزالوا بشيء من ذلك * ومنها انكار ابي الحسين
منهم بعث الاجساد فشارك الفلاسفة والباطنية وسائر الكفار المنكرين

ذلك * ومنها انكار بعضهم بقاء نعيم الجنة و عذاب النار ابداً بل ينقضي ذلك كانهم ماتلوا ولا سمعوا قوله تعالى [ان هذا لرزقنا ما له من نفاد عطاء غير مجذوذ اكلها دائم وظلها وماهم منها بمخـرجين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها] * ومنها نفيهـم لصفـات الله تعالى كما سياتي ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى * ومنها قولهم بوجوب شكر المنعـم عقلا * ومنها انه يجب على الله تعالى اللطف وهو عبارة عما يقرب العبد من الطاعة ويبعد من المعصية * وقد اكذبهم القرآن في غير ما اية كقوله تعالى [سنستدرجهم من حيث لايعلمون - واملي لهم ليزدادوا اثما ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين] * ومنها قولهم انه يجب عليه تعالى تمكين العبد من الطاعات وقد اكذبهـم القـرآن في ذلك قال الله تعالى [ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية] وغير ذلك من الآيات * ومنها قولهم انه يجب عليه تعالى رعاية مصالح عبـاده بل رعاية الاصلح وزاد البغداديون منهم فقالوا لاشيء اصلح مما فعل بكل مكلف ولا يقدر على غيره * قال اصحـابنا وهذا كفر شنيع - وتعـجيز لله تعالى قبيح * واستدلوا عليه بما هو اشنع بانه لو كان يقدر - ومنع كان بخيلا ظالما وتعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قالوا ولو كان عنده ما يؤمن به الكافر ومنعه اياه لكان ظالما [كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا] نطقوا بما يوجب تناهي مقدوراته وتعجيزه وحدوثه * اذ التناهي في القدرة صفة المخلـوق ويلزمهـم جميعا ان لا يجوز ان يبتلي سبحانه احدا ابتـلاء - ولا يكلفه شيئا من التكاليف الشاقة بل يدخـل الخلق الجنة بلا نصـب بل يخلقهـم فيها ابتداء اذ ذلك هو الاصلح لهم والقرآن يكذبهم وكذا تسليط الظلمة على الانبياء والاولياء وغير ذلك من انواع البـلاء - وقد قال الله تعالى [ولوشاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولكن يضل من يشاء - ولو شاء الله لجمعهم على

الهدى - ولوشاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا] الى غير ذلك
مما تقدم وغيره ولا حاجة الى التطويل - بل نذكره وقد اخبر الله عن
اعتراف الكفار عند دخول النار بما يكذب المعتزلة - ومن تبعهم في الانكار
المخالف لنص الكتاب في الحكاية عمن حقت عليه كلمة العذاب - وفيما
ادعوه من رعاية الاصلح من الايجاب - واى مصلحة في الكفر للكفار وفي
العذاب بالنار - نسأل الله الكريم العافية من جميع ذلك ومن اعتقاد
اولئك * وقصة مناظرة شيخ السنة وماضي الاسنة ناصر الحق بالبراهين
القاطعة ومفخم الفرق الزائغة المبدعة الجامع بين الدليلين السمعي
والنظرى الشيخ الامام ابى الحسن الاشعري رضي الله عنه مع الجبائي -
احد رؤس المعتزلة وائمتهم الضالة المضلة - مشهورة شائعة ولراية عليا اماما
رافعة * ومختصرها انه سأل الجبائي عن ثلثة اخوة احدهم تقي - والثاني
كافر والثالث صغير ماتوا كذلك كيف حالهم في الاخرى - فقال الجبائي
التقى في الدرجات العلا والكافر في الدركات والصغير من اهل السلامة -
فقال ابوالحسن ان اراد الصغير ان يذهب الى درجات التقى هل يؤذن
له فقال الجبائي لا - لانه يقال له ان اخاك انما وصل الى تلك الدرجات
بطاعته * وليس لك مثلها * فقال ابوالحسن فان قال التقصير ليس مني
لانك ما ابقيتني وما اقدرتني على الطاعة فقال الجبائي يقول الله
علمت انك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقا للعقاب * فقال ابوالحسن
فان قال الكافر يا اله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت
مصلحته دون مصلحتي فانقطع الجبائى * قلت وفي الاشارة الى عدم
ظلمه سبحانه في كل ما بعباده فعل - والى عدم وجوب الاصلح لهم عليه
عز وجل والرجوع في التحسين والتقبيح الى الشرع وحكمه المقبول
الممتثل وحسن جميع الوجود في عين القلب دون عين الوجه جامعا

للجمال المكمل اشرت فيما يطول ذكره من القصيدات - ومختصر في هذه الابيات * الابيات *

ارى الكون في عين الفؤاد جميعه
مليح المعاني ما به ما يقبح
واما بعين الوجه يحكم ناظر
بقبح وحكم القلب اولى وارجح
واحكامه حسنا وقبحا مردها
الى الشرع ما عقل لذلك يصلح
و اصلح للمخلوق ليس بواجب
والا عذاب النار للعبد اصلح
ولا ظلم في ايلامه لعباده
والا وما بال البهائم تذبح
فخير من الكفار كل بهيمة
ومن رد حكم الشرع ما قط يفلح
الهي امتنا تابعين لسنة
بها تابع للفوز بالسعد يربح
وصل على من جاءنا - شارعا لها
حريصا على الارشاد يهدي وينصح

وذكر الامام الحافظ ابو القاسم بن عساكر رضي الله عنه في كتابه المسمّى تبيين كذب المفتري فيما نسبه الى الاشعري * وهو كتاب جليل حصل في مناقب الشيخ ابى الحسن واصحابه * ان الشيخ ابا الحسن المذكور الّف في القرآن كتابه الملقب بالمختزن * وكان قد بلغ فيه سورة الكهف قد انتهى مائة كتاب * ولم يترك آية تعلق بها بدعي الا ابطل تعلقه بها

وجعلها حجة لاهل الحق * وذكر الفقيه الامام ابن العربي المالكي رضي الله عنه في كتابه العواصم ان كتاب ابي الحسن المذكور كان في خزانة دار الخلافة * وان الصاحب ابن عباد بذل لخازنها عشرة آلاف دينار ليحرقها حتى تحترق ففعل * وقال بعض ائمتنا المتاخرين - وقد وقف على جزء من تفسير الشيخ ابى الحسن * سمّاه بالرد على من خالف البيان من اهل الافك والبهتان - يقص فيه ما حرفه الجبائي والبلخي في تاليفهما * قال في خطبته * اما بعد فان اهل الزيغ والتضليل تاولوا القرآن على آرايهم- وفسروه على اهوائهم- تفسيرا لم ينزل الله به سلطانا - ولا اوضح به برهانا - ولا رووه عن رسول رب العالمين- ولا عن اهل بيته الطيبين - ولا عن الصحابة والتابعين - ولا عن السلف المتقدمين - او قال الصالحين افتراء منهم على الله قد ضلوا - وما كانوا مهتدين ثم قال رايت الجبائي الّف في تفسير القرآن كتابا أوّله على خلاف ما انزل الله عز وجل وعلى لغة اهل قريته المعروفة بجبا - وليس هو من اهل اللسان الذي نزل به القرآن - وما روى في كتابه حرفا واحدا عن المفسرين * وانما اعتمد على ما وسوس به شيطانه - وقد اخطاء في مواضع كثيرة - واشار الى خطائه في كثير منها * ثم قال والّف البلخي كتابا ما اضرب فيه عن تحقيق التفسير * وسأذكر خطائه وفساده - وغرضي في هذا التفسير الرد على من طعن في القرآن من الملحدين - وعلى من حرف التاويل من المنتحلين - لدين المسلمين - والى الله ارغب في سلامة الدين * ثم ذكر ديباجة تقتضي ان الكتاب المذكور ان نسج على منوالها لم يصنّف في الاسلام مثله انتهى * قلت وسأذكر بعد ان شاء الله رؤيا الشيخ ابى الحسن للنبي صلى الله عليه وسلم في المنام وامره له بتامل الادلة على جواز رؤية الله عز وجل من المعقول - مع الادلة الدالة على وقوعها في الآخرة من المنقول *

وقوله صلى الله عليه وسلم يا ابا الحسن اما كتبت يعني في الحديث ان الله تعالى يرى في الآخرة - وانه رآه ليلة اخرى - فامره صلى الله عليه وسلم بتامل جميع المسائل ففعل * وان ذلك كان سبب رجوعه الى مذهب اهل السنة على ما رواه عنه الامام بن عساكر المذكور أولا * رجعنا الى ما كنا بصدده مما اوجبوا على الله جل وعلا * ومنها قولهم الثواب على الطاعات واجب عليه تعالى بمقتضى العقل لانه يقبح تكليف المشاق بلا اجر فكانهم ما رضوا ان يكونوا لله عبيدا يكلفهم ما يريد كما يتصرفون هم ويكلفون من لهم من العبيد هذا * وعندهم شكر المنعم واجب عقلا فكانهم قد قاموا بشكر نعم لا تحصى - وزادوا عليها اعمالا يستحقون عليها الجزاء فقبح الله عبيدا اوجبوا عليه اشياء - وحجروا عليه ان يتصرف في ملكه بما شاء - اما سمعوا قول المولى سبحانه وتعالى [قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما] واما اهل الحق فقالوا الثواب من الله تعالى فضل - ووعد وعد به وهو الكريم الجواد - الصادق الذي لا يخلف الميعاد * ومنها ما اوجبوا عليه تعالى من العقاب على الكبائر قبل التوبة وزعموا ان العفو عنها يقبح منه تعالى لان فيه اغرآء فلزمهم مثله في الصغائر وان يكون خلقه اكرم منه تعالى الله عن قولهم فكانهم ما سمعوا قوله تعالى [ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم - يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - يرجون رحمته ويخافون عذابه] الى غير ذلك من الآيات الصريحات فقبحهم الله أليس هو من حقه فلم لا يعفو عنه فهلا جعلوه كخلقه اذ لهم ان يعفوا عن حقوقهم تعالى الله عن قولهم * واما اهل الحق فقالوا عقابه عدل كما ان

ثوابه فضل لا يجب عليه شيء من الاشيـــاء - لانه مالك الملك يفعل ما يشاء * وبسبب ما اوجبوا عليه من العقاب على الذنوب الكبائر انكروا الشفاعة في اخراج الموحدين من النار * وما جاء في ذلك من صحيح الاخبار المتواترة من حيث المعنى * فكانهم ما سمعوا بالمقـــام المحمود الاسنى الذي خص به نبينا صلى الله عليه وسلم - وزاده من فضله الاعظم * ومنها قبول التوبة وقد اكذبهم الله تعالى بقوله [ويتوب الله على من يشاء] ولا يجب عليه ان يتوب على احد ولا ان يقبلها من احد بل ذلك راجع الى مشيته مع وفائه تعالى بوعده الصدق وقوله الحق [يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم] الاية ومنها ما ذهبوا اليه من ان الله تعالى ليس متفضـــلا على خلقه بايجـــادهم واختـــراعهم ولا متطولا عليهم بتكليفهم بل الحق والتكليف واجب عليه لمصلحتهم برعمهم * فكانهم ما قرؤا قط ولا سمعوا ما ذكره الله في كتابه من امتنانه بذلك عليهم * وقد اعترف بدخول اطفـــال المسلمين والمشركين الجنة دون تكليف وعذاب وتعنيف * ومنها ايجابهم على الله نصب امام يحث على الطاعات ويزجر عن المعاصي * وحكي عنهم انهم قالوا للعبد ان يعترض على الله اذا لم ينصب اماما ويقول ما اردت حصول الطاعات مني لانك لم ينصب لي اماما وكما تحكموا على الله تعالى وحكموا وتحكموا على رسوله صلى الله عليه وسلم فقالوا يجب عليه ان ينص على تعيين امام وكذبوا بذلك وسياتى الادلة القطعية في موضعها على عدم نصبه صلى الله عليه وسلم على احد * ومنها انهم اوجبوا في الانبياء عليهم السلام شروطا وسياتي عليها الكلام وعلى الجملة فجميع ما اوجبوه على الله تعالى قد اكذبهم فيه بقوله عز وجل [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] وغير ذلك مما ذكره تقدم وما ياتي في موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم *

تحقيق كون الحق في المذاهب المتوسط الانور

وبيان كون التوحيد لا يتم الا بالايمان بالقدر- قال الله عز وجل [وآلهكم آله واحد لا آله الا هو الرحمن الرحيم] فكما لا آله الا هو تبارك وتعالى لا خالق الا هو جل وعلا وقال تعالى [هو الله الخالق الباري المصور] فيمدح سبحانه بذلك - والتمدح لا يكون الا بما ليس فيه مشارك * فانظر ايها المعتزلي الى مذهب الاعتزال - كيف اكد سبحانه ذلك بالجمع بين هذه الاسماء التي هي من صفات الافعال - وهل ذلك الا خلاف ما قلتموه - كيف وقد صرح سبحانه باضافة الخلق الى كل شئ على اوضح الوجوه * فقال عز من قائل [ذلكم الله ربكـــم لا آله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه] وما اكتفي ايضا بهذه الاضافة العـــامة الجلية حتى قرن ذلك بالصفتين العامتين الربوبية والالهية * ثم زاد اتبع بيان خلقه لكل شئ تاكيدا وتقريرا فقال سبحانه [وخلق كل شئ فقدره تقديرا] مع ان التمدح باسم الخالق وحده كاف في الدلالة على الاختصاص وان لم تسلم ذلك انبئك بشاهد مالك عن الزامه خلاص * وما يقول هل اشعر باختصاص الممدوح حتى حاز من العليا بمجدها قول الشاعر في مدحه - الواهب المائة الهجان وعبدها - ام لم يشعر باختصاصه فيما يمنح فلا فخر حينئذ تميز به فيميز ويمدح لكنه ميّز ودوّن بمدحه في الورى فلزم ان يكون ذلك بالاختصاص مشعرا - واذا شعر بذلك في مخلوق حقير - فما ظنك بالخالق العلي الكبير - وقال تعالى في كتب المقادير [ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين - ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبـــل ان نبرأها - وكل شئ فعلوه في الزبر - وكل صغير وكبير مستطر - وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا - وكل شئ احصيناه في امام مبين] وغير ذلك

مما هو معروف وكذلك الاحاديث - وقد قدمت ما فيه كفاية لمن استبصر وتدبر بنظره وفكره ووفق للتصديق بالحديث الصحيح الصريح ويؤمن بالقدر خيره وشره وغير ذلك مما تقدم - وغيره مما لا نطول بذكره بل لا نجد الى استطاعة حصره مما يتوقف على التصديق بمضمونه تمام الايمان والتوحيد - ويتصف صاحبه بالاعتقاد الصحيح السديد * قال الحبر الامام حجة الاسلام - المشهور له بالصديقية وعلو المقام - ابو حامد قدس الله روحه وزاده في جلالة قدره تمام التوحيد والتصديق بالقدر خيره وشره - قال والاعتراض عليه محظور واضافة الفعل للاسباب والوسائط باطل فلا خالق الا الله كما انه لا آله الا الله - والقول بالجبر فاسد وكلا طرفي قصد الامور ذميم كما روي حماد بن عيسى بسنده الى السيد الكبير سلالة النبوة - معدن الشرف والفضل والفتوة - بحر العالم الزاخر - محمد بن علي بن الحسين الباقر- رضوان الله عليه وعلى آبائه انه قيل له هل اجبر الله العباد فقال الله اعدل من ذلك فقل هل فوّض اليهم قال الله اعز من ذلك لو اجبرهم لما عذبهم ولو فوّض اليهم ما كان للامر والنهي معنا قال السائل فكيف اقول اذن قال منزلة بين المنزلتين هي مابين السماء والارض ولله في ذلك سرّ لا تعلمونه - قال الامام ابو حامد لكن الذي يجب على المكلف اعتقاده والذي يخلص به ايمانه ويفارق به اهل الاهواء او البدع ان كل ما يحدث في العالم من خير وشر وحركة وسكون وصفة وموصوف وعمل ومعمول فبقضاء الله وقدره وانه تعالى خالق الكل ومخترعه ومنشيه ومبرمه - ولا يكون في العالم الا ما قدره ولا يوجد منه الا ما يريد - فلو وجد في سلطانه ما لم يقدره ولم يرده لجاز عليه ان يريد في سلطانه وان يقضي فيه ويقدر ما لا يكون وهذان يخرجان من اتصف بهما او باحدهما من الالوهية - نعوذ بالله ذي الجلال - من التورّط في الضلال * وقال الامام البيهقي رضي الله عنه

ليس لقائل ان يقول اذا خلق كسبه وبسره لعمل اهل النار ثم عاقبه عليه كان ذلك منه ظلما كما ليس له ان يقول اذا مكنه منه وعلم انه لا يأتي منه غيره ثم عاقبه كان ذلك منه ظلما لان الظلم في كلام العرب مجاوزة الحد والله تعالى خالقنا وخالق اكتسابنا لا امر فوقه ولا حكم دونه وكل من سواه خلقه وملكه وهو يفعل في ملكه مايشاء [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] وقال ايضا الظلم عند العرب هو فعل ما ليس للفاعل فعله وليس شيء فعله الله الا وله فعل الا ترى انه فعل بالاطفال والمجانين والبهائم ما شاء من سائر انواع البلاء وقال [اغرقوا فادخلوا نارا] فاغرقهم صغيرهم وكبيرهم - وفي عاد [اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم] وغير ذلك من الآيات الواردة في تعذيب الصغير والكبير والمجنون وغير هؤلاء بانواع البلاء * وقال الامام ابو سليمن الخطابي رضي الله عنه اعلم ان لهم في هذا الباب وفي التعديل والتجويز اسولة كثيرة وامثلة يغالطون بها والانفصال عنها سهل ولكن قد يطول الامر على من شرع مسرع الكلام فلايزال يورد ويصدر والخواطر لا تكاد تتناهي والانفاس لا تنقضي وتاليف الكلام كتاليف العدد والحساب لا ينتهي الى مبلغ معلوم ولا يتجاوز فيحتاج في هذا الى المقدمتين يعتمدهما اهل البصائر في الدين وعليهما كان معمول علماء السلف الذين اونوا الكلام في هذا الباب وتركوا الجدال فيه - احداهما ان يعلم ههنا امورا يلزمنا الايمان بجملها ولا يصح وصولنا الى تفصيل حقائقها وسبيلنا ان ننتهي الى ما حد لنا فيها وان نرد الامر الى ما ورد من التوقيف في احكامها على ما منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قيل له اعملوا فكل ميسر لما خلق له قال نعمل وسكت وفوق كل ذي علم عليم وقال تعالى [وان الى ربك المنتهى] * قال بعض العلماء اذا انتهى الكلام الى الله والى ما تفرد به

من العلم فليس الا الانتهاء والتوقيف والتأنية ان نعلم ان ما لا يدركه العقل هو المستحيل في العقل وقد غلط الناس في هذا غلطا عظيما - فجعلوا الشيء الذي لا يدركه العقل لعجزه عن الاحاطة به مستحيلا في العقل وليسا سواء لان الذي لا يدركه حظه التوقف فيه - والذي ينكره هو الذي قضي باستحالته ولم يتوقف - وسبيل هذين ان يضبطا ولا يغفل عن مراعاتهما انتهى * وروينا في صحيح مسلم عن ابى الاسود الدولي قال قال لي عمر بن حصين رضي الله عنه أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم - فقلت بل شيء قد قضى عليهم ومضى فيهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون - فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سألتك الا لاحزر عقلك - ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم * قلت وقد قدمت ايضا ما روى الامام الطبري بسنده الى عطاء بن ابي رباح قال كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاءه رجل فقال يا ابن عباس أرايت من صدني عن الهدى - واوردني دار الضلالة والردى - أتراه قد ظلمني قال ان كان الهدى كان لك شيئا عنده فقد ظلمك - وان كان الهدى هو له يؤتيه من يشاء فلم يظلمك - قم ولا تجالسني * وروى الامام البيهقي بسنده انها جاءت جارية برقعة مختومة الى الامام سفيان الثوري رضي الله عنه ففضها وقرأ ماذا فيها - بسم الله الرحمن الرحيم من داود بن يزيد الاودي الى سفيان بن سعيد الثوري

ما تقول في رب قد تقدر عليّ وقدر على ارشادي واصلاحيَ وعصمتي وتوفيقي فمنعني عن ذلك بقدرته وقد عزم عليّ ان يعذبني بالنار جار ام عدل * فكتب اليه سفيان - بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى واقر بان محمدا رسول رب العلا ان يكن الايمان والارشاد والاصلاح والعصمة والتوفيق حقا لك على الله لازما وديناً واجبا فمنعك بقدرته وحجبك بقوته ما هو لك عليه وقد عزم على ان يعذبك بالنار فلقا انه جار عليك ولم يعدل ومن المحال ان يجور الله على احد من خلقه ولا يعدل وان يكن ذلك كله فضل من الله فالله يوتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم - فكتب اليه داؤد انه تائب الى الله تعالى مما كان مقيما عليه وانه فوض الامور كلها الى رب العالمين * وقال الشيخ الامام محي الدين النووي رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما * قال العلماء الظلم منه سبحانه مستحيل لان التصرف في غير الملك او مجاورة الحد وكلاهما مستحيل في حقه تعالى كيف يجاوز حدا وليس فوقه غير من يطيعه بل هو القاهر فوق عباده وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله ملكه وسلطانه ومعني حرمت الظلم على نفسي تقدست عنه وتعاليت انتهى * قلت والى كم في ميدان الاحتجاج والبيان - تركض جياد العقل والنقل في اقامة البرهان - ونُوحي لها في ميدان الاخبار عن العيب العيان - وقد جال في ميدان المشاهدة فرسان المجاهدة وعلب الخبر العيان - واجمع المقربون العارفون - بصفات السلطان السالكون - في منهج التوحيد الى الحضرة القدسية المختصة بخواص اهل الحق المضروبة فيها خيام الصوفية المقدسة في سلوك طرقها فضلا عن طروقها عن المبتدعة من جميع البرية على ان جمع

الحركات والسكنات مشاهدات ومعاينات بعين الكشف الحقيقي صادرات
عن الصفات الكريمات مقدرات في العدم حقا - وموجودات من العدم خلقا *
قال الشيخ الكبير - الولي الشهير - العارف بالله الخبير - تاج العارفين - قطب
علوم الاولياء العالمين - سيد الطائفة المشغولة بالله العارفة ذو الوصف الحميد -
الاستاد ابو القاسم الجنيد - قدس الله روحه ونور ضريحه - سئل بعض العلماء
عن التوحيد فقال السائل بيّن لي ما هو فقال معرفتك ان حركات الخلق
وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له فاذا عرفت ذلك فقد وحّدته *
وقال الشيخ الكبير العارف - معدن الاسرار وبحر المعارف - نور الدياجي
والحنادس - العالم الرباني فارس - رضي الله عنه التوحيد اسقاط الوسائط
عند غلبة الحال والرجوع اليها عند الاحكام - وان الحسنات لا تغير الاقسام -
من الشقاوة والسعادة * وقال بعض العارفين منهم من الناس من يكون
في توحيده مكاشفا بالافعال يرى الحادثات بالله * وقال الشيخ الكبير العالم
الرباني العارف بالله ابوبكر الواسطي رضي الله عنه ادعى فرعون الربوبية
على الكشف وادعت المعتزلة على الستر تقول ما شئت فعلت - وقال
بعضهم التوحيد اسقاط الياآت لا تقول لي وبي ومني مسيرا الى ان جميع
الاشياء لله وبالله ومن الله وفي اسقاط الياآت قال بعضهم * * شعر *
ومن انا حتى ان اقول قضيتني * وعندي ولي او ليس عندي او انا
وقد حاز توحيدي المحاسن كلها * لاني ارى في كل شئ له حسنا
وقوم باسقاط الوسائط وحّدوا * وما ثبتت عندي فاسقطها ذهنا
وفي هذا المعني قال الشيخ الكبير العارف بالله الولي - امام الطريقة ولسان
الحقيقة ذو المقام العلي - بحر العلوم والاسرار - ومعدن العارف والانوار - الحسن
الشاذلي رضي الله عنه انا لا نرى مع الحق احدا من الخلق ان كان ولابد
فكالهباء في الهواء ان فتشته لم تجده شيئا * قلت واقوال المشائخ في هذا

المعني كثيرة منتشرة ومعروفة مشهورة ولا حاجة بنا الى ان نتبع كل نص وقد وضع الحق والتوفيق باتباعه يتضحض وفيما ذكرناه كفاية من اقوال علماء الظاهر والباطن مع نصوص الكتاب والسنة - لمن وفق لسلوك طريق الحق بمحض الفضل والمنة * وبعد هذه الاقوال والاجوبة والمسائل فما تقول ايها السائل الراضع من لبان المعتزلة نهلا وعلا - والرضاع تغير الطباع فلا يكاد ينصلح اصلا - القائل بالتحسين والتقبيح عقلا - وان الله جل وعلا - يقبح منه ما يقبح منا وانه لا يحسن من الرب ان يؤلم من غير ذنب في الامراض والاسقام والبلايا والآلام التي بها زوال العقل ونزول الاعتلال - النازلان بالمجانين والاطفال - هل يتالمون بها ام لا فان قلت لا فقد كذبت الحس وافتريت بهتانا اذ تالمهم محسوس ومشهود عيانا وان قلت بذنب فقد خرقت الاجماع وكذبت بالحديث الصحيح الذي في الوجود شاع اذ هما من الثلاثة الذين اخبر صلى الله عليه وسلم بانه مرفوع عنهم القلم * وانعقاد الاجماع مشهور على هذا المذكور وان قلت انما ابتلوا ليعوضوا ويثابوا عليها ونرفع لهم درجات يجدونها اذا صاروا غدا اليها فقد هدمت مذهبك المبني على قاعدة التحسين والتقبيح وأقررت على نفسك بالخطاء الصريح اذ يقبح في العقل من الحكيم أن لا ينعم احدا بنعيم حتى يذيقه من عذاب اليم * وذلك كانسان يعذب ضعيفا - ليعطيه رغيفا - فان ثواب الله تعالى للمبتلا في الجنان - بالنسبة الى سعة فضله وعظيم الامتنان - أقلّ من ذلك الرغيف بالنسبة الى ذلك الانسان - ولئن سلمنا صحة مذهبكم الظاهر الفساد - تنزلا في البحث لا في الاعتقاد * فما تقول في البهائم التي شرع لنا حلّ ذبحها - ومُنَّ علينا بلذاذة أكل لحمها - وفي السمك والجراد اللذين احلا لنا ميتتين - وحل لنا شيهما بالنار حيين - أيتألم المذكورات بما ذكرنا أم لا فان قلت لا فقد تهت وجحدت ما بالضرورة يعلم وان اعترفت

فهل ذلك لتعويض أم لا فان قلت نعم فقد اتيت بما لم يات به شريعة و نقضت أصلك ايضا كما تقدم وان قلت ليس ذلك لتعويض ومجازاة لها بل عقوبة ذنوب صدرت منها قلت لك وهل كلّفت حتى تصورت منها المخالفة فعوقبت بسبب الذنوب السالفة فان قلت نعم فقد أفريت على الله تعالى تكليف البهائم - وافتريت عليها المخالفة والعصيان واكتساب الجرائم - وعند ذلك اقول لك هل هذا التكليف وارد على هذه الصور ام على صور اخرى نسحب الى هذه فان قلت بل على صور أخرى فقد ذهبت الى مذهب التناسخ الذي هو في وحل المحال الباطل راسخ ولا تجد له أصلاً أصلاً لا شرعًا ولا عقلاً وان قلت ورد على هذه الصور * قلت التكليف بالاحكام تشريع والتشريع منوط باصحاب الشرائع وهم الرسل صلوات الله عليهم والرسل تكون من جنس المرسل اليهم قال الله تعالى [وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه] فلزم من ذلك ان يكون لكل جنس من البهائم والحشرات وسائر الحيوانات نبيّ منها وقد التزم ذلك اهل هذا المذهب ولزمهم طرد ذلك في كل حيوان حتى في الهوام والخنافس والديدان ورأوا في ذلك بفضائح وقبائح لم يسمع بمثلها كل غاد و رائح والى ذلك اشرت فيما تقدم بقولي * * شعر *

بمــذهب كل منهم رب ضحكـــة	مضحكــة الباكي الحـزين المثكل
ففي الباطني كل الدواب مكلف	لها أنبيـاء بوحي الى كل مرسل
و من عجـــب نور نبي بفـــرده	وتيس خصوه مع حمـار محمـل
ولا تعب والتكليـــف نار وجنـــة	لنفس زكت عودا الى الفلك العلى
و في الرافضي جبريل اخطأ بوحيه	الى احمـد لم يرسل الا الى على
فيا عجبـــا من مارق في ثلاثـــة	وعشـــرين عاما للاله مجـــهـــل
وفي الحسوي مدّ ونحـــة قارى	وحرف كلام الله والعرش معتلـــى

تعـــالى آله عن حلـول حوادث   به وعلا لم بالحـــوادث يحـلـــل
وللكـــل كم سجيـــة وفضيحـــة   وأعجوبة تحكـــي بهـــا لم اطول

واشرت بقولي في ثلثة وعشرين عاما الي مدة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم [1] ....

[ان الدين سبقت لهم منا الحسنى] وغير ذلک من آيات الكتاب المصرحة بما حق من كلمة العذاب و تقدير الذنوب عليهم علامة للشقاء - وصدورها منهم حجة مع حججهم الباطلة على رب الارض والسماء - لو عذبهم بغير ذنب بل بمجرد القضاء - وتقرير هدا المذكور على وجه التنبيه - أقول الحجة في الظاهر لا تثبت الا بالذنب والدنب لا يثبت الا بالمخالفة والمخالفة لا تعلم الا بالشرع والشـــرع لا يثبت الا بالرسل المتشـــرعين المبشرين المنذرين فالحجة لا تثبت في الظاهر الا ببعثة الرسل ومخالفة شرائعهم * قال الله عز وجل [رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] والى ذلک الاشارة بقوله تعالى [ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا ارسلت الينا رســـولا فنتبع آياتک من قبل ان نذلّ ونخزي] فان قلت كيف يسبق القضاء بالشقاء من غير ذنب مضى - قلت اقتضت كلمة الحق السابقة وحكمته البالغة ان يكون في المملكة سعيد وشقي - وفاجر وتقي - وغني وفقير وشريف ودني - وعالم وجاهل - وظالم وعـــادل - وعزيز وذليل - وسخي وبخيل - وشجاع وجبان - ومكرم ومهان - ومعافي وسقيم - وعذاب ونعيـــم - وخير وشر - ونفع وضر - وبدعة وسنة - ونار وجنة - الى غير ذلک من الاقســـام - الخارجة عن حصر الانام * واقول ايضا ذلک مقتضي اسمائه الحسنى وصفاته العلا ان من اسمائه تعالى الجبار والقهار والضار والنافع والخافض والرافع والمعز والمذل والمنتقم والعفو * ومن

---

[1] One page is here missing in the original MS

صفاته العظمة والكبرياء والجلال والعلا والعزة والقدرة والقهر والسطوة * وعلى الجملة اقتضت الحكمة البالغة والعلم الكامل القديم - ان يكون - الوجود جميعه على ما هو عليه من الاوصاف ومن العذاب والنعيم * وان يقع المقدورات من جميع الكائنات على وفق ما سبق قضاء القدير الحكيم - العزيز العليم - من غير زيادة ولا نقص ولا تاخير ولا تقديم * وقد قدمت شيئًا من الكلام في ذلك في الجواب عن كلام الامام حجة الاسلام واشرت الى ما اقتضته الحكمة من كثرة التنوع والاصناف والاتفاق والاختلاف * وقد قال الله العظيم في كتابه الكريم [ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك] ولذلك خلقهم وفي المشار اليه بذلك قولان - احدهما خلقهم للاختلاف * والثاني للرحمة * قلت قد وقع لي في وقت تسويد هذا الجواب تعجب ممن يرى تعذيب الجبار القهار - عصاة المومنين بالنار - بذنوب قدّرها عليهم في القدم - فيبيحها لا يليق بالحكيم ذي الجود والكرم * ولا يرى ما يلزم من القبح على مذهبه السقيم - في تعذيب الحكيم العليم - الجواد الكريم - الرؤف الرحيم - الغفور الحليم - خير الغافرين - وارحم الراحمين - واكرم الاكرمين - عصاة المسلمين - المؤمنين الموحدين - بنار عظيمة ذات عذاب اليم * ويحرمهم دار العز والنعيم - ويخلدهم في دار الهوان والجحيم ابدا - على مذهبهم الخالي عن الهدي * فهلا قبح عقدهم في العقل الذي جعله حاكما وجعل حكم التقبيح والتحسين عنه صادرا تعذيب حكيم موصوف بهذه الصفات الكريمة مؤمنا موحدا بفرد جريمة سرمد الدهر بنار عظيمة * ومما يكذبه من حكم في العقل الصحيح - يكذبه ايضا محكم النقل الصريح * قال الله العظيم اصدق القائلين [ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] فهل القائل بوجوب ذلك الا حاكم على الحاكم الحكيم - وحاجز من الغفران على الغفور الرحيم - ومكذب بقوله المذكور الحكيم الكريم * قلت

ولو لا ان صفاته تعالى اقتضت تخليد الكفار في النار لما منع العقل اخراجهم منها - بل ما اوجب ادخالهم فيها كيف والمخلوق الحقير ذو الاوصاف الذميمة والطبع الدني الذي هو الى التشفي بالانتقام مائل قد يسمح بالعفو عن كل مذنب عامد وناس وعالم وجاهل كما قال واحسن في ذلك القائل * * شعر *

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وإن كثرت منه علي الجرائم

وقال الآخر ولله دَرُّهُ مِنْ قائل * * شعر *

واني و إن أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

فكيف بالخالق الحليم ذي الصفات الكاملة الكريمة - والرحمة الواسعة العظيمة * لولا ما ذكرت من سبق كلمة الحق - ونفوذ حكم القضاء والمشيئة السابقة ومقتضي الاسماء الحسنى والصفات العلا والقول الصدق والحكمة البالغة اذ جميع ذلك لا يتبدل ولا يتغير ولا حكمة عن اجله المعلوم يتقدم ولا يتاخر * ولو لا النيران - ما عرف قدر الجنان - ولو لا العذاب وما فيه من الانتقام - ما عرف النعيم وما فيه من الانعام - ولو لا الذل والهوان ما عرف قدر العز والاكرام و لولا الاعراض والهجر ما عرف قدر الاقبال والوصل - ولقد أحسن القائل فيما قال * * شعر *

كذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

قلت هذا ما اردت من التنبيه على ان القبح لا ينسب الى الله تعالى اصلا - ولا يتصور منه شرعا ولا عقلا - لانه متصرف وحاكم في ملكه وخلقه - لا حاكم عليه فلا ينسب قبح ولا ظلم اليه * واما في حق الخلق فينسب القبح والحسن اليهم شرعا لا عقلا كما تقدم فكلما حسنه الشرع فهو حسن وكلما قبحه فهو قبيح ولا حكم للعقل في ذلك لما قدمناه من الدليل * وبيان ذلك ان كل ما نهى عنه شرعا فقبيح والا فحسن - كالواجب والمندوب

والمباح وفعل غير المكلف - هذا مذهبنا الذي قال به اصحابنا - واحتج له ائمتنا بما يطول ذكره - وقد قدمنا شيئا من الادلة وان الثواب منه تعالى فضل والعقاب عدل والعمل دليل وكل ميسر لما خلق له يخلد الموفق للطاعات في جنانه - وفآءً بوعده ويعذب الكافر المعاند في نيرانه - بمقتضى وعيده وينقطع وعيد المؤمن العاصي بقوله تعالى [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره] ولا يرى ذلك الا بعد الخلاص من العذاب وغير ذلك من الآيات الكريمات وبقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة الحديث وغير ذلك من الاحاديث الصحيحات - وكذلك مذهب أصحابنا من ائمة الاصول - الذين اقاموا عليه قواطع المعقول - انه لا غرض لفعله تعالى - ولا علة لحكمه جل وعلا - خلافا للمعتزلة واكثر الفقهاء المتاخرين في كونه معللا برعاية مصالح العباد * لانه لو صدر منه شيء من ذلك لعرض لكان ناقصا لذاته مستكملا بغيره * ولا يقال غرضه تحصيل مصلحة العبد لان تحصيل مصلحة العبد وعدم مصلحتها ان استويا بالنسبة اليه لم يصلح ان يكون غرضا داعيا الى الفعل والا لزم الاستكمال الذي هو عليه محال * وعلى الجملة فقد قال ائمتنا الحق الذي لا شك فيه أن الله تعالى يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون كما قال تعالى في الذر هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي الحديث المتقدم * قلت واذ قد ذكرنا اعتقاد ائمتنا وبراهينهم القاطعة - في كونه تعالى خالق كل شيء - وذكرنا اعتقاد المعتزلة - فلنذكر سائر المخالفين ايضا من الفرق المتفق على كفرهم - واما الفرق المنتمية الى الاسلام فقد علم ان جميعهم موافقون للمعتزلة في الاعتقاد في هذه المسئلة * ولم يخالف الجميع - في ذلك سوى اهل السنة اما المخالفون من الكفار في كونه تعالى خالق كل شيء فست طوائف على ما نقله بعض ائمتنا * الطائفة الاولى

الفلاسفة قالوا المعلول الاول لذات الله تعالى من غير واسطة شيء واحد و هو العقل الاول - وأما سائر الاشياء فهي معلولات معلولاته فجعلوا الصانع المختار جل وعلى عن قولهم وقول سائر الجاحدين والملحدين علوا كبيرا علة وقصروا تلك العلة على شيء واحد - وهو العقل الاول بزعمهم ثم العقل الاول صدر عنه العقل الثاني والفلك الاعلى ونفسه - وعن العقل الثاني صدر العقل الثالث والفلك الثاني ونفسه - وهكذا الى العقل العاشر - وعنه صدر عالم العناصر وايضاح ذلك في موضع آخر من هذه الكتاب * والطائفة الثانية الباطنية قالوا بالهين سموهما السابق والتالي - لا اول لوجودهما من حيث الزمن - الا ان السابق علة لوجود التالي - وخالق العالم السابق بواسطة التالي لا بنفسه * وايضاح مذهبهم في خاتمة الكتاب * والطائفة الثالثة الطبائعيون القائلون بأن حوادث هذا العالم من المعادن والنبات والحيوانات معللة بامزاج الاربعة العناصر بعضها من بعض * الطائفة الرابعة المنجمون القائلون بان المدبر لهذا العالم السفلي هو الافلاك والكواكب - محتجين بقولهم انّا نشاهد تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغير احوال الكواكب والليل والنهار والفصول الاربعة * قلت فهؤلاء جعلوا الدوران المختلف في كونه علة لثبوت احكام الفروع الثابتة بالظن علة لثبوت الاحكام الآلهيات المفتقرة في ثبوتها الى البراهين القاطعة فوقعوا في الخطاء العظيم وعدلوا عن مكون الاكوان ومدبر الامور ومغير الاحوال ومسبب الاسباب بالحكمة البالغة الى الافلاك والكواكب المسخرات بأمره المقهورة لا الفاعلة الفاطرة بل المفعولة المفطورة هذا * وعلم النجوم مع علم المنطق معدودان من علوم الفلاسفة - وقد ثبت في المنطق انه لا يلزم من حصول شيء عند حصول شيء ومن عدمه عند عدمه كونه معللا به لاحتمال حصول الدوران مع شطر العلة او شرطها او صفة لازمة لها

طردا وعكسا مع كونه اجنبيا عن التاثير * والطائفة الخامسة الثنوية الذين ينسبون الخير الي النور والشرّ الى الظلمة * والطائفة السادسة المعتزلة القائلون بخالقين ايضا باضافتهم خلق افعال العباد اليهم * قلت وقد تقدم ايضاح بطلان مذهبهم - ولست اطول بذكر الحجج على بطلان كلواحد من مذاهب هؤلاء الطوائف المذكورة اكتفاء باقامة البراهين القاطعة على ان لا خالق الا الله في الاستدلال على خلق الافعال - وبطلان مذهب ذوى الاعتزال - في غير هذا المكان * فمذهب سائر هذه الطوائف اولى بالبطلان - والله الموفق والمستعان * واذ قد اوضحنا مذاهب المخالفين القائلين بكون المخلوقين خالقين فلنوضح ايضا مذاهب اصحابنا في كيفية نسبة الافعال - الى خلق الله الكبير المتعال - مع اتفاقهم ان العبد غير موجد فعلا بالاستقلال * قال الشيخ ابو الحسن الاشعري افعال العباد كلها واقعة بقدرة الله ومخلوقة له وقدرة العبد الحادثة لا تؤثر اصلا - بل الداعي والقدرة والمقدور كل ذلك واقع بقدرة الله تعالى ومذهبه ان الوجود باسره لا مؤثر فيه الا الله عز وجل * وقال القاضي ابو بكر الباقلاني ذات الفعل صادرة من الله تعالى ووصف كونه طاعة او معصية من العبد - وهذا قريب من قول ابى الحسن في المغني - وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني المؤثر في الفعل مجموع قدرة الله وقدرة العبد * وقال امام الحرمين منا وابو الحسين من المعتزلة - والحكماء من الفلاسفة الفعل واقع بقدرة يخلقها الله تعالى في العبد * قلت وقد تقدم قول الامام ابي حامد الغزالي ان انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار - فالقدرة وصف للعبد وخلق للرب وليست كسبا له - والحركة خلق للرب ووصف للعبد وكسب له - قلت واذا علم هذا رجعنا الى اصل

السوال وهو قول السائل انما يصح الاستدلال بكلام الله تعالى الى آخر قوله
فاما مع تجويزكم القبيح عليه - فما الثقة بكلامه وذكر من جملة القبيح ارادة
الكفر والظلم - وقد قدمت منع كون ذلك قبيحا بالنسبة الى الله تعالى
واستدللت عليه وعلى بطلان التحسين والتقبيح العقلي بما فيه كفاية - وبعد
هذا اقول في تقرير صحة الاستدلال - بكلام الله الكبير المتعال - وخبره الصدق
وقوله الحق المعظم وصدق معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم تقريرات خمسة -
التقرير الاول - اقول وبالله التوفيق لا مانع من الوثوق بكلام العدل ما لم
يثبت فيه قادح خارج عند حاكم ولا حاكم الا الشرع للدليل المتقدم ولم
يثبت قادح فى الشرع في حق الحق العدل فلا مانع من الوثوق بكلامه *
التقرير الثاني اقول ايضا لا ظالم الا من تصرف في غير ملكه او في ملكه
على وجه منعه منه حاكم عليه محق - والله تعالى متصرف في ملكه
على وجه لم يمنعه منه حاكم اذ لا حاكم عليه فلا يكون ظالما فيكون عدلا
والعدل موثوق بكلامه فكلام الله تعالى موثوق به بل كلامه اصدق الكلام واوثقه
واعدله واحقه وهو الحاكم لا المحكوم عليه فالمرجوع في كل شيء اليه نفعنا
الله ببركاته وجعلنا من المستضئيين بنور آياته والمسلمين آمين * التقرير
الثالث اقول ايضا خبر الله تعالى صدق لان الكذب نقص والنقص على الله
تعالى محال فخبره صدق والصدق موثوق به فخبر الله موثوق به * التقرير
الرابع اقول ايضا ارادة الحق تعالى لكفر الكافر وظلم الظالم لا يقدح في
صدق المعجز الصادق بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر عن الامام
ابن الخطيب الرازي رضى الله عنه الذى شنع عليه السائل ونسبه الى
الهوى والمراوغة عن الحق والتخبط في تيه الباطل بزعمه - وما يدري من
الاولى بهذا الذي نسبه اليه اهو امامنا المذكور ام ائمة القائلون بوجوب
الاصلح على الله تعالى الذين مقتضي مذهبهم ان يكون كفر الكفار وما هم

فيه من سخط الجبار - وتخليدهم ابدا في النار - اصلح لهم من تخليدهم ابدا في الجنان - وما فيها من النعيم ورضى الرحمن - وكون بقائهم فيما يقاسون منها اصلح لهم من عدم ايجادهم او موتهم فيها لان اظهار المعجز علامة على صدق الارسال انشاء والانشاء لا يدخله الكذب كالتوكيل وليس باخبار عن ماض حتى يدخله الكذب اذ ذلك نازلة منزلة قول الملك لبعض خواصه ارسلتك او وكلتك ملزم ان يكون صدقا والصدق موثوق به - فخبر الله موثوق به * التقرير الخامس في زيادة ايضاح هذا التقرير المذكور وبيان صحة قول الامام المحققين الخطيب المشهور الذي نسبه السائل الى التخبط في تيه الباطل .اقول ايضا لو فرضنا ان ملكا من ملوك الدنيا الذين يصح صدور القبيح منهم علم منه فعل القبيح مثلا فقام بين يديه انسان في محفل عظيم من رعيته وخدمه وحاشيته وادعى على من حوله انه رسول الملك اليهم - ومولى منه عليهم - وانه قد امرهم ان يطيعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه وان علامة صدقه في ذلك المقال - والشاهد له في ذلك الحال - ان يقوم الملك على سريره ويقعد على خلاف عادته ثلاث مرار - ثم قال عند ذلك ايها الملك ان كنت صادقا فيما ادعيت من الرسالة الموصوفة فقم على سريرك واقعد ثلث مرات على خلاف عادتك المعروفة ففعل الملك ذلك في الحال على وفق ما ادعاه اليس يحصل علم قطعي بان ذلك نازل منزلة قول الملك له صدقت لمن راه ويعلم صدق رسالته المذكورة جميع الحضور - ولا يقدح في صدقها ما ينسب الى الملك من القبيح المذكور - فكيف بمن لا يصح نسبة القبح اليه اصلا شرعا ولا عقلا ولا يتصور ذلك منه جل وعلا * فان قالت المعتزله اذا جوزتم الاضلال على الله تعالى فجوزوا عليه اظهار المعجز على يد كاذب يضل الناس - والجواب انما جوزنا خلق الاضلال والضلال - واما الاضلال الذي هو الدعوة الى

الضلال والحكم بان الباطل حق فلا يجوز عندنا - ومن ذلك اظهار المعجزة على يد الكاذب لان ذلك كذب والكذب على الله تعالى محال * اذا علم هذا فكل خارق للعادة عجز الخلق عن الاتيان بمثله عجزا لا بجهل لا يكون الا فعلا لله عز وجل فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله تعالى له صدقت وكان معجزة له * وذلك بالضرورة يعلم وان ظهر على يد مطيع لله متبع لرسوله غير متحد بالنبوة كان كرامة ليشهد له بصدق الولاية - وان ظهر على يد فاسق او كافر كان سحرا ليشهد بزندقته - والخروج عن دين الله وطاعته * ويكفي في هذا الاستدلال - ما جاء في فتنة المسيح الدجّال * فان قلت هذا يؤدي الي التباس الكرامة بالمعجزة والنبي بالمتنبي * قلت لا للفرق الذي ذكرته وقد قررت في" كفاية المعتقد ونكاية المنتقد " في فصل سلوك الطريقة - والجمع بين الشريعة والحقيقة - تقريرا مشتملا على جواز بلوغ الكرامة التي اكرم الولي بها مبلغ معجزة النبي في جنسها وعظمها * فقلت لا يخلو اما ان يكون المنع من ذلك من جهة النقل او من جهة العقل - والاول باطل اذ ليس في منع ذلك نقل يوجد - بل العقل متظاهر وظاهر في جوازه * والثاني اما ان يمتنع لذاته او لغيره - والاول باطل اذ خرق العادة في الكبير والصغير - للنبي والولي وغيرهما من الشريف والحقير - لا يحيله العقل في قدرة الرب القدير - والثاني اما ان يكون لالتباس النبي بالمتنبي وغيره - والثاني باطل اذ ليس فيه رافع لاصل ولا قادح في معجزة - والاول اما ان لا يكون مقرونا بدعوي النبوة او يكون - والاول باطل اذ ليس فيه التباس فتعين الثاني وهو حصر الالتباس المحصور فيه المنع في الخارق المقرون بدعوى النبوة - ولا التباس في غير الخارق المقرون بالدعوى المذكورة - فلا منع من كل خارق ليس مقرونا بدعوى النبوة وهو المطلوب * والحمد

لله - وقد ظهر لك بهذا ان ظهور الخارق للعادة على يد الكذابين بل العاجزين والكافرين غير مستحيل في قدرة الله تعالى من غير دعوي * فاما وقوعه منهم مع الدعوي شاهدا على صدقها فمحال لان الشهادة بصدق الكاذب كذب والكذب على الله تعالى محال فقد ظهر لك واستظهر ايضا ان كلام الله لا يجوز فيه الكذب ولا يقع فيه اصلا لما عرفت من التقرير المذكور ولما ستعرف بعد - ان شاء الله تعالى فتشنيعك على امام ائمة الاصول - الجامع بين قواطع المعقول والمنقول- من الكتاب والسنة - واجماع الامة - الى ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه وزعمك ايها السائل انه جوز اظهار المعجز على الكذابين باطل * قلت واما الفرق بين الكرامة والسحر فمندرج تحت التقرير الخامس - فان جهل ما ذكرت من حال صاحب الخارق للعادة من الديانة وعدمها والتبست الكرامة بالسحر - وقد اوضحت ذلك في خاتمة في كتاب " روض الرياحين " وقسمت الناس في ذلك عشرة اقسام - وبينت الحكم في ذلك واوضحت فيه الكلام فمن احب الاطلاع على ذلك فليطالعه يجد حكمه واضحا هنالك *

واما الادلة على اثبات كرامات الاولياء التي انكرتموها مع كونها قد ملأ وقوعها الوجود - وتظاهرت على ذلك قواطع الشهود - من الآيات الكريمات - والاحاديث النبويات الصحيحات الصريحات والآثار المستفيضات والحكايات المتواترات المخبرات - عن العيان والمشاهدات - مما رايناه والله ورويناه بالاسانيد الصحيحات ورواه ورآه غيرنا من الخلائق في المغارب والمشارق ممن لا يحصي عددهم الا الخالق و شهد العقل كما ذكرت ايضا بجوازها دون امتناعها واستحالتها - وقد ذكرت منها في كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين وكتاب كفاية المعتقد المذكور ما تقرّ به العيون وتنسرح الصدور وساذكر ان شاء الله شيئا من ذلك عليه المعتمد - في آخر هذا المعتقد *

واما ثبوت السحر وزندقة صاحبه فقد شهدت بذلك شواهد من الكتاب والسنة - واقوال علماء الامة - فمن الكتاب قصة هاروت وماروت وسورة الفلق المخبرة عن النفث في العقد - وآيات اخرى مخبرة ايضا عن سحرة فرعون وسحرهم المشاهد * ومن السنة حديث اليهودي الملعون لبيد بن اعصم وسحره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاءه انه سحر ابن عمر بن عمر رضي الله عنهما - وان جارية سحرت عائشة رضي الله عنها * قال امام الحرمين رضي الله عنه اتفق العلماء على وجود السحر واختلفوا في حكمه وهم اهل الحل والعقد وبهم ينعقد الاجماع - قال ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة فقد ثبت السحر جوازا ووقوعا واستدل على جوازه بالمعقول والمنقول - مما ذكره بطول * قلت وقوله واختلفوا يعني ان منهم من يقول بكفر الساحر مطلقا - و منهم من يقول لا يكفر الا اذا علم في سحره ما يقتضي الكفر من قول او فعل فهو مذهبنا * مع اتفاق الكل على فسقه وفجوره * قال و الشياطين والجن قد انكرهم معظم المعتزلة ودل انكارهم اياهم على قلة مبالاتهم وركاكة دياناتهم - فليس في اثباتهم مستحيل عقلي وقد نصت نصوص الكتاب والسنة على اثباتهم * قال وحق اللبيب المعتصم بحبل الله ان يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته ولا ينبغي لمن ينكر ابليس وجنوده والشياطين المسخرين في زمن سليمان صلوات الله عليه كما انبأ عنهم اى من كتاب الله لا يحصيها مسكة في الدين وعلقة يتشبث بها انتهى *

قلت ولما كتبت ما ظهر لي في التعريرات الخمسة المذكورة في صحة الاستدلال بكلام الله سبحانه وصدق معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع ما ذكر من الشبهة وجدت بحمد الله نصوص ائمتنا ذو البراهين القاطعة للشبهة المذكورة دافعة وعجبني ذلك بكمايته - والحقه بالتعريرات

الذي قررته * قال الامام عمدة المحققين - النظار المدققين - مرهم المعضلات - وكشّاف المشكلات - موضح غوامض المعاني - الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني رضي الله عنه في كتابه المترجم بالجامع على ما نقله عنه الامام المحقق البارع الفحل النجيب ذو البرهان القاطع المقر له بالتقدم في علم الفقه والاصلين المتفرد باللقب المشهور في الآفاق امام الحرمين رضي الله عنه الاحكام لا ترجع عندنا الى صفات الاحوال * وانما ترجع الى تعلق الكلام القديم بها والشي لا يجب لنفسه ولكن يقضي فيه بالوجوب للتوعد على تركه ووعد الثواب على فعله والوعد والوعيد خبران فلو لم يثبتا على حكم الصدق لم يوثق بهما * واذا كانت كذلك لم يتقرر ايجاب وحظر وندب الى الطاعة - وتحذير من المخالفة - ويؤول فصارى ذلك الى ان لا يتصور للباري تعالى امر يطاع وقد دلت الادلة على كونه آلها قادرا عالما ولا يعقل الآلهية لمن لا يتصور منه الامر والنهي انتهى *

قلت يعني فيلزم من هذا كون خبره تعالى صدقا والا لما عقلت الآلهية ولكنها قد عقلت ودلت البراهين القاطعة عليها * فان قيل كيف دلت الادلة المذكورة واعتمادكم فيها على السمع والسمع ما ثبت بعد اذ كلامك الآن انما هو في السمعي في اقامة الدليل على نبوته * قلت المراد بالادلة الادلة العقلية لانا لا نمنع من حصول معرفة الآله بها وانما نمنع من وجوب من معرفته بها لا من المعرفة نفسها وقد قدمت ذلك في الشبهة الاولى واضحا - فتأمل ههنا تكن للتحقيق رابحا * ونقل امام الحرمين عن الاستاذ المذكور انه حث على التمسك بكلامه هذا * وقال لو لم نتفق في كتابنا الا هذا لكان بالحري ان يغتبط به * قال امام الحرمين وقد ادينا ما فهمناه من كلام ذلك الحبر رضي الله عنه ثم اردفه بجواب آخر واستدل على صدق المعجزة بعد أن ذكر شبهة المعجزة فيها * ومختصر

ذلك انه قال فان قيل لا نسلم لكم ما ذكرتموه من نزول المعجزة منزلة التصديق بالقول فلا يتم غرضكم دون ان يثبتوا استحالة الخلف وامتناع الكذب في حكم الله تعالى ولا سبيل الى اثبات ذلك بالسمع فان مرجع ادلة السمعية الى قول الله تعالى فما لم يثبت وجوب كونه حقا صدقا فلا يستمر في السمع اصلا ولا يمكن التمسك في تنزيه الرب عن الكذب لكونه نقصا من وجهين - احدهما ان الكذب عندكم لا يقبح لعينه - والثاني انه لو سلم كونه نقصا فالمعتمد في النقائص دلالة السمع * ثم قال رضي الله عنه في الجواب فلنا اما الرسالة فانها تثبت دون ذلك في الحال ولا يتعلق اثباتها باخبار تتصدي بكونه صدقا او كذبا وكان المرسل قال جعلته رسولا فانشات ذلك ولم يقله مخبرا عن ماض - وسبيل ذلك كسبيل قول القائل وكلتك في امري استنبتك لساني فهذا توكيل ناجز يستوي فيه الكاذب الصادق ثم ذكر كلاما حاصله انه وان بلغ وان كانت صيغته صيغة الخبر فالمراد منه الامر بالانتداب لسان لا يدخله الصدق والكذب * ثم قال فالفعل الذي فرضنا منه بعني المعجز الخارق للعادة يصدق الرسول ويثبت الرسالة قطعاً على الغيب من غير ريب ولكن لا يثبت صدق الرسول بعد ثبوت الرسالة فيما يؤديه وينهيه ويشرعه من الاحكام و يشرحه من الحلال والحرام إلا مع القطع بتقدس الباري سبحانه وتعالى عن الخلف والكذب * ثم ذكر جواب الاستاذ ابي اسحق المذكور واورده كما ذكر ثم بجواب اخر تكلم فيه بما يدق معناه على الافهام ويطول في شرحه الكلام * ومختصر ذلك انه قال والذي عليه التعويل انا قد أوضحنا الطرق الموصلة الى كون الباري سبحانه وتعالى عالماً ومريداً وقد قدمنا ما فيه مقنع في إثبات كلام النفس والعالم بالشيء المريد له لا يمنع ان يقوم به أخبار عن المعلوم المراد على حسب تعلق

لعلم والارادة به وكل معني يقبله بوجود فانه لا يعري عنه وعن ضده ان كان له ضد فلو لم يتصف الباري تعالى بخبر صدق يوجب اتصافه بضده واذا اتصف استحال ان يقدر ذلك الضد ذهولا وغفلة عما قدرنا مخبرا عنه * فان الذهول كما يضاد الخبر عن الشيء - فانه يضاد ايضا العلم به وارادته - فان كان ضد الخبر الصدق خبرا هو خلف وكذب واقع على خلاف المخبر فيجب مع تقدير ذلك الوصف الحكم بقدمه وايضا باستحالة عدمه لما قدمناه من اثبات قدم الكلام * قلت وسياتي ذلك ان شاء الله * قال ثم يؤول منتهى ذلك الى انه يستحيل من الباري تعالى ان يخبر عما علمه على حسب تعلق العلم به وذلك معلوم بطلانه * فان قيل بنيتم فرعا على اصل منازع فيه وهو كلام النفس * قلنا الذي ندعا اهل الحق انه كلام النفس لا ينكر وانما التنازع في ان ما ادعيناه هل هو كلام ام هو اعتقاد ام هو علم فاما هواجس النفس وخواطرها فالاتصاف بها معلوم لايجحد * و قال ايضا المعجزة لا تظهر على يد الكاذب لانها لو ظهرت لدلّت على صدقه وتصديق الكاذب مستحيل في قضيات العقول * فان قيل هل يجوز في المقدور وقوع المعجزة على حسب دعوى الكاذب ام تقولون ليس ذلك في المقدور * قلنا ما نرتضيه في ذلك ان المعجزة يستحيل وقوعها على حسب دعوى كاذب لانها تضمن تصديقا - والمستحيل خارج عن قبيل المقدورات وجنس المعجزة يقع من غير دعوى وانما الممتنع وقوعه على حسب دعوى كاذب فاعلموا ذلك * قلت وهذا يؤيد ما قدمته من كون ظهور الخارق للعادة على يد الكاذب انما يمتنع مع الدعوى لانه يكون تصديقا لكاذب وتصديق الكاذب محال ولا يمتنع مع عدمها * قال امام الحرمين فان قيل ان ثبت ما ادعيتموه في المثال الذي فرضتموه فبم يقيسون الغائب على الشاهد مع علمكم بانه لابدّ من

جامع بينهما فان روم الجمع من غير جامع يجرّ الى الالحاد - وربما عضدوا هذا السوال بآخر - فقالوا انا علمنا رسالة مدعيها بقرائن الاحوال وما احسسناها منها وذلك مفقود غير موجود في حكم الاله * قال وهذا آخر عقدة في النبوات واذا انحلت لم يبق بعدها للطاعن مضطرب فنقول المعجزة انما تثبت في حق من يعتقد ان له ربا قادرا يفعل ما يشاء فيقول النبي في مخاطبة من سبق اعتقاده للالهية قد علمتم ان انبعاث النبي غير منكر عقلا وانا رسول الله اليكم وآية صدقي انكم تعلمون تفرد الرب بالقدرة على احياء الموتي و تعلمون ان الله عالم بسرّنا وعلننا وما نخفيه من سرائرنا ونبديه من ظواهرنا فان كنت صادقا فقلت يا رب هذه الخشبة حيّها تسعى - ماذا انقلبت - كما قال واهل المجلس عالمون بالله - فيعلمون على الضرورة - ان الرب تعالى - قصد بابداع ما ابدع تصديقه كما ذكرنا شاهدا - قلت يعني كما تقدم من تمثيل ذلك بقيام الملك وقعوده ثلث مرات، عيانا عند قوله ان كنت صادقا فيما ادعيت من رسالتك ايها الملك قم واقعد على خلاف عادتك ففعل ذلك - قال وما موهوبة من قرائن الاحوال لا محصول له - فان من كان غائبا عن المجلس الموصوف فبلغه ما جرى - يعني من قلب الخشبة حية - شارك الحاضرين في العلم وان لم يخبر حالا * قال و هذا قولنا في وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل - ولا يكاد يتأتي ذلك للمعتزلة - فان مبني ما ذكرنا على القصد - ويعسر على المعتزلة اثبات قصد الله تعالى - فانهم نفوا ارادة عظيمة - ومنعوا كونه مريدا لنفسه - وقد قام البرهان على بطلان كونه مريدا بارادة حادثة - فلا يبقي لهم تعلق في اثبات قصد الى تصديق - انتهى كلامه مختصرا لفظا ومعني * قلت - وسياتي بيان قيام البرهان المذكور في الكلام في صفات الله ان شاء الله وقال الامام البارع

اللبيب معدن الفوائد فخر الدين بن الجيب رضي الله عنه - الشيء اذا علم وجوده بالضرورة لم يكن تجويز نقيضه قادحا في ذلك العلم الضروري - مثال ذلك انه يجوز دخول شخص في الوجود من غير ابوين - وشيخ هرم من غير سبق طفولية وشبوبية وكهولية - ثم انّا اذا ابصرنا شخصا علمنا بالضرورة انه مولود من ابوين وانه كان طفلا ثم صار شابا ثم صار كهلا ثم صار شيخا - اذا عرفت هذا فنقول ان دلالة المعجز على ان خالق المعجز يصدق المدعي معلوم بالضرورة والدليل على ذلك - ان موسى عليه السلام لما قال ان كنت صادقا في ادعاء الرسالة فاجعل هذا الجبل واقفا على الهواء فوق رؤسهم ثم ان القوم يشاهدون انهم كلما آمنوا به يباعد الجبل عنهم - وكلما همّوا بتكذيبه قرب من السقط عليهم فعند هذا يعلم كل احد بالضرورة ان المقصود من ذلك التصديق في دعوى الرسالة فان قيل افعال الله تعالى غير معللة بالاغراض عندكم قلنا فرق بين العلة والمعرف - ونحن لا ندعي ان خلق المعجزة لغرض التصديق بل ذلك يعرف قيام التصديق بذات الله تعالى - هذا مختصر كلامه * وقال بعض ائمتنا المتاخرين في قولهم لو كان الحسن والقبح بالشرع لما قبح من الله شيء فلا يقبح منه اظهار المعجزة على يد الكاذب ويحسن منه ان يأمر بالكفر والزنا والسرقة لانها غير قبيحة فاذا امر الله بها صارت حسنة جوابه اجمالا وتفصيلا * اما اجمالا فقد نقل الامام القاضي ابو بكر الباقلاني - عن بعض ائمة اهل الحق ان هذا وامثاله لا يستحق جوابا فليس لنا ان نتكلم على حكم ما لم يقع - ولا يجوز ان يقع باجماع بان يقدر - ان لو كان كيف كان - يكون حاله - ولا كلفنا القول في ذلك * واما تفصيلا فقد يجوز ان يظهر على يد الكاذب ما يكون فتنة لمن اراد الله تعالى ضلالته *

فيغتـريه مغتـرا به ما يدلّ على الكذب لمـن اراد الله هدايته ويضره تكذيبه - ولكـن هذا لم يقـع على صفـة المعجـزة وادعائها رحمـة من الله لعباده - وقد اشار بعض ائمة اهل الحق ايضا الى نحو هذا - فقال ان حسـن الشـيء لا يوجب وقوعه - بل قد كان يجزم بانتفائه * قلت هذا مختصر كلامهما وفيه اشكال من وجهيـن احدهما مخالفته لما قدمتـه عن امام الحرمين وغيره انه مستحيل - والثاني الحكم بجوازه مع الجزم بانتفاء وقوعه - وكونه لا يجوز ان يقع باجماع كما تقدم قريبا - وقد مست الحـاجة بل الضـرورة الى دفع هذا الاشكال ورفع ابهام يناقض الكلام - عند قاصري الافهام - لا سيما والخصوم في هذه المسئلة بالمرصاد لنا قيام - لاجرم رايت ان انبه على ذلك بما يرفع التناقض الموهوم - ويدفع اعتـراض الخصوم * فاقول وبالله التوفيق لاصابة الحـق والتحقيق - اما الوجه الاول فالمخالفـة المذكورة فيـه وان كانت ظاهرة في جواز ذلك وعدم جوازه عقـلا فالقـول بالجواز مرجوح او باطل - والصحيح بل الصواب ما قدمته - وهو ما ارضاه امام الحرمين من كون المعجـزة يستحيل وقوعهـا على حسـب دعوى كاذب - وتقريره تقدم - وهذا المذكور في الجـواز - واما الوقوع فقد تقدم انه خلاف من جميع اهل الحق انه ما وقع ولا يقع * واما الوجه الثاني وهو الحكم بجـوازه مع الجزم بانتفاء وقوعه والاجماع على امتنـاع جواز الوقوع فمعناه على هذا القول انه جائز في نفس الامر غير ممتنع لذاته لكنه امتنع وقوعه لئلا يلتبس النبي بالمتنبي - لان الشيء قد يجوز من وجه ويمتنـع من وجه آخر - وذلك مثل المغفرة للكافر فانها جائزة عقلا ممتنعـة الوقوع نقلا - بصريح الدليل السمعي النص القطعي * قلت فاذا تقرر هذا علـم منه اتفاق اهل الحق على سنتين - احدهما امتناع المعجزة من الكاذب على وفق دعواه - والثاني جواز وقوع جنسها منه بغير دعوى - فان قبـل

ينتقض عليك الاول بالدجال والثاني بالولي على الصحيح * قلت هذا الاعتراض في كل واحد منهما ليس بصحيح لخروج الاول عن دعوى النبوة - والثاني عن الكذب وعنها فان اكتفي المعترض بهذا الايجاز فهو كاف وان طلب ايضاحا أُبيّنه ببيان شاف - اما الولي وظهور حسن المعجزة منه وهي الكرامة وان جاز مع دعوى الولاية على القول الصحيح فهو صادق في دعواه وكلامنا في الكاذب صريح - وايضا فانما القادح دعوى النبوة ولم يدعها الولي فارتفع خوف التباس النبي بالمتنبي واما الدجّال فلنا في المقال فيه مجال في نفي الاحتجاج به علينا واثبات الحجة به لنا اما الاول فاعتراض المعترض على معاني المذكور بالدجال غير وارد لانه لا يدعي النبوة - بل الالهية التي لا تكون الا للاله الواحد المتقدس عن سمات الحدث والنقائص والامثال المتصف بالجلال والجمال - وجميع اوصاف الكمال المستحيلة في المحدث الناقص الحقير المعرض للفناء والزوال - فكيف بالمتصف بكل وصف ذميم الاعور الدجال - فاذا ادعي الالهيّة كذبه شهود نقصه وعورته وكتب احرف يقرأ في جبهته - فلا التباس ولا اشكال في دعوي الالهية بحال * وفي هذا المعني خطر في البال * * شعر *

يكذب للدجال عند ادعائه * الالهية منه شواهد تذكر
نقائص احداث وكاف وفاورا * مسطرة في جبهة النجس آعور
تقدس مولانا عن النقص مطلقا * وجلت صفات كنهها ليس يخبر
له كل ذرات الوجود شواهد * على انه الباري الاله المصور

واما الثاني وهو اثبات الحجة لمذهبنا الظاهر بالحق على مذاهب من سياتي ذكره من الفرق فها انا اوضح ذلك بالاستدلال - بما ورد من امور الدجال مما اخبر به الصادق المصدوق المختار صلوات الله وسلامه عليه -

وتواترت به الاخبار - والاثار وشاع في جميع البوادي والامصار - واستفاض في سائر الجهات والاقطار - واشتهرت فيه الاحاديث الصحيحة - وحذرت منه الانبياء اممها على وجه النصيحة * قال ائمتنا رضي الله عنهم ما ورد في قصة الدجال - حجة لمذهب اهل الحق في وجوده - وانه شخص لعينه ابتلى الله به عباده واقدره على ما شاء من مقدوراته تعالى من احياء الميت الذي يقتله وظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الارض له - وامره السماء والارض ان تنبت فينبت وغير ذلك - فيقع بقدرة الله ومشيئته - ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل وغيره ويبطل امره - ويقتله عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم [ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت] هذا مذهب اهل السنة في جميع الامصار والاعصار - المحدثين منهم والفقهاء والنظار - خلافا لمن انكره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة - وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود - ولكن الذي يفعله فخارف وخيالات لا حقائق لها - وزعمهم انه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لكونها ليست مستحيلة في الخلق - وانما يدعي الالهية - وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله - ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العورة التي في عينه - وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلاّ رعاع من الناس لسدة الحاجة والفاقة والخوف من اذاه لان فتنته عظيمة جدا بدهش العقول ويحير الالباب مع سرعة مروره - فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله - ودلائل الحدوث فيه والنقص - فيصدقه منهم من يصدقه في هذه الحالة - واما الاقوياء الموفقون فلا يغترون به ولا بما معه يتخدعون لما فيه من الدلائل

لشاهدة بمحاله وما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول الذي يقتله ثم يحييه باقدار الله له الموافق تقديره ما ازددت فيك الا بصيرة * قلت هذا معنى ما قاله ونقله جماعة من ائمتنا وقد روى اماما المحدثين البخاري ومسلم رضي الله عنهما في صحيحهما احاديث كثيرة في الدجال عن خلائق من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو - وانس - وحذيفة - وابو هريرة - وابو سعيد الخدري - وابو مسعود الانصاري وابو بكرة - وعقبة بن عامر - والمغيرة بن شعبة - والنواس بن سمعان وعائشة وام شريك وفاطمة بنت قيس وغير هؤلاء الخمسة عشر المذكورين رضي الله عنهم اجمعين * ورواه كل من الامامين المذكورين - من طرف كثيرة فرواه مسلم من نيف واربعين طريقا * وها انا اذكر منها عشرة محذوفة الاسانيد - مختصرة مما رويناه في الصحيحين او في احدهما واشير الى نبذة مما جاء عن الدجال نعوذ بالله من فتنته * الحديث الاول عن ام المومنين عايشة رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال وهذا لفظ البخاري * الحديث الثاني عن انس بن مالك رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور - وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه ك - ف - ر * قلت هذه رواية مسلم وفي رواية اخرى له مكتوب بين عينيه كافر ثم يهجاها ك - ف - ر يقرأه كل مسلم وفي رواية اخرى له يقرأه كل مومن كاتب وغير كاتب ورواية البخاري مكتوب بين عينيه كافر وفي روايتهما جميعا اعور العين اليمنى عنبة عند البخاري كانّها وعند مسلم كان عينه عنبة طافية * الحديث الثالث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا انه قال

ياتي الدجال وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة - فينزل بعض السباخ التي يلي المدينة - فيخرج اليه يومئذ رجل وهو خيار الناس أو من خيار الناس فيقول اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته هل يسكون في الامر فيه - فيقول لا فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت قبل أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه * قلت هذا لفظ البخاري وفي لفظ هو خير الناس او من خير الناس وسياتي بيان هذا الرجل من هو والتنبيه على شرح الفاظ في هذه الاحاديث بعد ان شاء الله تعالى * الحديث الرابع عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيئ الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة يرجف ثلث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق عن انس ايضا قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ياتيها الدجال - فيجد الملئكة يحرسونها - فلا يقربها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله * قلت هذه رواية البخاري في هذين الحديثين و رواية مسلم لهما في حديث واحد عن انس رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من بلد الا سيطاؤه الدجال الا مكة والمدينة وليس نقب من انقابها الا وعليه الملئكة يحرسها - فينزل بالسبخة فيرجف المدينة ثلث رجفات يخرج اليه منها كل كافر ومنافق - وفي روايـة أخرى له فيخرج اليه كل منافق ومنافقة * الحديث السادس عن انس ايضا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة - اخرجه مسلم * الحديث السابع عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع

الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحا - وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا - اخرجه مسلم ايضا * الحديث الثامن عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المومنين فيتلقاه المسالح مسالح الدجال يقولون له الى اين تعمد فيقول اعمد الى هذا الرجل الذي خرج فيقولون له او ما تومن بربنا فيقول ما بربنا حقا فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان يقتلوا احدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا راه المومن قال يا ايهاالناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيامر الدجال به فيشبح فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال فيقول او ما تومن بي قال فيقول انت المسيح الكذاب قال فيومر به فيفشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما ثم قال يقول له اتومن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول يا ايها الناس انه لا يفعل بعدي بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا - قال فياخذ بيديه ورجليه فيقذف فحسب الناس انه انما قذفه الى النار وانما القى في الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين وفي رواية مسلم ايضا معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار وفي رواية ايضا نهران وفي رواية ماء ونار فلما ادركه احد فليات النهر الذي يراه ناراً * الحديث التاسع عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه حدثه تميمٌ الداري رضي الله عنه انه ركب في سفينة مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب منهم الموج شهراً في البحر ثم أرْفَؤُا الى جزيرة في البحر حيث مغرب الشمس فجلسوا في اقرب السفينة فدخلوا

الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما انت قالت انا الجساسة قالوا وما الجساسة قالت ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان يكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان ما رأيناه قط خلقا واشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما انت قال قد قدرتم على خبري فاخبروني ما انتم قالوا نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة فصادفنا البحر حين اغتلم * وساق الحديث الى ان قال فقال اخبروني عن نخل بيسان قلنا عن اى شانها تستخبر قال اسالكم عن نخلها هل يثمر قلنا له نعم قال اما انه توشك ان لا تثمر قال فاخبروني عن بحيرة الطبرية قلنا عن اى شانها تستخبر قال هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال اما ان ماءها يوشك ان يذهب قال اخبروني عن عين زغر قالوا عن اي شانها تستخبر قال هل فى العين مآء وهل يزرع اهلها بماء العين قلنا له نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مآئها قال فاخبروني عن نبي الاميين ما فعل قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال اقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع فيهم فاخبرنا انه قد ظهر على من يليه من العرب واطاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه واني مخبركم عني انى انا المسيح وانا اوشك ان يوذن لي فى الخروج فاخرج فاسير فى الارض فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وان على كل نقب منها ملئكة يحرسونها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة وهذا بعض الحديث * الحديث

العاشر عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا عرف ذلك فينا فقال ماشانكم قلنا يا رسول الله ذكرت لنا الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم - فامرء حجيج لنفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط احدى عينيه طافية كاني اشبهه بعبدالعزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدروه قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم فيومنون به ويستجيبون له فيامر السماء فتمطر فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتي القوم - فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس في ايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعوا رجلا ممتلا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين واضعا كفه على اجنحة ملكين - اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله - الحديث اخرجه مسلم * قلنا

وهذا شرح الفاظ في الاحاديث المذكورة مما بنه عليه العلماء ممن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فعاث يمينا وعاث شمالا هو بالعين المهملة والثاء المثلثة على وزن قام يقال عاث يعيث والعيث الفساد او اشد الفساد والاسراع فيه وقوله صلى الله عليه وسلم فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل هو زكورها جمع يعسوب وهوا ميرهامتي طار تبعته وقوله صلى الله عليه وسلم فيقطعه جزلتين رمية العرض وهو بفتح الجيم على المشهور وقيل بكسرها اى قطعتين ومعني رمية الغرض ان يجعل بين الجزلتين مقدرا رمية العرض وقيل يصيبه اصابة رمية الغرض فيقطعه وقوله صلى الله عليه وسلم بين مهروذتين اى لابس ثوبين مصبوغين بورس او زعفران * وقيل هما سعتان والسفة نصف الملاة وقوله صلى الله عليه وسلم يتحدر منه جمان كاللولوء هو بضم الجيم وتخفيف اللام وهي حبات من الفضة نصنع على هيئة اللولو الكبار والمراد يحدر منه الماء على هيئة اللولوء في صفائه فسمى الماء حمانا لشبهه به في الصفاء والحسن وقوله صلى الله عليه وسلم ولا يحل لكافر يجد ريحه الامات اى لا يمكن ولا يقع * قلت ومن هذا قول كعب بن زهير [اذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مخذول] وقيل معناه حق واجب - وقوله صلى الله عليه وسلم يدركه بباب لُدّ هو بضم اللام وتشديد الدال المهملة قرية قريب بيت المقدس وقوله صلى الله عليه وسلم محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة هو بكسر النون

. . . . [1]

ما وضع لافادة معني وهذا لايتأتي على مذهب أصحابك لان الكلام عندهم ما قام بذات المتكلم وكانت الحروف حكايات عنه وكلام الله تعالى عندكم ليس بحرف ولا صوت الى آخره * فها انا اوضح لك

---

[1] Two folios are here missing from the original MS

معنى الكلام اولا ثم أبيّن بطلان قولك وما ادعيت فيه من بطلان
مذاهب اهل الحق فاقول الكلام يطلق حقيقة على كلام النفس الذي
يدل عليه اللسان ويشهد لذلك قول اهل الفصاحة والبيان من ذلك
قول الاخطل المستفيض في سائر البلدان ان الكلام لفي الفواد
وانما جعل اللسان على الفواد دليلا وقول كثير من اهل الفصاحة
في نفسي كلام - اريد ان اذكره لك ونحو هذه العبارة ومن ذلك قول
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث البيعة هيات كلاما وروى
زورت في نفسي كلاما وكذلك اذا كتب انسان جوابا فارسل به الى آخر
فانه اذا رد جوابه يقول فهمت معني كلامك ببيّنه لي وكذلك يقول
سمعت علما والمراد الفاظ دالة على العلم وكل هذا معروف ويطلق كلام
المخلوق ايضا على اللفظ المذكور ولا يطلق كلام الخالق سبحانه على ذلك
لان كلامه ليس بحرف ولا صوت يقومان بذاته خلافا للحشوية والكرامية
ولا بغيره خلافا للمعتزلة وغير هم من الفرق بل هو القائم بالنفس المعبر عنه
بالعبارات المختلفة الذي لا يتغير باختلاف الالسنة لاستحالة ذلك في
حقه تعالى كما سياتي * قلت فكل طائفة من الطوائف المذكورة وافقتنا
من وجه وخالفت من وجه فالحشوية والكرامية وافقونا في قدم القرآن
وخالفونا في الحروف فجعلوا القرآن حروفا قديمة والمعتزلة ومن تابعهم
وافقونا في حدوث الحروف وخالفونا في قدم القرآن فجعلوه مخلوقا
وحروفا حادثة * وها أنا اذكر شيئا من اقوال ائمتنا في بيان مذهب اهل
الحق ومذهب من خالفهم من الفرق واقامة الادلة علي صحة مذهبنا
وبطلان مذهبهم ثم أعقب ذلك باستدلالات رتبتها وتفريعات ومباحث
وضعتها * قال كعبة الانظار وقدوة النظار استاذ الفقهاء والمتكلمين النجيب
ابن النجيب امام الحرمين رضي الله عنه اعلموا وقيتم البدع ان مذهب

اهل الحق ان الباري تعالى متكلم بكلام ازلي لا مفتتح لوجوده قال وذهبت المعتزلة والخوارج والزيدية والامامية ومن عداهم من اهل الاهواء الى ان كلام الله تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح وصار صائرون من هولاء الى الامتناع من تسميته مخلوقا مع القطع بحدوثه لما في لفظ المخلوق من ايهام الخلق اذ الكلام المختلق هو الذي يبديه المتكلم تخرصا من غير اصل * قال وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلـــوق على كلام الله تعالى * وذهبت الكرامية الى ان الكـــلام قديم والقول حادث غير محدث والقرآن قول الله تعالى وليس كـلام الله وكلام الله عندهم هو القدرة على الكلام وقوله حادث قائم بذاته تعالى عن قول المبطليـــن وهو غير قائل بالقول القائم بذاته بل قائل بالقابلية و مفتتح وجوده قائم بالذات فهو حادث بالقدرة غير محدث وكل مفتتح غير مباين للذات فهو محـــدث بقوله لكن لا بالقـــدرة في هديان طويل * قال وذهبت الحشـــوية المنتمـــون الى الظـــاهر الى ان كلام الله تعالى قديم ازلي ثم زعموا انه حروف واصوات وقطعوا بان المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى * قال واطلق الرعاع منهـــم القول بان المسمـــو ع صوت الله تعالى غير قولهم وهذا قياس جهالتهـــم * ثم قالوا اذا كتب كلام الله تعـــالى بجسم من الاجسام وانتظمـــت تلك الاجسام رسوما ورقوما وكلمـــا فهي بأعيانها كلام الله القـــديم وقد كان اذا كان جسما حادثا ثم انقلب قديمـــا * قلت قوله بجسم من الاجسام اي باي مداد كان لان الجسم هو المركـــب من جواهر وسياتي ان شاء الله تعالى بيان الجسم والجوهر والعرض التي يرجع اليها في الخلق جميع المخلوقات قال ثم قضوا بان المرئي من الاسطر الكلام القديم الذي هو حروف واصوات على اصلهم وان الاصوات على تقطعها كانت ثابتة في الازل قائمة بذات الله تعالى عن قولهم * قال وقواعد مذهبهم مبنيـــة على جحـــد الضرورات

فانهم اثبتوا الحروف الكلام القديم على زعمهم ابتداء وانتهاء و جعلوا منها سابقا ومسبوقا فان الحرف الثاني من كل كلمة مسبوق بالمتقدم عليه وكل مسبوق مبتدأ الوجود وبالاضطرار نعلم كون المفتتح وجوده حادثاً ولا خفاء بمراغمتهم لبديه العقول في حكمهم بانقلاب الحادث قديماً * قال ومما يقرر افتضاحهم بمناكرة الخلائق ان الحروف لو مثلت في بعض الجواهر فهي عين كلام الله عندهم والحديد الذي صنع منه الحروف خارج عن كونه حديداً و نحن ندرك الحديد متالفا جسما فكيف تسوغ محاجة قوم هذه غايتهم * ثم جهلتهم يصممون على ان اسم الله اذا كتب فالرقم المرئي في الكتابة هو الله بعينه وهو المعبود الذي يصمد اليه ثم اصلهم ان الكلام القديم يحل الاجسام ولا يفارق الذات * قال وهذا تلاعب بالدين ومضاهات لمذهب النصارى في مصيرهم الى قيام الكلمة بالمسيح متدرعا بالناسوت ولولا اغترار كثير من العوام في الاعتزاء الى هؤلاء لاقتضى الحال الاضراب عن التعرض لهذه العورات والفضائح المتبادية * وقال الامام ناصر الدين البيضاوي رضي الله عنه تواتر اجماع الانبياء عليهم الصلوة والسلام واتفاقهم على انه سبحانه متكلم و ثبوت ثبوتهم غير متوقف على كلامه فيجب الاقرار به وكلامه ليس بحرف ولا صوت يقومان بذاته خلافا الحنابلة والكرامية او بغيره خلافا للمعتزلة بل هو المعنى القائم بالنفس المعبر عنه بالعبارات المختلفة المتغيرة * وقال الامام القاضي ابوبكر الباقلاني رضي الله في كتاب التمهيد وهو اربعون مجلدا ومسئلة القران ثلث مجلدات وتكلم فيها على القائلين بقدم الحروف في ثلثة اسطر قال من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا اول لها فقد خرج عن المعقول الى جهل الضرورة فان من اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف باوليته فان ادعى انه لا اول لما له اول

سقطت مكالمته واما من زعم ان الرب سبحانه تكلم بالحروف دفعة واحدة من غير ترتيب ولا تعاقب فيها فيقال له الحروف اصوات مختلفة ولا شك في اختلافها وقد اعترف خصومنا باختلافها وزعموا ان لله صوتا من الكلام متغايرة مختلفة على اختلاف اللغات والمقاصد في العبارات وكل صوتين مختلفين متضادان يستحيل اجتماعهما في المحل الواحد وقتا واحدا كما يستحيل اجتماع مختلفين من الالوان * وقال الشيخ الامام ابو اسحق السيرازي رضي الله عنه في كتاب الاشارة المتسبهة تقولون ان كلام الله حروف واصوات ثم يوافقونا في التسمية ويقولون بقدم القرآن والمعول على الاعتقاد بالقلب لا على التسمية باللسان ويحملهم على ذلك الجهل في الفرق بين القديم والمحدث * ثم يعوزون جهلهم بالبهت على الخطاء قال - وقال بعض الادباء اجهل الناس من اذا لزمه الحق ثقل عليه واذا سنح له الباطل اسرع اليه قال والاولى لمن تكلم من اهل الحق معهم في ذلك ان يطالبهم اولا بالفرق بين القديم والمحدث ومن كان جاهلا بذلك فالسكوت عنه اولى من كلامه * قال واما نحن فلا نوافق بان كلام الله احرف واصوات لان الاحرف والاصوات نعتنا وصفتنا ومنسوبة الينا بقرأنها كلام الله افهمنا بها كلامه القديم الازلي كما أفهم موسى بالعبرانية وعيسى بالسريانية وداؤد باليونانية صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين * ولا يقال ان كلام الله لغات مختلفة لان اللغات صفة المخلوقين بل المفهوم من هذه اللغات كلام الله القديم الازلي كما ان العرب يسمونه تعالى (الله) والعجم (خداى) ولا يقال ان هذا الاختلاف عائد الى افهامنا ولغاتنا ومن قال بقدم هذه اللغات فبجهله وحمقه لان المتكلم في حال ما تكلم بالعربية العبرانية معدومة وكذلك السريانية واليونانية وما يوجد ويعدم لايكون قديما * قال فان قيل اذا قلتم ان كلامه ليس بحرف ولا صوت وليس يدرك اسماعنا الا ما هذه

صفته فموسى عليه السلام كيف سمع و كيف يستمع يقال لهم سماعنا لكلامه تعالى كعلمنا به فكما انا لانعلم موجودا الا جسما او جوهرا او عرضا ثم ان الله عز و جل معلوم لنا بخلاف ذلك وكذلك سماعنا لكلامه بخلاف سماعنا لكلام المخلوقين ثم ذكر ان هذا القياس مما يحتج به على القدرية ايضا و ذكر ان المشبهة ايضا تقيس معهم سماعنا لكلامه تعالى على رؤيتنا له لانهم موافقونا في الرؤية بخلاف القدرية فيقال لهم كما ان الله عزوجل يرى لنا غدا وليس بذي جسم ولا محدود خلاف جميع المرئيات بخلقه تعالى لنا بصرا نبصره به وكذلك يخلق تعالى لنا سمعا نسمع به كلامه على ما هو عليه بخلاف المسموعات التي ندركها اليوم ثم استدل على حلول السمع والبصر المذكورين بكون الروح الامين جبريل يراه النبي عليهما افضل الصلوة والتسليم ويسمع كلامه حين ينزل عليه والصحابة رضي الله عنهم حاضرون ولا يرونه ولا كلامه يسمعون وكذلك المحتضر يرى ملك الموت عند قبض روحه دون الحاضرين ممن حوله من اهله وكذلك الجن مع اختلاف حالهم يروننا ولا نراهم قال فان قيل اذا قلتم ان هذه الاحرف محدثة وليست القرآن فالقرآن اين هو يقال لهم واذا قلتم ان هذه الاحرف القرآن فالقديم اين هو ويقال لهم ايضا هذه الاحرف التي ينسبون قدمها فى القرآن هل هي احرف (ا ب ت ث) ام غيرها فهذا دفع للضرورة وان قيل هي يقال لو كانت هذه الاحرف قديمة وهي القرآن لكان المصلي اذا قالها فى الصلوة لا يبطل صلاته فان الاتيان بالقرآن فى الصلوة لا يبطلها ولكانت تجزيه عن قرأة غيرها يعني اذا اتى بحروف الفاتحة ولكان لها حرمة بحيث لا يجوز للجنب الاتيان بها فلما لم يصح ذلك دل على انها مخلوقة واذا رتب بعضها على بعض وألّف حتى فهم منه المكتوب فان كان القرآن صار لها حرمة وان كان غيره لم يكن لها حرمة فالذي يتجدد

وهو الحرمة لا القدم وكما ان الذكر غير المذكور والعلم غير المعلوم و التلاوة غير المتلو والكتابة غير المكتوب * ومن الدليل على ذلك قوله عز و جل [النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل] فالنبي مكتوب على الحقيقة في التوراة والانجيل غير حال فيهما بل هو مدفون في المدينة ولو كانت الكتابة هي المكتوب لكان صلى الله عليه وسلم موجودا في التوراة والانجيل حالا فيهما فلما لم يكن كذلك دل على ان الذي في التوراة والانجيل هي الاحرف المفهوم بها النبي صلى الله عليه وسلم فهي غيره وهو غيرها اذ حقيقة الغيرين ما يجوز لاحدهما ان يفارق الآخر وكما ان الرب سبحانه مكتوب في مصاحفنا ومعبود في مساجدنا ومعلوم في قلوبنا ومذكور بالسنتنا على الحقيقة غير حال تعالى في شيء من ذلك فكذلك لا يجوز على صفاته مالا يجوز على ذاته تبارك وتعالى * قال ثم يقال لهم اذا قرأ القاري هل يستمع منه القرآن كما يسمع من الرب تعالى ام لا فان قيل يسمع من الرب تعالى بخلاف ما يسمع من القاري والاحرف والاصوات التي ثبتت قدمها في حقه ليست هذه الاصوات المسموعة منا اليوم والاحرف المشاهدة لنا فقد رجعوا الى مذهب اهل الحق وصار الخلاف معهم ان التسمية موقوفة على الشرع فان ورد الشرع بان كلام الله صوت وحرف سميناه بذلك والا فلا * وان قيل ليس بينهما فرق وذا ذاك وذاك ذا فهذا هو التشبيه بعينه ولا شبه لكلام الله عز وجل ولا مثل له كما انه عز وجل لا مثل له ولا شبه * قلت فهذا مختصر ما بسطه من الكلام في القرآن في نحو عشر ورقات * وتكلم امام الحرمين في حقيقة الكلام وحده ومعناه ثم قال اعلم ان المعتزلة ومخالفي اهل الحق خبطوا في حد الكلام ونحن نومي الى جمل من الفاظهم ويعقبها

بالنفس فمما ذكره قدماؤهم ان الكلام حروف منتظمة واصوات منقطعة دالة على اغراض صحيحة قال وهذا باطل اذ الحد ما يحوي احاد المحدود والحرف الواحد قد يكون كلاما مفيدا فانك اذا امرت من وقى ووشى قلت ق و ش فهذا كلام وليس بحروف ولا اصوات ثم لا معنى للتقييد بالافادة فان من تلفظ بكلمات لا يفيد يقال تكلم ولم يفد والحروف نفس الاصوات فلا معنى لتكريرها والحدود يتوقا فيها التكرير الذي لا يفيد لانه يصير التقدير الكلام اصوات واصوات فاذا حذفوا الحرف قبل الاصوات المنقطعة لا يفيد بنفسها مالم يصطلح على نصبها ادلة فان ارتضيتم ذلك او اكتفيتم به لزمكم من مسافة تسمية بقرآت على اوتار مصطلح عليها كلاما * قال وهذا القدر مغن في تتبع حدهم وذكر اقوال اصحابنا في حد الكلام * ثم قال والاولى ان نقول الكلام هو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات او ما يصطلح عليه من الاشارات ثم قال وقد انكرت المعتزلة الكلام القائم بالنفس وزعموا ان الكلام هو الاصوات المنقطعة والحروف المنتظمة * قال وذهب اهل الحق الى اثبات كلام القائم بالنفس والدليل على ذلك ان العاقل اذا امر عبده بامر وجد من نفسه اقتضاء للطاعة وجدانا ضروريا ثم انه يدل على ما يجده ببعض العبارات او بضروب من الاشارات او برقوم من الكتابات وان قول القائل افعل يتضمن ايجابا ويقتضي اباحة ويتضمن استحبابا ويرد مورد النهي فاذا دل على ايجاب فيستحيل ان يكون هو الايجاب بنفسه فان صورة اللفظ فى ارادة الايجاب كصورته في ارادة الاستحباب اذ هو أصوات منقطعة ضربا من التقطع والاصوات لاتختلف في نفسها في جهات الاحتمالات على قطع فلزم المصير الى ان الايجاب معنى فى النفس يتميز بخاص وصفه عن الاستحباب الهاجس فى النفس ثم يعتور عليه الدلالات وعبرها من الامارات واستدل على ذلك ايضا بما يطول ذكره * ثم

قال فهـــذا القدر كاف في مدارك العقـــل وان رددنا الى اطلاق اللسان عرفنا قطعا ان العرب يطلـق كلام النفس والقول الدائر في الخلـــد فيقول كان في نفسي كلام وزورت في نفسي قولا * قال واشتهـار ذلك يغني عن الاستشهاد عليه بنثر ناثر وشعر شاعر ثم استشهد بقول الاخطل ان الكـلام لفي الفؤاد البيت المتقدم * ثم قال وان قال المخالف الالفاظ المفيدة تسميهـا العقلاء كلاما على الاطلاق يقول سمعت كلاما والمراد ما ادركوا من العبارات قلنا الطريقة المرضيـة عندنا ان العبارات تسمى كلاما على الحقيقة والكلام القائم بالنفس كلاما ومن اصحابنا من قال الكلام الحقيقي هو الكلام القائم بالنفس والعبارات تسمى كلاما تجوزا كما تسمى علوما اذ قد يقول القـائل سمعت علما وادركـت علوما وانما يريد ادراك العبارات الدالة على العلـوم ورب مجاز اشتهر اشتهار الحقائق * قال والمتكلم عند اهل الحق من قام به الكلام وذهبت المعتـزلة وكل قائل بان كلام الله تعالى حادث الى ان يكون المتكلـم متكلما من صفات الافعال والمتكلـم عند المعتزلة من فعل الكلام ثم ليس للفاعل من فعلـه حكم يرجع الى ذاته اذ المعنى بكون الفاعل فاعلا وقوع الفعل منه وعلى موجب ذلك لم يشترطوا قيام الكـلام بالمتكلم كما لا يجب قيام الفعل بالفاعل * قال ومن اهمّ ما يعتنا به في هذا ان يقال لو كان المتكلم من فعل الكلام لكان لا يعلم المتكلـم متكلما من لم يعلمه فاعلا للكلام وليس الامر كذلك فان من سمع كلاما صادرا من متكلم استيقن كونه متكلما من غير ان يخطر بباله كونه فاعلا للكلام او مضطرا اليه فاذا اعتقد كونه متكلما مع الاضراب عن هذه الجهات يتقـرر بذلك ان يكون المتكلم متكلما ليس معناه كونه فاعلا للكـلام * والذي يوضح ذلك انا نعتقـد ان لا فاعـل على الحقيقة الا الله تعالى ويصمم على ذلك الاعتقاد ولا يـرعنـا ذلك عن العلم الضروري بكون المتكلم متكلما * قال ومما يقوي التمسك بـه ان

يقــول الكلام عندكم اصوات منقطعة وحروف منتظمة ضــربا من الانتظام فاذا
قال القائل منا قد قمت اليوم الى زيد فهذا الصادر منه كلام وهو المتكلم به
فلو خلق الله تعالى هذه الاصوات على انتظامها في العبد ضرورية فلا يخلوا
المخالف وقد فرضنا الكــلام في ذلك اما ان يقضي بكــون محل الكــلام
متكلما واما ان لا يقضي به فان زعم ان المحل هو المتكلم فقد نقض المصير
الى ان المتكلم * من فعل الكلام فان الكلام من فعل الله تعالى في الضرورة
المفروضة وان زعم ان محل الكــلام او الجملة التي محل الكــلام بها ليست
بمتكلمة فقد عاند وجاحد ما يداني البداية فانا نسمع من قام الكلام به
يقول قد قمت اليوم الى زيد كما كنا نسمعــه يقول ذلك اذ هو مختــار
ولو بنينا غرضنا من هذا على اصلنــا في استيثار الرب سبحانه بالخلــق
واستحالة كون غيره موجدا يتضح على هذا الاصل بطلان المصير الى ان
الباري سبحانه انما كان متكلما من حيث كان فاعلا للكلام اذ هو فاعل كلاما
للمتحدثين وليس هو متكلما به * ويتضح الكلام على النجارية فانهم يوافقون
اهل الحق في ان الله تعالى خالق اعمــال العبــاد فلا يستمر لهم وهذا
معتقدهم * قال ثم الكلام على مذهب المخالفين اصوات فلئن كان المتكلم
من فعل الكلام فليكن الصوت من فعل الصوت ويلزم من ذلك كون الباري
تعالى عن قول الزائغين مصوتا من حيث كان فاعلا للاصوات * فاذا بطل
بهذه القواطع مذهب من يقول المتكلم من فعل الكلام فلا بد من اختصاص
الكلام بالمتكلم على وجه من الوجوه فاذا انتقض وجه الفعل فلا يبقى على
السبر والتقسيم بعد بطلان ما ذكرناه الا ما ارتضيناه من ان المتكلم من قام
به الكلام * وقال ايضا في الاستدلال على بطلان قولهم ان المتكلم من فعل
الكلام خصوصا من المعتزلة ومن انتحا نحوهم مصدودون عن إثبات المعجزة
والتوصل الى العلــم بوجوهها الدالة على صدق التحــدي ثم ذكر وجه

ذلك وقد اشرت الى شيء منه في المعجزات * قال ثم نقول لهم لايستقيم لكم ما استمر لنا عند محاولة اثبات ما رمناه وذكر ما قدمته في تصديق الملك مدعي الرسالة * فقال من تصدى للملك وتصدر لمنصبه في موعد معلوم واحتف به المختصون بخدمته من حاشيته ثم ادعى من في جملة الحاضرين انه رسول الملك الى من شهد وغاب وذلك بمرأى من الملك ومستمع واستشهد في هذه الحالة على اثبات الرسالة بامر تصدر من الملك خارقا للمألوف من عوائده فاجابه الملك الى مناه ووافق دعواه فيدل على تصديق الملك اياه يقول في نفسه والفعل الظاهر مترجم عنه فازلة منزلة العبارات المصطلح عليها في إفهام المعاني فهذا سبيلنا * ولا يستتب ذلك للمعتزلة يعني لايتأتى لهم فان المعني بكون الباري متكلما عندهم انه فاعل الكلام وليس في ظهور الايات ما يدل على ان الرب خلق أصواتا منقطعة في بعض الاجسام وهي الكلام وانما ترتبط المعجزات بتصديق مظهرها اذا كان التصديق صفة وكان متصفا به على التحقيق وليس يرجع من الفعل صفة حقيقة الى الفاعل فلا يكون المعجزات دالة على ثبوت الكلام * قال والذي نوضح غرضنا في ذلك انا بينا بالبراهين بان المصدق لايكون مصدقا بفعله اذا التصديق من اقسام الكلام وقد ذكرنا عموم بطلان مذهب من يقول المتكلم من فعل الكلام وذلك يحتوي على التصديق فانه من اقسام الكلام * فاذا بطل كون الباري تعالى مصدقا للرسل بالقول على مذهب المعتزلة ووجه دلالة المعجزة على صدق الانبياء ونزولها منزلة التصديق بالقول فعند ذلك يتضح بطلان وجه دلالة المعجزات على فاسد عقائدهم ومتناقض قواعدهم وفي بطلان المعجزات انحسام السبيل المفضية بسالكها الى اثبات القول * قلت وهذا الكلام يعرفك ايها السائل من الذين انسد عليهم العلم بالنبوات كما زعمت * قال ائمتنا

ومنهم امام الحرمين المذكور المحقق المشكور البارع المشهور وهذا لفظه قال وكلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وليس حالا في مصحف ولا قائما بقلب * والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب وقد يعبر بها عن الاحرف المرسومة والاسطر المرقومة وكلها حوادث ومدلول الخطوط والمفهوم منها الكلام القديم وهو بمثابة الاطلاق بأن يقال مكتوب في المصاحف وليس المعنى بذلك اتصاله بالاجسام وقيامه بالاجرام ولم يصر أحد من المسلمين المنتمين الى التحقيق الى قيام الكلام بمحل الاسطر الا الجبائي فيما حكيناه من هذيانه * ويؤثر عن النجار ان الرقوم التي هي اجسام كلام الله تعالى والكلام اصوات عند القرأة واجسام عند الكتابة قال وكل ذلك خبط وتخليط في غير الحق وتفريط في درك الصدق * قلت وهذان المذكوران من شيوخ المعتزلة والذي حكاه عن الجبائي واشار اليه بقول (حكيناه من هذيانه) هو ما ذكر عنه في مواضع آخر حيث قال فنقول مذهب جماهيركم ان كلام الله اذ خلقه كان اصواتا ثم انصرمت وانقضت فالمتلو المحفوظ المكتوب ليس بكلام الله قال وهذا مذهب من تحقق من متاخريهم فلما استشعر الجبائي ذلك وتيقن انه يلتزم لو قال بهذا المذهب خرق اجماع الامة ابدع مذهبا خرق فيه حجاب الهيبة وركب جحد الضرورات وقال كلام الله تعالى يوجد مع قرأة كل قارئ مع كل حرف حرف سواء كان مكتوبا او مقرؤا ثم الكلام عنده حروف تقارب الاصوات المنقطعة على مخارج الحروف وليست هي باصوات وزعم انها توجد عند الكتابة فاذا اسبقت الحروف المنظومة المرسومة المرقومة وجدت حروف قائمة بالمصحف لبست الاشكال البادية والاسطر الظاهرة ثم زعم ان الحروف تسمع عند القرأة وان لم تكن اصواتا ولا ترى عند ثبوت الاسطر انتهى * وقال الشيخ ابو اسحاق الشيرازي لو كان القرآن مخلوقا

لقال تعالى الرحمن خلق القران وخلق الانسان علمه البيان فلمـــا لم يقل ذلك دل على ان الانسان مخلـوق والقرآن غير مخلوق * قال ويدلّ على ذلك ايضا قوله عـز وجل [الا له الخلق والامــر] بالواو والامر كلام ولو كان مخلوقا لقال تعالى الخلق والخلق ويكون مكررا فلمـا فصل بينهما دل على ان الخلق مخلوق والامر كلام قديم ازلي قال الله عـز وجل [انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون] ولـو كان كن مخلوقا لافتقر الى قوله قبله وكذلك ما قبلـه ويودّي ذلك الى التسلسل وعـــدم التناهي ويودّي ذلك الى عـــدم المخلوقات ولان الـرب سبحانه لا يخلق الخلق بالخلق وانما يخلقه بصفته القديمة انتهى * قلت ومعنا قولنـا كلام الله تعالى مقرؤ بالسنتنا غيـر حالّ فيها هو كقولنا ان الله تعالى مـذكور بالسنتنا غير حالّ فيها اذ الصفة القديمـة لا تقبـل الحدوث ولا تنفصل عن الموصوف * واما قولهم كيف يكون كلامه تعالى قديما وهو مستمل على الامر والنهي ولا مامور في القدم ولا منهي ولا سامع ولا واعي كقوله تعالى [اخلع نعليك] وتقدير الاتصاف به قبل خلق موسى عليه الصلوة والسلام هجر وخلف من الكلام فقد اجـاب ائمتنا على ذلك المستبعد فقالـوا لا يبعد قيـام الطلب في النفس ممن سيوجد * قال الامام علم العلماء الاعلام ناصرالدين وحجة الاسلام صاحب المقام العالي ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وكما عقل قيام طلب العلم واراد به بذات الوالد قبل ان يخلق ولـده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق اللـــه له علما لمـــا في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيـه ودوام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دلّ عليـه قوله تعالى [اخلع نعليك] بذات الله ويصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذا خلقت له معرفة الطلب وسمع بذلك الكلام القـديم انتهى * قلت وها انا اشرع فيما وعدت به من الادلّة

التي رتبتها والتفريعات والمباحث التي وضعتها * فاقول وبالله التوفيق ومن الادلة على صحة مذهبنا ان الكلام صفة المتكلم وصفات الله تعالى قديمة لانها لو كانت حادثة لكان القديم تعالى محلا للحوادث ومحل الحوادث حادث فيكون القديم حادثا هذا خلف فلزم ان يكون كلامه قديما قائما بذاته وهو مع ذلك مكتوب في المصاحف مقرؤ بالالسنة محفوظ في القلوب من غير حلول ذات الكلام في شيء منها اذ لو حلّ ذات المكتوب في الكتاب لحلّ ذات النار بكتب اسمها في الورق واحترق ومن الادلة ايضا على بطلان قول الحشوية والكرّامية في زعمهم ان الحروف والاصوات قديمة وجوه الاول ان القديم عبارة عن ما ليس قبله شيء والحروف تتاخر وتتقدم وتوجد وتعدم اذ السين من بسم الله مسبوقة بالباء وحروف كل كلمة مسبوقة بما قبلها وكل مسبوق حادث وكذلك يعدم بعضها بوصله وقلبه وادغامه * الثاني ان الحروف تستدعي مخارج والمخارج تستدعي جسما والجسم يستدعي تركيبا والتركيب يستدعي مركبا والله متعال عن ذلك كله * الثالث ان اصوات القرّاء مخلوقة مثلهم ومختلفة ومتفاوتة في الحسن والتحقيق والصوت الغليظ والرقيق- والقديم لا يقبل شيئا من ذلك اعني لا يتغير الصفة القديمة لان التغير من سمات الحدوث والاصوات خارجة من مخارج البحث فمن زعم ان بحة صوت القاري المخلوقة في الصوت المخلوق المسموع او المداد الذي هو من العقاقير المخلوقة مصنوع عين كلام الله المسموع منه والمرئي في كتابه فكفّ لسانك عن خطابه وفرّ عقلك عن جوابه * الرابع كما انه تعالى ليس كمثله شيء ليس ككلامه كلام * الخامس كما انه تعالى ليس بجسم ولا عرض فكلامه ليس بحرف ولاصوت * السادس قال امام الحرمين رضي الله عنه القرأة عند اهل الحق اصوات القرّاء ونغماتهم وهي اكسابهم التي يومرون بها ويزجرون عنها في وقت

يثابون ويعاقبون عليها باجماع المسلمين ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو افعال العباد ويستحيل ان يناط التكليف والتعنيف والترغيب والترهيب بصفة ازلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات انتهى * وقال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه ان كان المسموع المشترك يعني اصوات القراء كلام الله القديم القائم بذاته فاي فضل لموسى في اختصاصه بكونه كليما على تلك الصفة انتهى * قلت ومن الادلة ايضا على بطلان مذهب المعتزلة ومن وافقهم من الفرق في جرأتهم على الله تعالى وجعلهم كلامه مخلوقا من جملة ما خلق غير قائم بذاته بل يخلقه في جسم من مخلوقاته وجوه الاول ان اسم الفاعل لا يسبق لسوى والفعل قائم بغيره للاستقراء كالضارب والراكب والعالم والنائم وغيرها فكما لا يسمى زيد ضاربا وراكبا والضرب والركوب صادران من عمرو دونه لا يسمى متكلما من صدر الكلام من غيره * الثاني ان الكلام بالنسبة الى المتكلم اما نفسي او لفظي وغيرهما ليس بكلامه اتفاقا والمخلوق في جسم غيرهما بالنسبة الى الله تعالى فليس بكلامه * الثالث ان الكلام صفة كمال في ذات المتكلم وعدمه نقص فيها والنقص على الله محال فعدم الكلام في ذات الله محال * الرابع ان كل من لم يتصف بصفة لها نقيض اتصف بنقيضها لاستحالة اجتماع النقيضين وارتفاعهما ونقيض الاقتدار على الكلام البكم واطلاقه على الله تعالى باطل ومحال بل كفر وضلال * الخامس قوله عز وجل [وكلم الله موسى تكليما] فاكد الفعل بالمصدر وتاكيد الفعل بالمصدر دليل على تحقيق الفعل وقيامه بالمسند اليه وصدوره منه لا من غيره واشعار بالحقيقة ورفع لايهام المجاز كما يقال رأيت زيداً عيانا وكلمته مشافهةً * السادس انه لو لم يسمع موسى عليه السلام الا بواسطة الشجرة لم تكن له مزية بالتكليم ولم يسم كليما اذ سائر المرسلين عليهم السلام سمعوا ذلك بالوسائط وسلمت عليهم

الاشجار والاحجار بخلق الله فيها الكلام * السابع قوله تعالى [قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربي - ان الذين حقت عليهم كلمات ربك - ولا يكلمهم الله يوم القيامة - لقد حق القول على اكثرهم - ولكن حق القول مني - قال فالحق والحق - اقول - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم - ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين] ونظائر ذلك مما يطول ذكره ويسق حصره من الايات الكريمات وكذلك من الاحاديث الصحيحات كقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب الحديث يقول الله عز وجل وجبت محبتي للمتحابيّن في الحديث اذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل وفي رواية مسلم دعا جبريل عليه السلام فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض ثم ذكر كلاما كذلك في البغض وقوله صلى الله عليه وسلم ويسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي في حديث تعاقب ملائكة الليل وملائكة النهار وكذلك يقول الله حمدني ربي الحديث ونظائر ذلك وهي نحو مائة حديث وقد افردها بعض العلماء بتصنيف وذكر بعضهم ان عدد الايات المصرح فيها بالقول وآيات الامر بالاحكام والتوحيد والتفكر والاعتبار وآيات النهي وآيات الاخبار بتعداد النعم وقصص الاولين المسندة صريحا الى الله تعالى اكثر من العين او ثلثة آلاف اية وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم الحديث * قال ائمتنا فيه دلالة ظاهرة على انه اذا لم يسمع المذكورين كلامه عقوبة لهم اسمعه اهل رحمته اذ شاء كرامة لهم وقد سمع كلامه اهل العقوبة بما يريدهم ندامة وحسرة كما قال الله تعالى [الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون]

الى قوله [اخسئوا فيها ولا تكلمون] * الثامن ما روى فى المستدرك على الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لا ترجعون الى الله تعالى بشيء افضل مما خرج منه يعني القرآن قال الحافظ ابو عبد الله الحاكم صحيح ورواه البيهقي من حديث الامام احمد ابن حنبل وقال معنى خرج منه اي وجد منه بان تكلم به وانزله على نبيه صلى الله عليه وسلم وافهمه عباده وليس ذلك كخروج كلامنا منا فانه تعالى منزه تعالى عن اشباه المخلوقين * التاسع قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان وقوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ان الله كلم اباك من غير حجاب الحديث الصحيح ونظائر ذلك من الاحاديث الصحيحة * العاشر قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام لست هناكم ولكن ايتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليما مع قوله تعالى [انى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي] ولو سمع الكلام من الشجرة لما كان مصطفا بالتكليم ولكان سماع كلام الله من الملائكة افضل * الحادي عشر ماروي عن علي رضي الله عنه مسنداً انه لما حكم الحكمين قالت له الخوارج حكمت رجلين فقال ما حكمت مخلوقا وانما حكمت القران وروي الامام البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى [قرآنا عربيا غير ذي عوج] قال غير مخلوق * الثاني عشر اجماع المسلمين قبل ظهور المبتدعين على ان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله عز وجل وعلا بغير واسطة بما دل عليه الكتاب والسنة * الثالث عشر مارواه الربيع قال لما خرج الشافعي الى مصر وانا معه كتب كتابا وقال يا ربيع خذ كتابي هذا وامض به الى ابي عبد الله احمد بن حنبل وايتني بالجواب قال

الربيع فدخلت بغداد ومعي الكتاب فلقيت احمد بن حنبل في صلاة الصبح فصليت معه الفجر فلما انفتل من المحراب سلمت الكتاب اليه وقلت هذا كتاب اخيك الشافعي من مصر فقال احمد نظرت فيه فقلت لا فكسّر الختم وقرأ الكتاب فتغرغرت عيناه بالدموع فقلت له ايش فيه فقال انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له اكتب الى عبد الله احمد بن حنبل واقرء عليه مني السلام وقل له انك ستمتحن وتدعى للقول بخلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علما الى يوم القيامة - قال الربيع فقلت البشارة فخلع قميصه الذي يلي جلده ودفعه الى واخذت جواب الكتاب وخرجت الى مصر فسلمت الكتاب للشافعي فقال يا ربيع ايش الذي دفع اليك قلت القميص الذي يلي جلده فقال لا نفجعك به ولكن بلّه وادفع الى الماء حتى اكون شريكا لك فيه انتهى كلامه * وممن نقله من الائمة الامام فخر الدين الرازي قلت فان قال الحشوي هذا مع كونه حجة على المعتزلة حجة عليكم ايضا اذ هذا مما يؤيد مذهبنا فان الامام احمد منا وارسال النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام مما يدل على انه على الحق استقام قلت الجواب من ثلثة اوجه والله سبحانه العلام الاول انا لاننكر فضل احمد ولا كونه من جملة ائمة السنة السنية ولكن لا نسلم انه على مذهب فرقة الحشوية وسياتي بيان مذهبه الذي كان عليه وبطلان ما نسبه بعض الحشوية اليه * الثاني ان للامام احمد من الفضائل ما يطول ذكره بل يتعذر حصره وقد شهد الخضر عليه السلام بالصديقية له ونحن لا نكفّر احداً من اهل القبلة وان صحت مخالفته لاهل الحق وخلا عن الفضائل ما خلا فرقا قامت على كفرهم قواطع الدلائل اوضحتها في مواضع عديدة لمن هو عنها سائل * الثالث انا نعارض السلام المذكور بما اشتهر واستفاض بين الانام ورواه خلائق من الفقهاء والفقراء والعوام من ارساله عليه

افضل الصلوة والسلام بسلامه الى السيد الفقيه الامام الاشعري المشهور عزالدين بن عبد السلام مع الشيخ الكبير العارف بالله رفيع المقام ابى الحسن الشاذلي الاشعرى ذي المناقب العظام ومما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لابى الحسن الاشعري فى المنام وما سياتي في منامات يطول في ذكرها الكلام *

بيــــان شئ من اقــوال السلف في ان القــران كلام اللــه عزوجل غيرمخلوق

روي الامام البيهقي وغيره من الائمة عن جماعة غير الامام سفيان بن عيينــة قال سمعت عمرو بن دينار يقــول ادركت مشائخنا والناس منذ سبعين سنــة يقولون القــرآن غير مخلوق * قال الامام اسحق بن راهويه وهو احد الرواة وقد ادرك عمرو بن دينــار جلة من اصحــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البدريين والمهــاجرين والانصار مثل جابــر و ابي سعيد و ابن عمر وابن عبــاس و ابن الزبير وجلة التابعين وعلي هذا صدر هذه الامة ولم يختلفوا فى ذلك * و روى الحاكم ابن محمد الطبري عن سفيان بن عيينة قال ادركت مسائخنا من اربعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله وليس بمخلوق * قال بعض الائمة وقد لقى ابن عيينة نحوا من مائتى نفس من التابعين واكثر من ثلثمائة من اتباعهم من اهل الحرمين والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن يعنى من اهل العلم وقال ابوبكر بن ابي شيبه سمعت ابا نعيم الفضل بن دكين يقول ادركت ثلثمائة شيخ كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلــوق * وقال اسماعيل بن ابى اويس سمعت خالي مالك ابن انس وجماعة العلماء بالمدينة ذكروا القرآن فقالوا كلام الله وهو منه وليس من الله شي مخلـــوق * وقال يحيي بن المغيرة المخزومى ما ادركت من علمائنا الا وهو يقول القرآن كلام الله غير مخلوق،

بيان اول من احدث البـــدعة الشنيعة والمقالة الفضيعة ومال الى الضـــلال والكفـــران في اعتقـــاد خلـــق القـــران

قال ائمة اهل الحق اول من احدث ذلك من الفـــرق عن الحق مرق الجعـــد بن درهم وتبعه شيخ الجهمية الجهم بن صفـــوان وخلفهمـــا بشر المريسي ثم اشتهـــر ذلك في زمن الامام احمد بن حنبل وجرى عليه بسببه بلاء عظيم وثبت ثباتا عظيمـــا لاجرم انه سمى بالصديق الثاني ودامت تلك الفتنة في زمن المامون ثم المعتضد الى ان جاء المتوكل فرفعها وامر باظهار السنة واخمال البدعة بلّ الله ثراه بالرحمة * فاما الجعد فذكر بعض العلماء انه لا خلاف بين الائمة انه اول من قال القـــران مخلوق وقتلـــه على ذلك خالد بن عبـــدالله القسيـــري * وقال عبدالرحمن بن ابي حاتم سمعت ابى يقول اول من اتا بخلق القـــرآن جعـــد بن درهم فى نيف وعشـــرين ومائة سنة وروى الامام البيهقي بسنـــده الى عبد الرحمن بن ابي حبيب عن ابيه عن جده قال شهدت خالد بن عبد الله القسيـــرى وقد خطبهم في اضحى بواسط فقال ارجعوا ايها الناس فضحّوا يقبل الله منكم فاني مضحى بالجعـــد بن درهم فانه زعم ان الله لم يتخـــذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليمـــا تعالى الله عمـــا يقول الجعد بن درهم ثم نزل فذبحه ورواه البخـــاري في كتاب خلق الاعمال واما جهم فانه كان فى سنة ثلثين ومائة اخذ هذه البدعة من جعد وشهرها فلمـــا سمع اهل العلم بذلك تعـــاظموه وقالوا تكلم بالكفـــر وقتل بذلك وحين ضربت عنقه اسودّ وجهه قالوا وكان زنديقاً جاهلا لايعبد الله وانما يعبد

الهوى وترك الصلـــوة اربعين يوماً شكّا في خالقه من هو * قال البخاري في كتاب افعال العباد قال سمرة عن ابن شوذب ترك جهم الصلوة اربعين يوما خاصمه بعض السمنية فشك فاقام اربعين يوما لايصلي * وقال عبد العـزيز ابن سلمة سئل جهم عمن طلق امرأته قبل ان يـــدخل بها فقال عليه العدة فخالف كتاب الله لجهله وقال عبـد الحميد جهم كافر بالله العظيم - ثم روى بسنده عن ابن نعيم البلخي قال كان رجل من اهل مرو صـــديقا لجهم ثم قطعه وجفاه فقيل له لم حقرته فقال جاء منه مالا يحتمل قرأت يوما آية كذا و كذ فقـــال ما كان اظرف محمـــدا فاحتملتها ثم قرا سورة طه فقال قال [الرحمن على العرش استوى] قال اما والله لو وجدت سبيلا الى حكّها لحككتها من المصاحف فاحتملتهـا ثم قرأ سورة القصص فلما انتهى الى ذكر موسى عليه السلام قال ما هذا ذكر قصته في موضع فلم يتمّها ثم ذكرها - هنا فلم يتمها ثم رمى بالمصحف من حجره فوثبت عليه وقال الامام احمـــد بن حنبل رضي الله عنه فيمـــا رواه عنه الامـــام البيهقي بسنده الصحيح جاءت امـــراة الى جهم فقالت تؤمن بالله واليوم الآخـــر قال نعم قالت ومن اين تعـــرفه قال اعرفه ليس كمثله شيء فقالت اقرأ ما بعـــدها يكون ليس كمثلـــه شيء وهو السميع البصيـــر فسك في دينــه اربعين يوماً * وقال الامام احمـــد قال لي علي بن عاصم قـــال لي محمد بن سوقة مرّ بنـــا اليه فقال له محمد لم تصلّ مذ اربعين يوماً قال نعم فذهب محمد الى الري حتى اخذ جهمـــا فضرب عنقه وصلبه * وقال السجـــستاني كان السلف كلهم من اشد الـــرادين عليه ويعتقد ان نعيم الجنة وعذاب النـــار تفنى - قال البخـــاري قال علي بن الحسين سمعت ابن مصعـــب يقول كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله في قولهم ان نعم الجنة تفنى قال الله تعالى [ان هذا لرزقنا ماله من نفاد] فمن قال انها تنفد فقد كفر

وقال الله تعالى [أكلها دائم وظلها] فمن قال انها لاتدوم فقد كفر وقال تعالى [لامقطوعة ولا ممنوعة] فمن قال انها تنقطع فقد كفر وقال تعالى [عطاء غير مجذوذ] فمن قال ينقطع فقد كفر وروى عبدالرحمن ابي حاتم بسنده الى سعيد صاحب ابى اسحق الفزاري انه قال انما خرج جهم سنة ثلثين ومائة فقال القرآن مخلوق فلما بلغ العلماء ذلك تعاظمهم فاجمعوا على انه تكلم بالكفر وحمل الناس ذلك عنهم * واما بشر المريسي فكان والده صباغا يهوديا وكفّره اهل زمانه ومن بعدهم سفيان بن عيينة وعبدالله ابن المبارك ويحيي بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي ويزيد ابن هارون وعبدالرزاق والماجشون والقعنبي وغيرهم * وقال البخاري قال وكيع الجهمية كفار المريسي جهمي على المريسي لعنة الله يهودي او نصراني كان ابوه او جده يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه - قال وقال يزيد بن هارون لقد حرضت اهل بغداد على قتله جهدي - قال وحدثني بو جعفر قال حدثنا احمد بن خالد قال سمعت يزيد بن هارون ذكر ابابكر الاصم والمريسي فقال هما والله زنديقان كافران بالرحمن حلال الدم وكان بشر يستخفي ببدعته في زمن هارون الرشيد وبلغه ذلك عنه فقال لئن ظفرني الله به لاقتلنه ثم لما توفي الرشيد ظهرت هذه البدعة وارتفع ظهورها مدة ثم خمدها الله تعالى وظهر امر الله وهم كارهون *

بيان من كفر اهل هذه المقالة من العلماء

قال الامام الفقيه في الاسماء اخبرنا الحاكم قال سمعت ابا زكريا يحيى بن محمد العنبري قال سمعت عمران بن موسى الجرجاني قال سمعت سويد بن سعيد يقول سمعت مالك بن انس وحماد بن يزيد وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وشريك بن عبد الله ويحيى بن سليم ومسلم

ابن خالد وهشام بن سليمان المخزومي وجرير بن عبدالحميد وعلي بن مسهر وعبدة بن سليمان وعبدالله بن ادريس وحفص بن عياث ووكيع ابن الجراح ومحمد بن فضيل وعبدالرحمن سليمان وعبدالعزيز بن ابي حازم والدراوردي واسمعيل بن جعفر وحاتم بن اسمعيل وعبد الله بن يزيد المقري وجميع من حملت عنهم العلم يقولون القرآن كلام الله من صفات ذاته غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فقد كفر بالله العظيم وافضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوبكر وعمر وعثمان وعلي قال عمران وبذلك اقول وبه ادين الله عزوجل وما رأيت محدثا قط الا وهو يقوله وقال البخاري و قال سفيان بن عيينة والحجاج بن محمد ويزيد بن هارون وهاشم بن القاسم والربيع بن نافع ومحمد بن يوسف وعاصم بن علي ويحيى بن يحيى واهل العلم من قال القرآن مخلوق فهو كافر * وقال موسى بن ابراهيم الوراق اخبرنا عبدالله بن المبارك قال سمعت الناس منذ تسعة واربعين عاماً يقولون من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثا بتّةً - قلت و لِمَ ذلك قال لان امراته مسلمة ومسلمة لا تكون تحت كافر * وروى ذلك ايضاً مع موسى بن هارون بعض الائمة وقال قد لقي عبد الله يعني المبارك جماعة من التابعين قال ولعله يروي عن الف شيخ من اتباع التابعين ولبس في الاسلام في وقته اكبر رحلة منه وهو اكثر طلبا للعلم واجمعهم له واجودهم معرفة واحسنهم سيرة وارضاهم طريقة * وروى عن غير واحد من الائمة باسانيدهم ان رجلا اتى الى الامام مالك بن انس رضي الله عنه فقال يا ابا عبدالله ما تقول فمن يقول القرآن مخلوق قال كافر زنديق فاقتلوه * قال الراوي لقيت الليث بن سعيد فسالته عن ذلك فقال كافر فسألت ابن لهيعة فقال كافر فأتيت مكة فسألت سفيان بن عيينة فقال كافر ثم قدمت الكوفة فسالت ابابكر بن عياش فقال

كافر من لم يقل انه كافر فهو كافر وسألت عبد الله بن ادريس و ابا اسامة وعبدة ابن سليمن ويحيى بن زكريا ووكيع بن الجـــراح فقالوا كافر ولقيت ابن المبارك وابا اسحق الفـــزاري والوليد بن مسلم فقالوا كافر وقال عبدالرحمن بن ابى حاتم حدثنا محمد بن احمد بن عمر ابن علي قال سمعت ابي يقول مارأيت مجلســـاً يجتمع فيه المســـائخ انبل من مشائخ اجتمعوا في مسجد جامع الكوفة في وقت الامتحـــان فقرئ عليهم الكتاب الذي المحنة * فقال ابو نعيم ادركت ثمانمائة شيخ ونيفـــاً وسبعين شيخـــاً فما رأيت خلفاً يقول بهذه المقالة ولايكلم بهذه المقالة احد إلا رمى بالزندقة فقام احمـــد بن يونس فقبل راسه و قال جزاك الله عن الاسلام خيرا وقال وكيع ومن زعم ان القـــرآن مخلوق فقد زعم ان شيئـــاً من الله مخلـــوق * وروى البخـــاري بسنده عن عبـــدالله بن ادريس انه جاء رجل فقـــال يا ابا محمد ما تقول في قوم يقولون القران مخلوق قال أمن اليهود قال لا قال فمن النصارى قال لا قال فمن المجوسي ؟ ن لا قال فمن اهل التوحيد قال ليس هولاء من اهل التوحيد هولاء الزنادقة * وقال البخـــاري حلف يزيد بن هرون بالله الذي لا إله الا هو من قال ان القرآن مخلوق فهو زنديق ويستتاب فان تاب والا قتل * وقال السفيان الثوري من قال مخلوق فهو كافر وقال بعض علمـــاء السلف ما الدين قالوا ان الله ولدا اكفر من الذين قالوا ان الله لايتكلم * و قال وكيع من قال ان القرآن مخلوق فهو كافر بما انزل الله على محمد يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه وقال ابو عبيد القسم بن سلام وقـد سئل عن قول المريسي ان الله لا يتكلم فقال ليس في الكفر شئ الا وهو دونه وهذا بعض كلام له غلّظ فيه تغليظاً شديداً وكذلك البخاري قال نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رايت قوماً اضل في كفرهم منهم يعني من اصحاب هذه المقـــالة قال واني لاستجهل من لا يكفـــرهم

وقال قال عبدالرحمن بن مهدي لو ان رجلا على الجسر وبيدي سيف يقول القرآن مخلوق لضربت عنقه * وقال يحيى بن سراج كنا عند ابن عتيبة فقال الناس قد قدم بشر المريسي قال ما يقول قالوا يقول القرآن مخلوق قال جئوني بشاهدين حتى آمر الوالي بضرب عنقه وقال عبدالله بن نافع قلت لمالك ان قوما بالعراق يقولون ان القرآن مخلوق فنتر يده من يدي - فلم يكلمني الظهر ولا العصر ولا المغرب فلما كان عشاء الآخرة قال لي يا عبدالله من اين لك هذا الكلام الخبيث في قلبي شيئاً هو الكفر صاحب هذا المقال يقتل ولا يستتاب وفي رواية يحبس حتى يعلم منه - وفي رواية يقتل او يحبس او ينفي وقال القاضي عياض قال ابن القسم من زعم ان الله لم يكلم موسى فيستتاب فان تاب والا قتل * قال البيهقي اخبرنا الحاكم بسنده الى ابي يوسف قال كلمت ابا حنيفة في ان القرآن مخلوق ام لا فاتفق رايه ورائي على ان من قال القرآن مخلوق فهو كافر * قال الحاكم رواية كلهم ثقات * وقال ابن المبارك ذكر جهم في مجلس ابي حنيفة - فقال مايقول قالوا يقول القرآن مخلوق قال [كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولوا الا كذبا] * وعن ابي يوسف انه من قال القرآن مخلوق فحرام كلامه و فرض منابذته * وروى الحسن بن حماد عن محمد بن الحسن انه سئل هل القرآن مخلوق فقال القرآن كلام الله وليس من الله شيء مخلوق قال الحسن وهو الحق عندنا * وروى البيهقي عن الامام احمد انه قال واما من قال ذلك القول فلا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها الا انا لاندع اتيانها فان صلى رجل اعاد الصلوة * وقال البخاري ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي ام صليت خلف اليهودي والنصراني * وقال الشيخ ابوالحسن الاشعري في خطبة كتاب الابانة وقد ذكر المعتزلة والقدرية قالوا بخلق

القرآن نظيراً لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا [إن هذا إلا قول البشر] * فزعموا ان القرآن مخلوق كقول البشر * وروى البيهقي وغيره بالاسناد الى عكرمة قال حمل ابن عباس جنازة فلما وضع الميت في قبره قال رجل اللهم رب القرآن اغفرله فقال له ابن عباس لاتقل هذا منه بدأ واليه يعود - وفي رواية القرآن كلام الله وليس بمربوب وفي رواية البيهقي ثكلتك امك ان القرآن منه ان القرآن منه * وروى البيهقي وغيره عن عبدالله بن احمد بن حنبل بسنده الى جعفر بن محمد عن ابيه رضوان الله عليهما قال سئل علي بن الحسين رضوان الله عليهما عن القرآن فقال ليس بخالق ولا مخلوق و هو كلام الله وبسنده الى الزهري قال سألت علي بن الحسين عن القرآن فقال كتاب الله وكلامه * وروى البخاري انه سئل جعفر بن محمد عن القرآن فقال ليس بخالق ولا مخلوق * وروى البيهقي بسنده الصحيح الى قيس بن الربيع قال سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقال كلام الله فقلت مخلوق قال لا قلت ماتقول في من زعم انه مخلوق قال يقتل ولا يستتاب - ورواية غير البيهقي عنه لو كان خالقاً لعبد ولو كان مخلوقاً لنفد * وقال يحيى بن سعيد اما نعجب من هؤلاء يقولون [قل هو الله احد] مخلوق وقال ايضاً كيف يصنعون [بقل هو الله احد] وبقوله [اني انا الله لا اله الا انا] وقال عفان من قال قل هوالله احد مخلوق فهو كافر ويلزمهم حيث قالوا انه مخلوق انه يهلك ويفنى وكلمات الله هي التامة لانقص فيها ولا هلاك لها ولا فناء لقوله تعالى حين يفنى الخلق [لمن الملك اليوم] فيجيب تعالى نفسه [لله الواحد القهار] قال يحيى بن سعيد القطان سمعت رجلا سأل ابا الهذيل عن القرآن فقال مخلوق فقال له مخلوق يموت او يخلد قال بل يموت قال فمتى يموت القرآن قال اذا مات من يتلوه فهو موته - قال

لقد مات من يتلوه وذهبت الدنيا وتصرمت - فاذا قال الله عزوجل [لمن الملك اليوم] فهل القرآن يموت فقال ما ادري وبهت * وقال بعض ائمتنا كيف يمكن ان يقول الشجرة لموسى عليه السلام [انا ربك إنني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني] تحقيق * قال امام الحرمين ظن من لم يحصل انهم وصفوا الرب سبحانه وتعالى بكونه متكلما وزعموا ان كلامه مخلوق وليس هذا مذهبهم بل حقيقة معتقدهم ان الكلام فعل من افعال العباد تعالى كخلقه للجواهر واعراضها فلا يرجع الى حقيقة وجوده حكم من احكام الكلام فمحصول أصلهم انهم قالوا ليس لله تعالى كلام وليس قائلا - ولا آمراً ولا ناهياً وانما يخلق اصواتاً في جسم دال على ارادته - وقال ايضاً اجماع الامة على ان الرب عزوجل خص موسى وغيره من المصطفين من الانس والملائكة بان اسمعهم كلامه العزيز من غير واسطة * فلوكان السامع للقرأة القاري مدركا لنفس كلام الله من غير تبليغ مبلغ لما كان موسى مخصصاً بالتكلم * وقال غيره من ائمتنا نفيهم الكلام عن الله قد ردوا به ألوفاً من آيات الكتاب العزيز كلما نص في رد قولهم ولا يخفى على ذي بصيرة ان آيات القرآن نصوص من اثبات الكلام والقول كذلك الفاظ السنة * وامّا تفسيرهم له بانه يكون متكلماً بكلام لايقوم بذاته بل بجماد - ولا يسمي ذلك الجماد متكلما فانه مخالف للمعقول والمفهوم من اللغة العربية ان كل من اتصف بوصف فانه يقوم به ولا يقوم بغيره ولايقال متكلم عالم كاتب فيمن قام ذلك بغيره ويلزم بذلك اشياء شنيعة وامور فضيعة ذكرها الشيخ ابوالحسن والمحققون من اتباعه فقالوا قال الله تعالى [وكلم الله موسى تكليما] ولا يجوز ان يكون كلام المتكلم قائما بغيره ثم يكون هو متكلما به دون ذلك الغير كما لا يجوز ذلك في السمع والبصر والعلم وقال الله تعالى [ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب

او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء] فلو كان كلام الله مخلوقاً في شيء مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الامور معنى ولايستوي جميع الخلق في سماعه وهذا يوجب اسقاط رتبة النبيين صلوات الله وسلامه عليهم * ويلزمهم اذا زعموا ان كلام الله لموسى عليه السلام خلقه في شجرة ان يكون من سمع كلام الله من ملك او نبي افضل في سماع الكلام من موسى لانهم سمعوه من مصطفى ولم يسمعه موسى بزعمهم الا من شجرة ويلزمهم على هذا ان يقولوا سماع اليهود كلام الله من موسى افضل من سماع موسى من تلك الشجرة و لو كان مخلوقا في شجرة لم يكن الله مكلما موسى من وراء حجاب ولكانت الشجرة متكلمة بذلك قائلة [انني انا الله لااله الا انا فاعبدني] قلت وها أنا اوضح لك وأبين تقريره واقيم البرهان القطعي على انه عليه السلام سمع الكلام من الله تعالى لا من الشجرة * فاقول قد اخبر الله عزوجل في الاية المذكورة ان تكليمه منقسم ثلاثة اقسام وهي الهام واسماع بواسطة او مشافهة فاثنان منها عامان لخواص من الملك والبشر والثالث خاص بمخصوصين من الخواص المذكورين وهو التكلم من وراء حجاب شفاهاً وهو اشرفها و افضلها وغير هذا القسم الثالث لم يكن تكليم موسى عليه السلام اجماعاً اذ لا مزية فيه حتى يخصص بتسمية الكليم بل هو مشترك بين خواص القبيلتين فلزم ان يكون تكليمه بالثالث وهو المشافهة - وسماع الكلام من الشجرة ليس بمشافهة من غيرها في وضع العربية اتفاقا بل منها وهو راجع الى احد القسمين الاولين وهو الاسماع بواسطة وليس تكليم موسى بالوادي المقدس بواسطة قطعاً بالاجماع فبطل ما قالوه قطعاً وتعين ان من الله كان السماع وقد قالوا الارادة لاتقوم بذات الله ولا في محل آخر فال الممتنا وهو باطل ببديهة العقل ويلزمهم مثله في الكلام وسائر الصفات * وقد استدل خلائق من علماء السلف بقوله

تعالى [ولكن حق القول مني] ونظائره على ان ما كان من الله فليس بمخلوق و منهم هولاء الائمة مالك واحمد ووكيع ونعيم بن حماد واسمعيل بن علية واسماعيل بن ابي اويس و محمد بن الحسن وغيرهم كلهم قالوا ليس شيء من الله مخلوقا * قال عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني يزيد بن محمد الواسطي قال سمعت ابابكر احمد بن محمد العمري قال سمعت ابن ابي اويس قال سمعت خالي مالك بن انس يقول وجماعة العلماء بالمدينة وقد ذكروا القرآن فقالوا كلام الله وهو منه وليس من شيء مخلوق و قد تقدم هذا * وكذلك قال احمد بن الحسن الترمذي قلت لاحمد بن حنبل ان الناس قد وقعوا في امر القرآن فكيف اقول قال الیس انت مخلوقا قلت بلى قال فكلامك منك مخلوق او قال مثلك مخلوق قلت نعم قال اليس القران من الله قلت بلى قال وكلام الله اليه او قال منه قلت نعم قال ايكون من الله شيء مخلوقاً * قلت واصرح من هذا عن الامام احمد في بطلان ما للحشوية من المعتقد ما روي الامام المحدث الماهر الحافظ ابوالقسم بن عساكر عن الامام الكبير المحقق السهير العارف بالعلوم الخبير ابي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي عن الامام الكبير الحافظ السهير المحدث المحقق العالم ابي عبد الله الحاكم بسنده الى الامام المبجل ابي عبد الله احمد بن حنبل رضي الله عنهم اجمعين * انه بلغه عن انسان قد حكي عنه انه يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق فاستدعى به فجاء وهو يرعد متغير الوجه فقال له حكيت عني اني قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق قال انما حكيت عن نفسي فقال له لاتحك هذا عنك ولا عني فما سمعت عالما يقوله وقال له القرآن كلام الله غير مخلوق قلت فقد اوضح رضي الله عنه وشرح بان القراة غير المقروء فالقرأة لفظ القاري مخلوقة والمقروء كلام الله غير مخلوق وكذلك قوله تعالى [الا له الخلق والامر]

استدل به الائمة سفيان بن عينة واحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي وابن حاتم الرازي ونعيم بن حماد وغيرهم وقالوا الخلق خلق الله والامر القرآن * قلت فهذا ما اقتصرت عليه من اقوال السلف ومذاهب الائمة وقد قدمت بيان مذهب الامام الشافعي واصحابه في القدرية والقائلين بخلق القرآن وغيرهم من الفرق و انه سياتي ان شاء الله في آخر هذه المعتقد كلام اصحابنا فيما نقلوا عن الشافعي من اطلاق الكفر عليهم كقوله لحفص الفرد حين قال القرآن مخلوق كفرت والله بالله العظيم * قال الربيع ملقيته بعد يعني حفصاً فقال اراد الشافعي قتلي وقال علي بن سهل الموصلي سألت الشافعي عن القرآن فقال كلام الله غير مخلوق قلت فمن قال مخلوق فما هو عندك قال كافر * وقال الربيع سمعت البويطي يقول من قال القرآن مخلوق فهو كافر قال الله عزوجل [انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون] فاخبر عزوجل انه يخلق الخلق بكن ومن زعم ان كن مخلوق فقد زعم ان الله عزوجل يخلق الخلق بخلق * وقال يوسف بن موسى المروروذي سمعت المزني يقول ان كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر وروي مثل هذا القول محمد بن يحيى بن آدم عن الربيع * قلت وعلى الجملة فقد قال ائمتنا كلام الله هو المعنى القائم بذاته المعبر عنه الخلق بالحروف والاصوات وليست هي عين كلامه تعالى بل هي اعراض لاتبقى زمانين كما سياتي اقامة البرهان على ذلك وكلام الله باق ابدي قديم ازلي * واما ما ذهب اليه النظام من امتناع بقاء الاجسام كالاعراض المذكورة فهو جحد للضرورة وانكار للشرائع جملة فانه لا ينبغي من يتوجه عليه الامر والنهي * ثم ان اصله يقتضي ان من قارف كبيرة فحد فالمحدود غير القارف وهذا تلاعب بالدين للقطعي الضروري مخالف * اذا علم جميع هذا فبالله عليك أخبرني ايها السائل

من أولى بما نسبته الى الشيخ ابي الحسن الاشعري واصحابه من الباطل والحماقة والجهل والعمى والتخبط والتمويه والخلود في بحور الهوى كما لم يوافقوا مذهبك في كون القرآن الكريم الذي هو من جملة الصفات مخلوقاً في جسم يسمع منه حروف واصوات هي عين كلام الله كما زعمتم تعالى الله عن قولكم من اولى بما ذكرت أهم ائمتنا القائلون كلام الله سبحانه قديم بذاته كسائر صفاته ام ائمتك المعتزلة القائلون بان كلام الله تعالى مخلوق غير قائم بذاته ولا هو من صفاته ولا تكلم به بل هو فعل من جملة أفعاله تكلم به جسم مخلوق خلقت فيه حروف واصوات سمعها موسى عليه السلام من ذلك الجسم ولم يسمعها من الله عز وجل فليس له على اعتقادهم كلام بل جعلوا القرآن كلام الجسم المخلوق لاكلام خالق القائل سبحانه وتعالى [وكلم الله موسى تكليما] ومن هو الذي أنكر ما علم من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة كما زعمت بلا بصيرة * فائدة ذكر بعض المتأخرين انه حين كان يكتب مخالفة اهل البدع في زعمهم ان كلام الله تعالى حادث نام فرأى الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه قال فقال تشتهي ان ترى منزلي في الجنة بصبري على الحق وقولي القرآن غير مخلوق قال فالتفت فرأيت أبواباً عالية في قصور عالية واستيقظت عند قوله وقولي ان القرآن غير مخلوق * وقال امام الحرمين اجمع المسلمون على ان قوله تعالى لموسى عليه السلام [اخلع نعليك] كلام الله تعالى في دهرنا وموسى غير مخاطب به الان واذا لم يبعد متأخراً لم يبعد متقدماً ثم قال وأما تعلقهم بان فيه خبراً عما مضى فكيف يقول في الازل [انا ارسلنا نوحاً] وفيه أمر ونهي ولم يكن في القدم لامامور ولا منهي - فقد ذهب عبدالله بن مسعود من اصحابنا الى ان الكلام في الازل لايتصف بكونه امراً نهياً خبراً الا عند وجود المخاطبين واستجماعهم

شرائط المامورين * قال امام الحرمين والصحيح ما ارتضاه شيخنا يعني الشيخ ابالحسن الاشعري من ان الكلام في الازل لم يزل متصفاً بكونه امراً نهياً خبراً * والمعدوم على اصله مامور بالامر الازلي على تقدير الوجود والامر القديم في نفسه على صفة الاقتضاء ممن سيكون اذا كان انتهى * قال أئمتنا ومذهب جماهير المعتزلة انه ليس لله في وقتنا كلام وان ما وجد من كلام الله تعالى عدم وانقضى قلت وهذا ايضاً على قولهم انه متكلم والا فهو على مقتضي اصلهم غير متكلم بل فعل فعلا في جسم كما مضى و في تنزيه كلام الله عن الحروف والاصوات وسائر سمات المخلوقات واثبات صفات الكمال السبع المشهورات والتوحيد لله واثبات القدر في جميع الكائنات والتنزيه له ونفي التجسيم وسائر الاحداث وسمات المخلوقات ودلالة الصنعة وما تضمنته من الاتقان والحسن والاحسان على توحيد الصانع الآله المنان واتصافه بصفات الكمال المنزهة عن شوائب النقصان وفي تقريع المخالفين النافين لصفات الكمال الاكبر قلت هذه الابيات الخمسة عشر *

تبارك من لا صنعه وصنيعه له شهدا في خلق حسن واحسان
وكل جميل او جمال بجوده وصنعته عن حكمة ذات اتقان
بتوحيده كم أعلنا بشهادة وكم عبد قاضي العقل جاء ببرهان
على كون باري الكون بالقطع قادراً عليماً بلا عجز وجهل ونسيان
له قدرة ماشاءها كان عنده كن وعلم به قاضي الحوادث كالداني
مريد ولا موت قضا كل كائن وحي ولا موت وغير هو الفاني
سميع بصير لا بخارجه عن صماخ واحداق تعالى وأجفان
يرى النملة السوداء ويسمع دبها على الصخرة الصماء وظلما الدجا الحاني
تقدس عن حرف وصوت كلامه وعن كل احداث علي عالي الشان
صفات كمال تلك سبع وعدها نفاها وجلت عن تبدله ونقصان

ونعداد وصف ليس فيه تعـدد لمـوصوفه بل واحد ماله ثاني
فبالله أنصف ايها الخصم واحـد اذا قلت زيد عالـم ام هو اثنـان
وهل عالم من غيـر علـم وقادر بلا قدرة في الوضـع او عقل يقظان
وهل خالق الاصوات في غيره بها تكلـم ام ذوالنطق جئدني بتبيـان
ومن ملحد في دينـه وموحـد بنفي واثبات الصفـات لرحمـان

فان قلت ايها السائل او قالت الحشوية كيف سمع موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله عز وجل من غير حرف ولا صوت وسماع كلام بغير هما غير معقول * قلنا ان كان ذلك غير معقول كما زعمتم فكيف كان وجود شيء من غير جسم ولا لون معقولا عندكم وعندهم و رويته من غيرهما عندهم وكونه في غير جهة عندكم * واما عندنا فكل معقول لكن الكيفية مجهولة اذ العقول قاصرة عن الوصول الى حقيقة صفات من ليس كمثله شيء * فالعبارة عن ذلك متعذرة وتعريف المفكر لذلك به لايمكن الا بسماعه إياه وهو ممتنع في بعض صفات الخلق ما لا يمكن العبارة عنه فكيف بصفات الخالق سبحانه * وها نحن نفتتح الكلام معكم في نفيكم الرؤية ومعهم في إثباتهم الجهة فنقول لكم لم كذبتم بالرؤية ونفيتموها ولهم لم قلتم بالجهة واثبتموها وقد قام البرهان على جواز الرؤية في الحال ووقوعها في المآل واستحالة الجهة والمكان في حق الكبير المتعال واما جواز الرؤية ووقوعها فها أنا استدل عليه بالادلة العقليه والنقليه *

الدليل الاول ان رويه جميع الموجودات انما تتعلق بالوجود المشترك بين الكل لا الاحوال المختلفة المختصه المميزة لكل ذات عن غيرها فالمصحح لروية كل ذات وجودها فكل موجود يجـوز ان يرى والله تعالى موجود فجاز ان يرى * الدليل الثاني ان الروية نوع كشف وعلم فلا يتوقف على جهة كما لايتوقف العلم على جهة فكما كان تعالى معلوماً وليس في جهه يجوز ان يكون مرئيا كذلك من غير جهة * الدليل الثالث كما لم يمتنع وجوده تعالى

من غير جسم ولا لون ولا جهة لا يمتنـع رؤيته كذلك * الـدليـل الرابع انه تعالى يرى الخلق من غير مقابلة ولا جهة فجاز ان يرى كذلك ومن قال ان الله تعالى لا يرى الخلق فقد اعظم الفرية والجرأة على الله في هذا المقال ونسب النقص العظيم الى الباري الموصوف بصفات الكمال السميع البصير العليم الخبيـــر الذي قال وقوله الحق المبين [الـذي يراك حين تقـوم وتقلبك في الساجدين] والذي قال سبحانه وتعالى [انني معكما اسمع وارى] وقال جل جلاله ايضــاً في محكم التنــزيل حاكياً قول رسوله ابراهيم الخليـل على نبينا وعليه افضل الصلـوة والتسليم لائمـا لابيه وموبّخاله في عبادته ما لا يسمع ولا يرى [يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئـاً] ولو كان الحق سبحانه لايرى كمـا زعم ائمة المعتزلة الضالة المضلة لا صبح برهان ابراهيم زائفاً وحجته داحضة باطلة ولعاد اليه ما عاب به الغيـر وبكتـه في توبيخه ولومه - وليس كـذلك بل شهـد له بعكس ذلك قول اصدق القائلين [وتلك حجتنـا أتيناها ابراهيم على قومه] وغيـر ذلك من الايات التي لاتحصر الشهـادات لله تعالى بالسمع والبصر قلت والعجب كل العجب ممن ينفي صفات الكمـال عن الـرب تعالى وهو يثبتها للمخلوق حقيراً تراه عنده أكمل من الخالق العلي الكبير فوالله لو لم يرد ما ورد في القرآن الكـريم من كثرة تمدحه عزوجل بالسميع والبصيـر لكان العقـل يقضي باثبـات ذلك ولا يتوقف من جهة السمـع على دليل فكيف وقد اجتمعت قواطع العقل والنقل على اثباته مع غيره من كل وصف جميـل * فان اعترض جاهل او ذوضلال وباطل وقال كيف يتمدح الحق سبحانه كما ذكرت بما يشاركه فيه الخلق قلت ليس تمدحه جل وعلا بما يشاركه فيه الورى بل بسمعه لجميع المسموعات وابصاره لجميع الكائنات في جميع الارض والسموات يسمـع دبيب النمل على ظهر الصخرات وغير

ذلك من خفي الاصوات ويرى النملة السوداء في دياجي الظلمات - فان قال كيف يتصور سمع وبصر من غير أذن وحدقة من ضل وزاغ قلنا كما تصور علم بجميع الاشياء من غير قلب ودماغ فان منع المجسمة ايضاً من ذلك * وقالوا ليس بمعقول ولا ظاهر قلنا فقولوا ان الباري تعالى مركب ومولف من جواهر وسيأتي الكلام بعد في ابطال اتصال الاشعة كما زعم المعتزلي ومن وافقه من سائر الفرق والشيعة * الدليل الخامس ان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية ولو استحالت لزم ان يكون من الجهال اوطالباً للمحال وكلا هما باطل لا محالة وقادح في منصب الرسالة * الدليل السادس انه تعالى علق الرؤية على ممكن وهو استقرار الجبل فيكون المعلق ممكناً * الدليل السابع قوله عزوجل [وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة] فناضرة الاولى بالضاد من النضارة الذي هي الحسن اي حسنة مسروة بالنعيم ومنه قوله تعالى [ولقاهم نضرة وسرورا] وقوله سبحانه [تعرف في وجوههم نضرة النعيم] وقوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها والناظرة الثانية بالظاء من النظر الذي هوالرؤية المدعاة وذلك ظاهر واضح * وبيان ايضاحه بوجوه الاول انه فسره بذلك من الصحابة ابن عباس ومن التابعين وعلماء السلف الصالحين رضي الله عنهم اجمعين الحسن البصري وعكرمة و مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم ومن الفقهاء الاجلاء مالك والاوزاعي وغيرهما من الائمة الاعلام ممن لا ضرورة الى تعدادهم وتطويل الكلام وقد جاء ذلك مرفوعا الى سيد الانام عليه افضل الصلوة والسلام وهو ما رويناه في كتاب الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة - واكرمهم على الله سبحانه من ينظر الى وجهه غدوة وعشياً ثم قرأ رسول الله صلى

الله عليه وسلم [وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة] ورواه ايضاً الامام ابو عبدالله في المستدرك على الصحيحين مرفوعاً وروى الامام البيهقي تفسيرها بالنظر الى وجه الله الكريم عن الحسن البصري وغيره من المذكورين بسنده الصحيح - قال الحسن حسنة الى ربها ناظرة حسنها بالنظر اليه وحق لها ان تنضر وهي تنظر الى ربها عزوجل - وروى ايضاً ما ذكرناه الامام ابوبكر محمد بن هبة الله الطبري عن مجاهد وعكرمة قال عكرمة انظر ماذا اعطى الله عبده من النور في عينيه ان لو جمع جميع من خلق الانس والجن والدواب والطير فجعل نور اعينهم في عيني عبد من عباده ثم كشف عن الشمس ستراً واحداً ما قدر على ان ينظر الى الشمس والشمس جزء من سبعين جزءاً من نور العرش - والعرش او قال ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فانظر ماذا اعطا الله عبده من النور في عينيه حتى استطاع النظر او قال اطاق النظر او كما قال الى وجه الله الكريم اعيانا * الوجه الثاني ان النظر ورد في القرآن الكريم وفي اللغة لمعان سياتي ذكرها بعد ان شاء الله تعالى - وانه اذا اريد به الرؤية استعمل بالى كقوله تعالى [فانظر الى طعامك] وقول موسى عليه السلام [انظر اليك] * الوجه الثالث انه اذا قرنت النضارة بالوجه فالمراد بها ظاهرها وحقيقتها وهي الخارجة المعروفة لانها هي التي توصف بالنضارة كما قال السيدان الجليلان الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة رضى الله عنهما ما احد من اهل العلم او الحديث الا وفي وجهه نضرة لقوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها الحديث - فهذه قرينة ترجح ان المراد بالوجوه الجوارح المعروفة لان النضرة من أوصافها والوجه لا يرى وانما يرى ما خلق فيه من العين وهو كقوله تعالى [قد نرى تقلب وجهك في السماء] اي تقلب عينيك نحو السماء قال بعض

ائمة اللغــة وهو بفطويه النظر اذا قرن بالوجوه فمعناه نظر العين التي فى الوجه * قال ائمتنــا فقد اجتمع في الاية الكريمة قرينتــان دالتان على ان المراد من النظر بهــا الرؤية تعـديته بحرف الى واقترانه بذكر الوجوه واحدى القرينتين كافية فكيف اذا اجتمعتا وقال الامام ابو نصر بن الامام ابي القسم القسيـري ولايبعد قلب العادة يعني يوم القيامة حتى يخلق النظر والروية في كل الوجه كقوله تعالى [فمن يمشي مكبــا على وجهه] وقوله صلى الله عليه وسلم وقـد سئل كيف يمشون على وجوههم [ان الذي امساهم على اقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم قلت وفي قلب العادة بالمساهدة قال السيخ العــارف بالله الجليل ابو السموس المسهور بابى العيث بن جميل رضى الله عنه ونفعنا ببركته - اهل الحضرة على اربعة اقسام منهم من أشهد فصار كله عينا ومنهم من خوطب فصار كله اذناً ومنهم مصطلم تحت انـوار التجلي والـرابع لسان حال الشفاعة وهو أكمل وفي عدم وقوع الرؤية في هذه الدار لغير النبي المختار عليه افضل الصلوة والسلام والفرق بينها وبين المساهدة المخصوص بها أولوالجـذب والمجاهدة قال السيخ الكبيـر الامام العارف بالله قطب الاوليــاء الكـرام استــاذ الاكابر محي الدين عبد القــادر قدس الله روحه ونور ضريحه ورد النظــر لايطلع سحر كانون هذا الكون انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا - خلعة النظر فى الدنيا مدخرة في خزائن الغيب لصاحب قاب قوسين هذا السرف لا يناله من الخلائق سوى سيد ولد آدم - النظر عبارة عن الرؤية بمصائر الاسرار بخرج توافيع مقاماتها من ديوان [يختص برحمته من يســاء] * الدليل الثامن قوله تعالى [كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون] والكلام فى الكفــار فدل على انه لا يحجب عنه سبحانه اهل الايمان وقد استدل بهذه الاية جماعة من التابعين ومن ائمة المسلمين منهم الحسن البصري ومحمد بن كعب

القرظي وابراهيم بن ميمون والائمة الاجلة الامام مالك والام الشافعي والامام احمد وسفيان بن عينة وابن المبارك وابن الماجشون ومحمد بن عبد الحكم وغيرهم روي ذلك عنهم جماعة من العلماء الاعلام منهم الامام ابوبكر بن السمعاني والامام المزني والربيع واشهب وغيرهم * قال الحسن البصري لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لايرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا * وقال السيخ الفريد ذوالعزم الشديد والنهج السديد والمجد الحميد العارف بالله ابو يزيد رضي الله عنه ان لله عبادا لو حجبهم في الجنة او قال لو ان الله حجب اهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار * وقال الامام ابو اسحق الزجاج في هذه الاية دليل على ان الله تعالى يرى في القيمة ولو لا ذلك لما كان في هذه الاية فائدة * الدليل التاسع قوله عزوجل [للذين احسنوا الحسنى وزيادة] جاء في التفسير ان الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وروى ذلك جماعة من ائمة الحديث الحفاظ منهم الترمذي والدار قطني وابوبكر بن ابي شيبة وابونعيم وعبد الرزاق والبيهقي بعضهم رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم وقفه وممن رفعه الترمذي ورواه صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم وابو نعيم رواه عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الامام الثعلبي في تفسيره انه قول ابي بكر الصديق وحذيفة وابي موسى الاشعري وصهيب وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن سابط والحسن وعكرمة وابي الحورا والضحاك والسدي وعطاء ومقاتل ورواه ايضاً غيره من الائمة عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن المسيب وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن ابي ليلى وقتادة وجرير بن عبد الحميد وغيرهم * الدليل العاشر قوله تعالى [لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد] روى الائمة الشافعي والدار قطني وابو نعيم والبيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم ان المزيد هو النظر الى وجه الله تعالى في يوم الجمعة في الجنة ورواه الامام ابو بكر محمد بن هبة الله الطبري عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور اهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة الحديث قال فيه ثم يقول الله تعالى اكشفوا حجاباً فيكشف حجاباً ثم حجاباً حتى يتجلى لهم تبارك وتعالى فكانهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قوله تعالى [ولدينا مزيد] قال ائمتنا المراد بكشف الحجب رفع الموانع التي خلقها الله عز وجل مانعة لهم من رؤيته تبارك وتعالى وايجاد قوة يخلقها فيهم للبقاء الابدي يرونه به فحينئذ يرونه *

الدليل الحادي عشر قوله سبحانه [من كان يرجوا لقاء الله] وقوله تعالى [تحيتهم فيها سلام] وقوله عز وجل [فمن كان يرجوا لقاء ربه] وأمثال ذلك حمله جماعة من العلماء على رؤيته تعالى قال الامام البيهقي اللقاء اذا أطلق على الحي السليم لم يكن الا روية العين ثم روى الحديث اخرجه مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان فقال ان تؤمن بالله وملئكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الاخر الحديث - ثم قال واللقاء المذكور هو لقاء الله عزوجل فقد أفرد البعث بالذكر وقال صلى الله عليه وسلم في دعاء التهجد ولقاؤك حق وقال صلى الله عليه وسلم في خطبته في الحج فستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم وروى البخاري عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه * الدليل الثاني عشر قوله صلى الله عليه وسلم وقد نظر الى القمر ليلة البدر انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته رواه البخارى ومسلم وابو داؤد والترمذي وغير ذلك من الاحاديث الصحيحة الشهيرة الصريحة الكثيرة

التي رواها خلائق من الصحابة وسيأتي ذكرهم و تعينهم بعد ان شاء الله تعالى - قال امام الحرمين في كتابه الشامل روى احاديث الرؤية عن النبي صلى الله عليه وسلم قريب من ثلثين رجلا من الصحابة رضى الله عنهم والطرق اليهم صحيحة وقال الامام الحافظ يحي بن معين رضى الله عنه عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح وسيأتي كلام محي الدين النوى رضى الله عنه في ذلك ايضاً قلت ومعني قوله صلى الله عليه وسلم كماترون هذا القمر وفى الحديث الاخر الشمس ليس دونها سحاب اي ترونه رؤية جلية واضحة كوضوح رؤية القمر ليلة كماله ورؤية الشمس خالية عن السحاب الذي ستر نورها ويحجب ظهور بهجة جمالها - شبه الرؤية بالرؤية لا المرئى بالمرئي وروي في الصحيح ايضاً هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وروي ايضاً تضامون بالتشديد والتخفيف فمن شدد تضامون فتح التاء ومن خفف ضمها ومعني المشدد التضام والتلطف فى التوصل الى الرؤية ومعنى المخفف لحوق الضيم وهو المشقة والتعب ومن جملة الاحاديث المذكورة قوله صلى الله عليه وسلم واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق وروي شوقاً الى لقائك الحديث المشهور الذي حكم الحاكم الحافظ ابو عبد الله بصحة اسناده واوله اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ما علمت الحيوة خيراً لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي اللهم انى اسالك خشيتك فى الغيب والشهادة واسألك كلمة الحق فى الغضب والرضاء واسالك القصد فى الفقر والغناء واسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسألك الرضاء بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت واسالك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك فى غير ضراء مضرة وفي رواية ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان اللهم اجعلنا هداة مهتدين * الدليل

الثالث عشر اجماع الصحابة وغيرهم من السلف الصالحين قبل ظهور أهل الاهواء المبتدعين على ان الله تعالى يراه فى الاخرة جميع المؤمنين - وقد قدمنا انه روي احاديث الرؤية من الصحابة قريب من ثلثين قال الامام البيهقى بعد ان روى اثبات الرؤية عن جماعة منهم ولو كانوا مختلفين لنقل اختلافهم إلينا كما انهم لما اختلفوا فى الحلال والحرام والشرايع والاحكام نقل اختلافهم فى ذلك الينا وكما انهم لما اختلفوا في رؤية الله تعالى بالابصار في الدنيا نقل الينا فلما نقلت رؤية الابصار فى الاخرة عنهم ولم ينقل عنهم فيه اختلاف كما نقل عنهم فيه اختلاف فى الدنيا علمنا انهم كانوا على القول بالرؤية بالابصار فى الاخرة متفقين وقال ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم سألت ابى وابا زرعة عن مذاهب اهل السنة فى اصول الدين وما ادركا عليه العلماء في جميع الامصار فقالا ادركنا العلماء في جميع الامصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم انه تبارك وتعالى يرى فى الاخرة يراه أهل الجنة بابصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء كما شاء * وقال الامام محمد بن جرير الصواب من القول لدينا في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة انه هو ديننا الذي ندين الله به وادركنا عليه اهل السنه والجماعة يرونه على ما صحت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * الدليل الرابع عشر ان الراجح عند اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليله الاسرأ بعيني راسه نقل ذلك المحدثون والمفسرون عن علماء السلف من الصحابة فمن بعدهم وممن نقله من المحدثين الامام الجليل محيي الدين النواوي رضى الله عنه ومن المفسرين الامام الجليل ابو الحسن الواحدي رضى الله عنه قال في تفسير قوله عز وجل [ما كذب الفواد ما رأى] قال المفسرون هذا إخبار عن رؤيه النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج وقرأة ابن عامر [ما كذب الفواد] بتشديد الدال تصد

لقول الاكثرين ان الرؤية كانت بالعين قال الواحدي على هذه القرأة اي [ما كذب الفواد] ما راه البصر ومن قال الرؤية للفواد اذ قال المبرد اي راي شيئا فقبله انتهى * والقول الاول اعنى رؤية العين قال الامام محي الدين روي عن ابن عباس وانس وابي ذر وكعب والحسن وعكرمة والربيع قال و حكى مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل رضى الله عنهم اجمعين * قلت وقد روي عن بعض المذكورين من الصحابة روايات أخرى وقد نقلها ايضاً محي الدين المذكور ولا حاجة الى التطويل بذكرها قال صاحب التحرير في شرح مسلم الامام الكبير ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن محمد بن الفضل التميمي الاصبهاني الشافعي رضى الله عنه والاصل في هذا الباب حديث ابن عباس رضى الله عنهما خير الامة بعد خلفاء الاربعة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر رضى الله عنهما في هذه المسألة وسأله وراسله هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فاخبره انه رآه ولا يقدح هذا في حديث عائشة رضى الله عنها لانها لم تسمع ما ذكرته من النبي صلى الله عليه وسلم وانما قالت ذلك متاولة لقوله تعالى [وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب] الاية قلت وسياتي الجواب عنها وعن عدرها قال والحجج في هذه المسألة كثيرة ولكنا لانتمسك الا بالقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم انتهى * قلت والى رويته صلى الله عليه وسلم المذكورة ومرتبته العالية الغالية الحميدة اشرت حيث اقول في قصيدة *

فنال النبي قد رام موسى ولم ينل   لدى الطور في اعلى السماء غير رائم

فقال لسان الحال فى ذاك منشداً   يعبر عن موسى بنظم ملائم

قضاها لغيري وابتلاني بحبها   بسابق علم لست فيه بعالم

انا طالب والغير مطلوب من انا بها مغـــرم اهريق في حبهـــا دمي
معني بهـــا والغيـــر فيهـــا منعم وكم بين مشغـــوف معنـــا وناعم
فلا نلت ما قـــدرمت منهـــا ولا أنا من العيب او يلوى هواها بسالم

الدليل الخامس عشر ميل قلوب الانبياء والاولياء الى رؤيته تعالى وسوالهم ذلك وزعمهم فيه قال الولي الكبيـــر المعظم السيـــد الجليـــل المكرم الشيخ العارف بالله ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه *

تركت الخلق طراً في رضاكا وأيتمت العيـــال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إرباً لما حن الفـــؤاد إلى سواكا

وقال الولي الكبيـــر العـــارف بالله الشهير المسقي بكاس محبة البـــاري ابو علي الروذباري رضي الله عنه *

وحقك لانظرت الى سواكا بعيـــن مـــودة حتى اراكا

فلما حضـــرته الوفاة فتح عينيه وقال هـــذه ابواب السمـــاء قد فتحت وهذه الجنان قد زخرفت وقال الولي المشهور الكبير القـــدر المشكور ذو المعـــارف واللطائف والمقام العلي الشيخ العارف بالله ابوبكر الشبلي رضى الله عنه *

أروح وقد ختمت على فـــؤادي بحبك أن يحـــل به ســـواكا
ولو اني استطعت غضضت طرفي فلـــم أنظـــر به حتـــى اراكا

وقال بعض السادات منهم *

يا حبيب القلـــوب مالي سواكا فارحم اليـــوم زائـــراً قـــد اتاكا
عيل صبري وزاد فيك اشتياقي واني القلب ان يحب ســـواكا
انت سؤلي وبغيتي ومـــرادي ليت شعـــري متى يكون لقاكا
ليس قصدي من الجنان نعيماً غيـــر اني اريـــدهـــا لاراكا

وكوشف بعضهم بحورية خرجت من المحراب وانشدت *

نشرت لهم أعلام حب حبيبهم فتبـــايعوا وتفـــاهبـــوا الاعلاما

يا حسنهم في ظل عرش مليكهم كل يقود من الحبيب زماما
حتى اذا صاروا بحضرة قدسه كشف المليك حجابه إكراما
فهم الملوك العارفون بربهم والدائبون ببابه خداما

قلت وهذا المختصر لا يحتمل هذا البحر العميق بل هذا الفن بكتب الاصول لايليق وانما لوّحت منه بهذه القطرة على وجه التنبيه والتوفيق للفتى العفان الى ما كنا فيه من البيان قلت وعلى الجملة فقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع سلف الامة من اهل الحق والاتباع قبل ظهور الابتداع على جواز رؤية الله تعالى في الدنيا و وقوعها للمؤمنين في الاخرة من غير كيفية ولامشابهة ولا جهة ولامقابلة واما قوله صلى الله عليه وسلم وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن فقال العلماء كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب العرب بما يفهمونه ويقرب الكلام الى أفهامهم ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها فعبر صلى الله عليه وسلم عن زوال المانع ورفعه عن الابصار بازالة الرداء قالوا وقوله في جنة عدن اي والناظرون في جنة عدن فهي ظرف للناظر - وممن نقل ذلك وقال به الشيخ الامام محيي الدين وموضح الاحكام ومجمع المحاسن ومعتقد الفتوى ابو زكريا النواوي رضي الله عنه قال ومذهب أهل السنة باجمعهم ان رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا ايضاً على وقوعها في الاخرة وان المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين وزعمت طوائف من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجية ان الله تعالى لايراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا - قال وهذا الذي قالوه خطاء صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى في الاخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قلت وقد تقدم انهم قريب من ثلاثين صحابياً وهم ابوبكر وعلي وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وانس وحذيفة وعمار وزيد بن ثابت وابو هريرة وابو سعيد الخدري وابو الدرداء وابو موسى وابو امامة وصهيب وعبادة بن الصامت وجابر بن عبدالله وجرير بن عبد الله وابي بن كعب وكعب بن عجرة وعبد الرحمن بن سمرة وفضالة بن عبيد والنعمان بن بشير ونعيم بن همار وعدي بن حاتم ولقيط بن عامر وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين وقد قدمنا قول امام الحرمين رضي الله عنه في كتابه الشامل وقد روى حديث الرؤيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قريب من ثلثين رجلا من الصحابة رضي الله عنهم والطرق اليهم صحيحة - قال الشيخ محي الدين النووي رضي الله عنه وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المعتزله لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام قال واما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا انها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على انها لايقع في الدنيا قلت لعله يعني لغيره صلى الله عليه وسلم بعد فقدمت عنه ان الراجح عند اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم راى ربه تعالى ليلة الاسراء بعيني راسه قال وحكى الامام ابو القسم القشيري في رسالته المعروفة عن الامام ابي بكر بن فورك انه حكي فيها قولين للامام ابي الحسن الاشعري احدهما وقوعها والثاني لايقع قال ومذهب اهل السنة ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه لايشترط فيها اتصال الاشعة ولامقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لاعلى سبيل الاشتراط قال وقد قرر ائمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجليلة ولا يلزم من رؤية الله تعالى اثبات جهة سبحانه وتعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا في جهة وذكر بعد هذا تاويل ظواهر آيات واحاديث موهمة اثبات الجهة ثم قال

وهو تعالى منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وسائر صفات المخلوق انتهى كلامه بحروفه * قلت ومن تقرير ائمتنا المذكور قول الامام المحقق والناقد المدقق فحل المناظرين واستاذ المتكلمين ابي المعالي امام الحرمين قال اتفق اهل الحق ان كل موجود يجوز ان يرى وذهب المحققون منهم الى ان كل ادراك يجوز تعلقه بقبيل من الموجودات في مجرى العادات فسائغ تعلقه في قبيله بجميع الموجودات - والمصحح لكون الشيء بحيث يجوز ان يدرك الوجود ويطرد ذلك في جميع الادراكات قال والذي صار اليه اهل الحق ومعظم المعتزله ان المدرك شاهد مدرك بادراك كما ان العالم شاهد عالم بعلم وذهب ابن الجبائي وشيعته الى نفي الادراك شاهداً وغائباً والمصير الى ان المدرك هو الحي الذي لا آفة به وكلما دل على اثبات الاغراض فهو دال على اثبات الادراكات فلنا اذا استدللنا على ثبوت العلم بتجدد حكمه وهو كون العالم عالما ثم سيّرنا الادله وسمناها على حسب ما سبق سبيل التوصل الى اثبات المعاني فجرنا سياق الدليل الى اثبات العلم وكما يتجدد كون العالم عالماً شاهداً ثم لا يلزم وكذلك يتجدد كون المدرك مدركا ومن حمل كون المدرك مدركا على كونه حياً مع انتفاء الافة عنه لم يتجه له انفصال عن من سلك هذا المسلك بعينه في العلوم والقدر والارادات وان حمل الادراك على حصول بنيه مخصوصة لم يبعد حمل العلم ايضاً على بنيه قال والجملة المعيدة عن التعصيل ان نفي الادراكات بطرق القوادح الى سبيل اثبات الاعراض فاذا ثبت ما اشرنا اليه فاعلموا ان الادراك لا يفتقر الى بنيه مخصوصة ومن اثبت الادراك من المعتزلة مجمعون على افتقار الادراك الى بنية مخصوصة وهذا باطل من اوجه احدها ان الادراك للواحد لا يقوم الا بالجوهر الفرد ثم لا اثر للجوهر المحيط بمحل الادراك فان كل جوهر مختص بحيزه

موصوف بأعراضه فلا يؤثر جوهر في جوهر وانما يثبت احكام الجواهر من اعراضها المختصة بها قياماً وكذلك لايؤثر عرض قائم بجوهر في جوهر آخر فاذا ثبت بما ذكرناه ان الجواهر التي يقدر اجتماعها مع محل الادراك غير مؤثر فيه موجودهــا في حكمه كعــدمها فيفضي مجموع ذلك الى القطــع بنفي اشتــــراط بنية وتركيب على صفــة مخصـــــوصة وذلك قاطع في مقصــودنا واذا ثبت الادراك وتقــرر عدم افتقــاره الى بنية وجواز قيــامه بالجــوهر الفــرد فنبني على ذلك اصلا في ايضـــاحه بطلان عصــم المعتـــزلة وذلك انهم قالوا لايــدرك المــدرك بادراك الــرؤية حتى ينبعث شعـــاع من ناظر الرائي ويتصــل بالمــرئي فاذا استبد السعاع وتحقق انبعاثه من الحــاسه - واستفرت قاعدته عليها ولاقى الطرف الاخر المرئي ولم يثبت عنه فترى عند ذلك واذا كان بين المرئي والرائي حجاب كثيف يمنع السعاع من النفوذ لم ير و اذا بعدت المسافة وصارت بحيث تثبت الاشعة فيها ويتبدد فلايرى وان أفرط قربه من الناظر وامتنع من افراط القرب انبعاث السعــاع لم يرَ ايضــاً ولذلك لايرى داخل الاجفان عندهم وحملوا رؤية الرائي نفسه عنــد النظر الى جسم صقيل على ذلك فقالوا الاشعة تنبعث فاذا لاقت صقيــلا لم يتثبت به فينعكس السعاع الى الناظر ويتصل به فيدرك نفسه واذا انفرج السعاع من الاحوال ونحوه لم يدرك المدرك على ما هو به لعدم استبداد السعــاع في هذيان طويل لايحتمل هذا المعتقد شرحه قلت يعني ان كتابه سلك فيه مسلك الاقتصاد بين طرفي التفريط والافراط قال وكلما هذوا به تبتني على انبعاث الاشعه وهي احسام لطيفه منصبه من حاسه البصر ولايجوز انبعاثها من غير بنيه العين فاذا أبطلنا بما قدمناه افتقار الادراك وكون المدرك مدركا الى بنيه فذلك يتضمن فساد مارتّبــوه على البنية لاستحالة ثم السعــاع أجسام

عندهم في داخل العين تنبعث منها عند فتح الاجفان فيقال لهم ما الذي يوجب انبعاثها وهلا استقرت في اخبارها وما الموجب لانقباضها وانبساطها فان زعموا ان في الحاشية اعتمادات توجب دفع الاشعة فذلك بناء على فاسد أصلهم في التولد وهم غير مساعدون عليه قلت وقد تقدم بيان بطلان قولهم في التولد في جواب الشبهة الثانية قال وان قالوا انما ينبعث الشعاع بحركات الحدقة والاجفان فذلك محال فان من اصطلم أجفانه يرى اذا سكن حدقته فاذا ثبت انه ليس لانبعاث الاشعة موجب وان عد من خلق الله فيلزمهم ان يقدر جواز عدم خلقه حتى يجوز ان يفتح الحي المدرك عينه ويرتفع الحواجز ولا يريد الرب سبحانه انبعاث الاشعة فلا يرى اذ ذاك شيئاً وهو من أمحل المحال عندهم قال ومما يصعب موقعه عليهم ان نقول لو كان الجوهر يرى لاتصال الشعاع به فما بال كونه وهو عرض وقدري ولا يجوز الاتصال بالاعراض فان قالوا انما يرى ما يتصل به الشعاع او ما يقوم بما يتصل به الشعاع فنقول مفاد ذلك يلزمكم جواز الرؤية للطعوم والروائح لانها تقوم بما يتصل الشعاع به ونقول لم ايضاً عندكم ان الجوهر الفرد لومثل في سمت الشعاع لماريي وقد اتصل به الشعاع على استبداد به ولو قدرنا انضمام جوهر اليه لما خصه من الشعاع الا ما اتصل به اذا قدر فرداً وكل ذلك دال على بطلان الاشعة واتصالها * قال وايجاز الجواب عن جميع ما يتمسكون به ان نقول لم ادعيتم حمل ثبوت الرؤية تارة وانتفائها اخرى على ظنونكم في انبعاث الاشعة واتصالها ولم تردون قول من يقول كلما ينفونه ويثبتونه يرجع الى استمرار العادات على قضية ارادها الله علينا وسبيلها كسبيل استعقاب الاكل والشرب الشبع والري وان لم يكن موجبين لهما ولو انحرفت العادات لجاز رؤية البعيد المفرط والقريب المتداني وما وراء الحجب واذا طولبوا بدلك لم يرجعوا إلا الى

استبعاد محض لامحصول له * والوجه معارضتهم بكل ما يوافقون على انه
من موجب العادات المستمرة اذا علم هذا فكلما يجوز ان يدرك فاذا لم يدركه
المدرك فانما لم يدركه لقيام مانع مضاد لادراك ما يجوز ادراكه وانكرت
المعتزلة الموانع التي اثبتناها مضادة للادراك وزعموا ان الموانع منها
القرب والبعد المفرطان وعدم انبعاث الشعاع على شكل الاستبداد وعدم
اتصاله بالمرئي والحجب الكثيفة غير السفافة من الموانع على اصولهم
وحملوا العمى على انتقاص بنية الحاسة ولو جاز حمل العمى على
انتقاص البنية لجاز حمل السهو والذهول والالام ونحوها على انتقاص
البنية قال والادراكات خمسة احدها البصر المتعلق بقبيل المرئيات والثاني
السمع المتعلق بالاصوات والثالث الادراك المتعلق بالروائح والرابع الادراك
المتعلق بالطعوم والخامس الادراك المتعلق بالحرارة والبرودة واللين
والخشونة والحاسة في اصطلاح المتكلمين المحققين هي الجارحة التي
يقوم ببعضها الادراك وقد نعبر بالسم والذوق واللمس عن الادراكات تجوزاً وهذه
العبارات مثبتة عند المحصلين اتصالات بين الحواس والاجسام تدرك
او تدرك أعراض لها وليست الاتصالات ادراكات والشرائط فيما وان استمرت
العادات والدليل عليه انك تقول شممت الشيء فلم ادرك ريحه وذقته
فلم اجد طعمه ولمسته فلم ادرك حرارته وذلك تحقيق انه ليس المراد بما
في الاطلاق نفس الادراكات قال وعدّ ائمتنا من الادراكات وجدان الحي
من نفسه الالام واللذات وسائر الصفات المشروطة بالحياة ولاسبيل الى القول
بان وجدان هذه الصفات هو العلم فان الانسان قد يضطر الى العلم بتألم غيره
ويجد من نفسه الالم المختص به ويفرق بديهة العقل بين وجدانه من
نفسه وبين علمه بتألم غيره انتهى * وقال الشيخ المحقق الامام المدقق
مبرز اللطائف والمعاني الحسان ابو الحكم بن برّجان بالموحدة واراء المهملة

المشددة المفتوحتين ثم الجيم رضى الله عنه اذا انجز الله تعالى عباده
وعده الكريم بالرؤية فانما يرونه بنوره وبلطيفة من لطفه جل جلاله من بهاء
سناء نور النزيه الرفيع العلي وبصر العبد من حيث هو لاينفذ اليه
جل جلاله ولا يدركه سبحانه الا ترى ان الشمس لايكاد البصر يدركها بل ينبهره
ويغشي نوره بالله أعلى واجل واعز وارفع لكنهم يرونه بماشاء هو جل جلاله
وكيف شاء والكيف هناك في حق الرائي لافي حق المرئي وانه الرؤية له
في الاجلة العلم به في العاجلة وقد وعد بذلك والصدق من صفاته والحق
من اسمائه فهو كائن لابد ولا محالة هو الحق وقوله الحق والموجب لرؤيته
وعده ووعده الحق والموصل اليه هو لا اله الا هو فهوالذي هداهم بالايمان
الى صراطه المستقيم ثم اكمل الهداية لهم بالمشى على سنن سنته حتى
هداهم في الاخرة بايمانهم لرؤيته وهو الاول في ذلك كله والاخر والظاهر
والباطن وانما لايلزم ان نعلم في ناحية ولامقابلا ولا محاذاة ولا محدوداً
ولا محاطاً به ولا متحيزاً ولا في مكان فكذلك رؤيته بل يرونه كما شاء وانما
معنى العلم والمعرفة به مشاهدة معلوم ومعرفة معروف هو موجود ليس كمثله
شيء ومسماه أسماء وموصوف له صفات مع مشاهدة اكبار واجلال واعظام
لانعلم كنه ذلك الجلال ولانقدر قدره ولولا لطف رأفته ورحمته وبره وامتنانه
وعطفه وكريم بره وجميل رضاه واحسانه وبره ومن عظيم عظمته وشموخ
كبريائه وعز علائه الى قلوب عباده ما استطاع احد ان يعلم شيئاً من علمه
وهو العلم القدير وجوده ليس كمثله وجود وشعاع بصر العبد لايعود له في
تلك الحضرة العزيزة لقوله تعالى [لا تدركه الابصار] انما هو وجود
ذي الوجود الاعلى يتلاشى وجود العبد فيعلو بذلك وجوداً وصفات واسماً
وبصراً وعقلا وعلماً وايماناً ولاتداعه العبارة ولايصل اليه الا ان علم فيرى ربه
حق جلاله وانما لم يدع لشعاع بصر او روح بصر مبصر أن يكون له هناك دفوق

بل استحال تصرفه في تلك الحضرة وثبت عجزه عن القيام بسبحات ذي الجلال والاكرام عدمت الناحية فيما هنالك والمقابلة والمحاذاة والتلقاء والاحاطة والحدود والمسافة والتحيز وغير ذلك مما لايجوز عليه سبحانه فيرى العبد ربه كذلك وفي ذلك [مالا عين رأت ولا أذن سمعت] ولا خطر على قلب بشر وانما التحيز والنواحي في وجود المخلوق لافي وجود الخالق جل وعلا فسبحان من لايقدر قدره ولايبلغ كنهه انتهى * قلت هذا ما اختصرته من كلام طويل نفيس للامام المذكور يشهد له بالمعرفة والفضيلة والنور * وقال الشيخ الامام استاذ الانام لسان الحقيقة ودليل الطريقة شهاب الدين السهروردي رضى الله عنه صح في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله سبحانه سبعة وتسعين حجاباً من نور لوكشف واحد منها احرقت سبحات وجهه من ادركته قلت هكذا ذكر هذا الحديث وسيأتي ذكره في شرح النور من اسماء الله الحسنى من رواية مسلم مع مخالفة لبعض هذه الالفاظ * قال الشيخ شهاب الدين المذكور روية العيان متعذرة في هذه الدار لانها دار الفناء وان الاخرة هي دار القرار فهذا الحديث مشترك الدلالة دليل لمن انكر الرؤية من حيث انه لوكشف احرق ودليل لمن اثبت الرؤية حيث جعل الكشف معدوقاً بالاحراق والافناء والاهلاك فيكون ذلك اذا وردت الرؤية على محل قابل للفناء والهلاك والعبد اذا تبوّء دار القرار والبس خلع البقاء والاستقرار وصار يعوم في بحر الانوار وقعد في مقعد الصدق ومخدع الوصال ينطلق من وثاق الفناء والزوال وتكشف حينئذ الحجب ويتجلى السبحات فيصادف محلا أمن الاحتراق والافات وقد صارت الصفات على غير طبيعة هذه الصفات وكلما أترعت له كؤوس التجلي استغاث بلم وهات فسبحانه وتعالى تراه القلوب في الدنيا بنظر الايمان وتراه الابصار في الاخرى بنظر العيان مع

في الخبر انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في رؤيته شبه النظر لاالمنظور بالمنظور فلقوم من العلماء نصيب من علم اليقين في الدنيا والاخرين أعلى منهم رتبة نصيب من عين اليقين كما قال قائلهم رأي قلبي ربي وكما قال حارثة رضى الله عنه اصبحت مؤمناً حقاً حيث كشف له رتبة في الايمان غير الرتبة التي علمها ولهذه المطالعة كان يقول معاذ رضى الله عنه تعالوا حتى نؤمن ساعة قال شارح الدين وهذا يدل على تفاوت الايمان وزيادته ونقصانه وهو مذهب بعض العلماء ومذهب البعض انه لايزيد ولاينقص وكل قائل فلقوله وجه مخرج قلت وسياتي ايضاح ذلك في خاتمة الكتاب ان شاء الله قال فقد يصير لجمع من العلماء المتقين الزاهدين عين اليقين بحيث يشاهد اشاهدتهم المحسوس كما قال قائلهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً بصدر الغيب عندهم كالعين ويزدادون في القدمة رتبة في الرؤية غير ما وصلوا اليها في الدنيا فأيها الاخ المنكر للرؤية لبس الامر على مالعة فهمك لانك ما فهمت الرؤية الا بواسطة الاشعة المنبعثة من الحدقة وشرط اعتدال المسافة والهواء الشفاف وهذا الفن الذى فهمته عالم الشهادة والملك والعين والحدقة يوم القيمة لا تبقيان على هذه الطبيعة المفهومة في الدنيا بخرق القدرة الى الحكمة والحكمة الى القدرة والقلب الى العين والعين الى القلب ويكون الهواء غير ما علمته والشعاع غير ما فهمته والالوان والاكوان على غير مالوفك ومفهومك و [تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار] فايها المحصور في عالم الملك والشهادة ابرز الى عالم الملكوت والغيب واصعد من مقعر الجهات والادوات والالات وقل امنت بان الله يراه المؤمنون والكفار عنه محجوبون كما اخبر به التنزيل وقام على صحته واضح البرهان والدليل وهذا الفن علم مستقل

بنفسه وله علماء موجودون في الدنيا فاطلبهم واصحبهم حتى يسملك
بركتهم وينفتح بصيرتك فتعلم كيف ينفجر القدرة الى الحكمة وكل هذا الذي
تسمعه تراه وتشاهده ولاتحتج الى قوله [لاتدركه الابصار] فليس ذلك بدليل
ينفي الرؤيه - واعلم ان العين في الاخرة بمنزلة القلب في الدنيا والقلب
يعلم ويرى ولكن لايدرك اذالادراك غير الرؤية فهو سبحانه مرئي القلب
معلومه غير مدرك له فهكذا في القيامة مرئي العين غير مدرك ادخل
امره عن الادراك اذ الادراك يوذن بالاشتراك وهو سبحانه وحده لاشريك
له ولا شبيه ولا نظير * ثم اعلم ان الرؤية لو كانت كما فهمت بواسطة الاشعة
والحدقة لاتحدت وما تفاوتت واختلفت و ليس الامر كذلك بل
الخلق متفاوتون في رتبة الرؤية على قدر تفاوتهم في رتب العبودية
ومنازل القرب فللانبياء عليهم السلام رتبه في الرؤيه وللاولياء رضي الله عنهم
رتبة ولعوام المؤمنين رتبة ولولا تجنب القياس في هذا الفن والتلقي من
التوفيق أمكن ان يقال يراه المؤمنون يوم القيامة كما يراه الاولياء في الدنيا
ولكن تكون الرؤية باشتراك البصر والبصيرة وتصيران بطبع واحد وصفة واحدة
وتراه الاولياء كما تراه الانبياء في الدنيا ويتفاوتون على هذا المقنع في رتبهم
في النبوة والرسالة وتراه خواص الانبياء كما راه نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج ويزداد صلى الله عليه وسلم رتبة في الرؤية فلا تنحصر في مضيق
فهمك وعلمك جل الملك القدوس عما تكنفه النفوس انتهى كلامه
المستمل على نفائس المعارف التي تشهد له بها كل عارف * وقال بعض
الائمة لايلزم من الرؤيه الاحاطة فانا نرى السماء ونعلم انها محصورة محدودة ولا
نحيط بها فكيف بمن ليس كمثله شيء ولا الجهة فانا نرى من جهة كثيرا مما
ليس في جهة كالليل والنهار نبصرهما ولسنا في جهة فكيف بمن ليس كمثله
شيء ولا ادراك جميع الصفات فانا نبصر بعض مخلوقاته تعالى ولا ندرك

منه صفته كالماء نبصره ونسربه ولا نعلم له لوناً كلما جعل في اناء كان لونه لونه وحقيقة لونه لاتدرك فكيف بمن ليس كمثله شيء وقال بعض الائمة ايضاً انما اضيف النظر الى الوجوه يعني في قوله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة] لان العين فيها كما قال تعالى [قد نرى تقلب وجهك في السماء] وكما يضاف الى جملة الانسان فتقول رأيت زيدا قلت وقد تقدم عن بعض ائمة اللغة وهو نفطويه انه قال النظر اذا قرن بالوجوه فمعناه نظر العين التي في الوجه وقال الامام البيهقي رضي الله عنه وليس في الجنة امر انتظار لان فيه تنغيصاً وتكديرا والاية خرجت مخرج البسارة واهل الجنة فيما لاعين رأت ولا أذن سمعت ومن العيش السليم والنعيم المقيم وهم ممكنون مما ارادوا واذا خطر ببالهم شيء اوتوا به مع خطوره ببالهم فلا يجوز مع ذلك حمله على الانتظار * وقال بعض الائمة الانتظار من الالام عند كثير من المحققين وهو عند آخرين تمن وكلا هما بعيد عن اهل الجنان فان من لايتخلف عنه ما يريده في وقته بوجه من الوجوه فهو على استيقان في استمرار مايريده في مظان اوقاته ولا يكون من هذا وصفه منتظراً مسئلة قال امام الحرمين رضي الله عنه ذهب اهل الحق الى ان الباري سبحانه يجوز ان يرى وخالف في ذلك كافة المعتزلة ثم اختلفوا فيما بينهم * فذهب معظمهم الى ان الباري تعالى لا يرى نفسه لاستحالة رؤيته بالحواس واستحالة الرؤية من غير حاسة وذهبت شرذمة منهم الى انه تعالى يرى نفسه * وانما يمتنع على المحدثين رؤيته من حيث توقف رؤيتهم على الحاسة واتصال الاشعة * وذهب الكعبي وصحبه الى انه سبحانه لا يرى ولا يرى نفسه ولا غيره وهو مذهب النجار * قال امام الحرمين والذي يعول عليه من اثبات جواز الرؤية من مدارك العقول ان نقول قد ادركنا شاهداً مختلفات وهي الجواهر والالوان وحقيقة الوجود

تستترك فيها المختلفات وانما يؤل اختلافها الى احوالها * والرؤية لا يتعلق بالاحوال * فان كل ما يرى ويتميز في حكم الادراك عن غيره فهو ذات على الحقيقة والاحوال ليست بذوات - فاذا انفرد بضرورة العقل ان الادراك لا يتعلق الا بالوجود * وحقيقة الوجود لا يختلف فاذا رأى موجود لزم تجويز رؤية كل موجود قال وهذا قاطع على اثبات ما ينفيه - فان قيل فما بال الاحوال علمت عند ادراك وجود - قلنا قولنا في الاحوال عند ادراك الوجود كقولكم في الوجود عند ادراك الاحوال * ثم لا يبعد في مجاري العقول وجوب اقتران معنيين فهو بمثابة اقتران الالم مع العلم به انتهى مختصراً *

قلت واذ فرغت هذه المباحث والقواعد فها أنا اذكر ادلة المعتزلة المتضمنة لشبههم واعتقادهم الباطل على ما اقتصر عليه بعض ائمتنا من نقل ما اهم من الدلائل وكانه ذكر التي هي لعصابة البدعة معتمدها - ثم اني ان شاءالله تعالى اتبعها باجوبة يدفعها دليلهم الاول على نفي الرؤية قوله عزوجل [لا تدركه الابصار] والجواب عنه ان الادراك هو الاحاطة المفيدة عن ادراك الغاية والرب تعالى يتقدس عن التحديد والنهاية ولا يلزم من نفي الرؤية على وجه الاحاطة نفيها مطلقا - قال الامام فخر الدين واما قولهم الادراك هو الرؤية فليس بمسلم بل هو الوصول واللحوق يقال ادركت الثمرة اذا وصلت الى حد النضج قال تعالى قال اصحاب موسى [انا لمدركون] اي لملحوقون فالادراك لحوق الغاية والاحاطة بالشيء من جميع جوانبه وهذا مما يتحقق في الشيء الذي له أطراف ونهايات والباري سبحانه منزه عن ذلك فلم يكن رؤيته ادراكا ألبتة - ولا يلزم من نفي الادراك نفي اصل الرؤية كما انا نعرف الله ولا نحيط به فكذلك نراه ولا ندركه انتهى كلامه - ولئن سلمنا نزولا على وجه التبرع ان الادراك

يطلق على مجرد الرؤية فلفا الاية المذكورة مطلقة في الاوقات والابصار عامة في الكل غير مخصوصة والاية التي استدللنا بها نص على اثبات الرؤية في اوقات مخصوصة وابصار مخصوصة وحمل المطلق على المقيد شائع في طرق الاستدلال عملا بالدليلين اما تخصيص الاوقات فظاهر وهو قوله تعالى [يومئـذ] واما تخصيص الابصار فلخروج ابصار الكفـار عن الرؤية المذكورة اتفاقا ولان قوله عزوجل [وجوه يومئذ] نكـرة لا يقتضي العموم في سياق الاثبات مع قوله تعالى في الكفار [كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون] فوجب حمل الوجوه الناظرة الى ربها المنان على وجوه اهل الايمان المخصوصين بالجنان والنظر في اللغة مستعمل في معان مختلفة فان اريد به الترقب والانتظار استعمل من غير صلة لقوله تعالى حكاية لقول المنافقين للمؤمنين [انظرونا نقتبس من نوركم] اي انتظرونا وان اريد به الفكر والتدبر وصل بفي كقوله عزوجل [اولـم ينظروا في ملكـوت السموات والارض وما خلـق الله من شئ] وان اريد به الترحم وصل باللام يقال نظرت لفلان وان اريد به الابصار والرؤية وصل بالى كقولـه تعالى [الى ربها ناظرة] وهو المقصود - قلت هـذا مختصر ما اشار اليـه امام الحرمين في الارشاد وينبغي ان يستـدل بآية خارجـة عن محل النـزاع كقوله عـزوجل [افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت] وقال في كتابـه الشامل وانما يتـوقع تردد النظر بين جهات المعاني اذا لم يقيد بالي فاذا قيد به وعدي لم يفهم منه الا الرؤية الحقيقة فتعين حمل الايـة عليـه قال ومع هذا فقـد بسط جماعة من اصحابنا القول في تعيين معنى الابصار فقالـوا لا يجوز نظـر الاعتبار لان الاخرة ليست بدار استدلال وانمـا هي دار اضطرار الى الحقائق ولا التعطف لان الخلق لا يتعطفـون على الخالق تعالى ولا الانتظار اذ لا معني له هنا وهو يتعدي بنفسه لا بالي فاذا تعدأ بها فلا يكون الا بمعنى الرؤية انتهى * بيان ايضا وتاكيد لما سبق من

ان النظر المقرون بحرف الى موضوع للرؤية من القران وشعر اهل الفصاحة والبيان قال الله تعالى [افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت] والذي يفيد معرفة كيفية الخلقة هوالرؤية دون غيرها * وقال النابغة وما رايتك الا نظرة عرضت يوم اليمامة والمامور معذور * فاستثنى النظر عن الرؤية موجب ان يكون النظر من جنس الرؤية وقال اخر نظرت الى من حسن الله وجهه فيا نظرة كادت على وامق يقضي ومعلوم ان الذي يقضي على الوامق هو رؤية المعشوق لا تقليب الحدقة ونحوه خلافا لجمهور المعتزلة في قولهم ان لفظ النظر موضوع اما لكون الحدقه مقابلة للمرئ كما يقال جبلان متناظران اى متقابلان واما لتقليب الحدقة السليمه نحو المرئ طلبا لرويته واستدلوا على ان ذلك لا يفيد الرؤيه بخمسة وعشرين دليلا * منها قوله تعالى [وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون] * وقول الشاعر *

وقفت كانى من وراء زجاجة

الى الدار من فرط الصبابة انظر

فعيناى طوراً تغرقان من البكاء

فاعشى وطوراً يحسران فابصر

فجعل نفسه ناظراً حالتى كونه مبصراً وغير مبصر وقول آخر *

وجوه ناظرات يوم بدر الى الرحمن ينتظر الخلاصا

بمعنى الانتظار ويروي يوم بكر اى يوم اليمامة لكون القتال فيه بين عسكرى ابي بكر وعسكر مسيلمه الكذاب وكانوا يسمونه رحمان اليمامة * والجواب ان المراد بالاية المذكورة الرؤيه ولا يجوز حمل ذلك على الانتظار اذ يلزم من ذلك التعب والاضرار كما قيل الانتظار يورث الصفار - ولان البشارة بذلك غير لائقة بحكمة الحكيم - ولادار الكرامة والنعيم * قلت يعني ان نعيمها في الحال حاضر لا يحتاج الى انتظار ناظر * دليلهم الثاني قوله

تعالى [لن تراني] وزعموا ان كلمة لن للتابيد والجواب منع كونها موضوعة للتابيد ومدعي ذلك مطالب باقامة بينة الدليل الشهيد اذا البينة على المدعي كما هو المعلوم ولابينة على هذا المدعي تقوم بل البينة شاهدة بتكذيب الخصوم فان نبرعنا باقامتها لاظهار الحق في مذهب الهدى قلنا قال الله تعالى [فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابداً] ثم اخبر تعالى انهم اذا صاروا فى النار يتمنون ذلك هنالك بقوله عز من قائل [ونادوا يا مالك] فكل منهم في طريق تمنى الموت ليسلك بقولهم له [ليقض علينا ربك] وكذا قولهم عند وقوفهم على كتاب الحساب وقد ايقنوا بالنزول فى الهاوية [يا ليتها كانت القاضية] قلت فان قيل انما ينادي مالكا اهل جهنم المجرمون بدليل قوله تعالى في صدر الاية [ان مجرمين في عذاب جهنم خالدون] والاية الاولى المستملة على [ولن يتمنوه ابدا] فى اليهود وقد قيل انهم في بعض دركات النار غير جهنم خلود * قلت قد قيل ذلك ولكن وجدت قول الحق المبين يكذب ذلك بيقين - قال الله اصدق القائلين [ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين] واليهود من اهل الكتاب وممن اجرم فهم اذا في نار جهنم - فان قيل يحتمل انه يتمنى الموت بعض اهل النار لاكلهم وليسوا من الذين يتمنون الممات بدليل قوله تعالى [ولن يتمنوه ابدا] ولفظ الابد لا يقتضي تخصيص الاوقات * قلت دلالة التخصيص باوقات الدنيا ظاهرة لكراهتهم الموت فى الدنيا دون الدار الاخرة لان الموت فى النار والفناء احب الى اهلها من البقاء * واقول ايضا لو كانت لفظة لن للتابيد سرمدا لما قال سبحانه وتعالى بعدها ابدا اذ ذلك يصير من التكرار الخالي عن الفائدة والاضطرار - وكلام الله افصح الكلام باجماع علماء اهل الاسلام - فسلم الحق - والسلام - وقد ظهر فساد قول القائلين لن للتابيد والحمد لله العزيز الحميد * قلت

ولا يرد على ذلك قوله تبارك وتعالى [خالدين فيها ابدا] اعني لا يكون تكراراً اقمنا الدليل على ان الخلود يطلق على المكث الطويل وعلى ذلك حمل ائمتنا قوله تعالى [ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية] لان التابيد في النار لا يكون الا للكفار كما ورد به الشرع ودلت عليه قواطع السمع - وقاتل المؤمن لا يكون من الكفار الا اذا قتله على وجه الاستحلال والمعني والله اعلم ان جزاءه جهنم وليس ذلك عليه سبحانه بمتحتم اذ ليس عليه تعالى حاكم - وليس هذا المكان موضع مجالنا في هذا البيان وانما جر الله البحث فلنثني العنان ولنعد الى ماكنا بصدده من البيان * قلت وهذه الاية التي استدلوا بها على نفي جواز الرؤية هي من اقوى ادلتنا على اثبات جوازها قال ائمتنا رضي الله عنهم وسؤال موسى صلى الله عليه وسلم الرؤية من اصدق دليل على جوازها فان من اصطفاه الله لرسالته واجتباه لنبوته وخصصه بتكريمه وشرفه بتكليمه واناله سني المعرفة وعلو المنزلة يستحيل ان يجهل من حكم ربه عزوجل مايدركه حثالة المعتزلة مع كون ما في الرؤية ينسب مثبت جوازها الى ما يقتضي اما تكفير او تضلال - والانبياء عليهم السلام مبرؤن عن ذلك وذلك معلوم لا يحتاج دليلا * والمخالفون قائلون بعصمتهم من جميع الزلل ففسد استدلالهم المذكور وبطل قال اصحابنا وقد ذهبت شرذمة من المعتزلة الى ان موسى عليه السلام كان يعتقد جواز الرؤية غالطا فاعلمه الله تعالى عدم الجواز - وتلك عظيمة كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك من اعظم الازدراء بالانبياء الكرام عليهم الصلوة والسلام واما سؤاله تعجيل مؤجل جائز التعجيل فغير قادح من منصب النبوة الجليل - اذ ليس للمخلوق الى الاطلاع على الغيب استدلالا سبيل اذا علم ما ذكرنا فنفي الرؤية في لن تراني محمول على نفيها في الدنيا لقيام الدليل على وقوعها في الاخرى - فذلك وان كان من الصريح المنصوص فهو من العام المخصوص * ودليلهم الثالث قوله عزوجل

[وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب] الايه والجواب عن ذلك من اوجه - الاول ان الوحي كلام يسمع بسرعة سواء كان المتكلم به محجوبا او غير محجوب * الثاني انه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية ويجوز وجود الرؤية من غير الكلام * الثالث انه عام مخصوص بالادلة الواردة في اثبات الرؤية * الرابع ما ذهب اليه بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة * دليلهم الرابع ان الباري تعالى لو كان مرئيا لرايناه الان اذ الموانع من الرؤية منتفية واللازم باطل فالملزوم مثله والجواب عنه منع حصر الموانع فيما ذكروا من القرب والبعد واللطافة والصغر المفرطات والظلمة والحجب الكثيفات واختلال الحاسة ببعض الافات وانتفاء المقابلة والجهات هذا معنى ما نقل عنهم اصحابنا من العبارات * ونقول لهم حصرتم الموانع فيما ذكرتم فان قالوا سيرنا الموانع فلم نلف غير هذه المذكورات قلنا عدم عثوركم على ضبط الموانع لا ينتصب دليلا قاطعا على ما ادعيتموه وانتم عرضة للزلل ولا يجب لكم العصمه ولا الاحاطة بالاشياء وحقائقها ولم - لم ير الصحابة الملائكة الذين راهم النبي صلى الله عليه وسلم في اوقات وهم حاضرون معه - والموانع التي ذكرتم منتفيه عنهم وايضا فليس الغائب كالشاهد - فلعل رؤيته تعالى يتوقف على شروط لم تحصل الان - واذا رجعتم الى العوائد المالوفة في كون المرئي يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل تطرق اليكم من دعوى المجسمة مثل ما ادعيتم - في قولهم يستحيل وجود شيء غير متصل بالعالم ولا منفصل فما اندفعت به شبهتهم اندفعت به شبهتكم - وكما هو موجود من غير جهة فكذلك هو مرئي ايضا من غير جهة وكما يرى تعالى خلقه من غير جهة و مقابلته فكذلك يرى ايضا من غير جهة ومقابله * وما ذكرتموه من كون الظلمه والحجاب الحائل مانعين من الرؤية على الاطلاق باطل اما الظلمه فلان احوال الرائين من المخلوقات في الظلمة والضوء مختلفات فمنها من يرى في الضوء

والظلمة جميعا وهم الملائكة عليهم السلام والجن والاسد والفرس والجمل والفار ومن شاءالله ومنها مالا يرى في غلبة الضوء ولا في غلبة الظلمة وهوالخفاش وما شاءالله ومنها ما يرى في الضوء دون الظلمة وهو الانسان ومن شاءالله ومنها ما يرى في الظلمة دون الضوء وهي البومة وما شاءالله * واما الحجاب فلان من المعلوم ان الملائكة الكرام ترى ماوراءه كما ترى في الظلام وكذا الانبياء السادة والاولياء اولوا السعادة يرون ذلك بخرق العادة وكل ذلك محقق معلوم وان كذّب به من الخصوم كلُّ ضال محروم - لاشك والله في كراماتهم التي رويناها عنهم بل رأيناها منهم وملأت استفاضتها الوجود وابى ظهورها ان يقبل الجحود - وجميع الاعصار والامصار بوقوعها شهود ولقد شاهدتها غير مرة من غير واحد والله على ما اقول شاهد فبطل ما زعمه من هذه الموانع كل جاحد وكذلك قولهم في القرب والبعد المفرطين فان الانسان يرى عينيه في المرآة وهي اقرب شيء منه الى بصره ونحن نرى النجوم في السماء مع بعد المفرط المجتلين لنظره كما زعموا - وكذلك قولهم في الرقة واللطافة فان الملائكة تنظر بعضهم بعضا وكذا الجان - والمحتضر ينظر ملك الموت ومن معه من الاعوان فثبت ان جميع ما ذكروه من الموانع غير مانع مطلقا - وانه لا يمنع من الرؤية على الاطلاق الا العدم المطلق - وان كل موجود يجوز ان يرى والله تعالى موجود فجاز ان يرى وذلك محقق فان قيل المصحح لتعلق الرؤية بالرائي هو حدوث المرئي وكل محدث يجوز ان يرى والمانع من تعلق الرؤية بالمرئي قدمه فكل قديم لا يجوز ان يرى - قلنا لو كان المصحح لجواز تعلق الرؤية بالمرئي حدوثه والمانع منه قدمه لوجب ان لايرى القديم من الموجودات مثل ما يرى الحدث منها فلما لم يمتنع ما للموجودات من القدم المقيد ضربا من الرؤية علمنا ان القدم المطلق لا يمنع جواز الرؤية على الاطلاق لان كل ما يستحق مطلقه لمطلق امر يستحق مقيده لمقيد

ذلك الامر ولما لم يمنع القدم المقيد ضربا من الرؤية علمنا ان القدم المطلق لا يمنع الرؤية على الاطلاق * دليلهم الخامس انه تعالى استعظم طلب رؤيته ورتب الوعيد والذم عليه فقال تعالى [فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا] والجواب ان الاستعظام من اجل انهم طلبوا ذلك تعنتاً وعناداً * قلت هكذا اجاب بعض ائمتنا والذي اراه والله اعلم ان ذلك لسبق اذنهم فان رؤية الله عزوجل وان كانت جائزة فهي عظيمة القدر والجلال عزيزة الحصول والمنال تمنع الهيبة من طلبها اولي المقامات العوال - ولا يعذر في وصفها الا مصطفى مقرب على بساط الانس والادلال كالمسكين المدلّ على السلطان والاقدام على بعض الامور العظام التي لو اقدم عليها غير الخواص من الرعية العوام لكان متعرضاً للعقوبة في الاقدام بل للحتف بالانتقام - فلو مثلا دنا من السلطان جندي حقير وجلس بجنبه في مجلس الوزير او خطب بنته سوقي او خادم لامير لكان ساعياً في هلاك نفسه فضلا عن التعزير واذا فهم ما ذكرنا فرؤية الله تعالى اعلى واغلى * دليلهم السادس قول موسى صلى الله عليه وسلم [تبت اليك] والتوبة لا تكون الاعن خطاء والجواب ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الخطاء والاثام في مخالفة حكم من فروع الاسلام فما ظنك باحكام الاصول وصفات الله العظام * وقد اجاب الامام النبيل السيد الجليل المشكور المبارك ابو بكر بن فورك رضي الله عنه بان عادة الاصفياء من الانبياء عليهم صلوة الله وسلامه - والاولياء عليهم رحمة الله ورضوانه اذا رأوا امراً مهولا طارقاً او عجيباً للعادة خارقاً فزعوا الى ذكر الله وتجديد التوبة من غير ذنوب وقعت منهم قلت هذا معنى كلامه وان لم تكن عبارته بعينها وها أنا أريد

ذلک ایضاحاً - فاقول والله المسئول التوفيق والمامول - الاصفياء المذكورون يستولى على قلوبهم رؤيـة الجلال والعظمة فتغلب عليهم الهيبة ويرد عليهم احوال يشهدون فيهـا عظيم حق الربوبية والتقصير فى القيام باداب العبودية ويـرون صفاتهم فيها جميعاً عيـوباً - ووجودهم كله ذنوبا كما قيل *

لها قلت ما ذنبي فقالت مجيبة * وجودک ذنب لا يقاس به ذنب

قلت والمعنى ان صاحب الحال اذا اشهد صفات الجلال والكمال استشعر من نفسه العيب والنقصـان وان لم يكن كما خطـر بالبال وانما يشهـدهم الحق ذلک ليرتقوا بالهمم والاعمال الى ما هو اعلى من ذلک الحال ولئـلا يشهدوا من نفوسهم الكمال فيرضوا عنها ويسكنوا اليها فيزول عنها الانكسار ودوام الافتقار ويقفوا عند شدة الطلب والاضطرار والالتجاء والابتهال فيكون ذلک سبباً لانقطاع مزيد النوال وربما ظهر شيء من صفاتها بسبب ذلک في بعض الاوقات على بعض الاولياء اذ هى محل الآفات والدقائق الخفيـات التي لا يفطن بها و يطلع عليها الا ارباب النور والمكاشفات بعد طول الرياضات والمجاهدات فاذا كوشفوا بغوامض عيوبها جدوا فى مجاهداتها حتى تزول عنها فيصيرون من رق هواها احراراً و عند ذلك يودعون اسراراً و انواراً و من الشواهد على ذلك ان الشيخ الكبير العارف بالله الشهير ابا يزيد البسطامي رضي الله عنه بعد المجاهدات الطويلة و الاحوال الجليلة كشف له عن باطنه - فشاهد فيه زناراً فعمل على قطعه عدة سنين و ايضاً محسنات الابرار سيات المقربين - فاذا كان المقرب يرى حسنات الابرار اذا صدرت منه من جملة الذنوب التي يستغفر منها و يتوب مع كونها ليست في الحقيقة من الذنوب و الاثام فليس بمستنكر ان يتوب موسى عليه السلام من غير ارتكاب ذنب و اجترام و مما يشهد لذلك توبة نبينا صلى الله عليه وسلم فى اليوم مائة مرة من غير ذنب سوى الغين الذي ذكره اعني

قوله صلى الله عليه و سلم ى الحديث الصحيح انه ليغان على قلبي و اني لاستغفر الله تعالى فى اليوم مائة مرة ، و معنى ذلك على ما ذكره الشيخ الكبير العارف بالله بحر المعارف و المعاني الدقاق الاستاذ ابو على الدقاق رضي الله عنه قال كان صلي الله و سلم ابداً فى الترقي من احواله فاذا ارتقى عن حال الى حال اعلى مما كان فيها فربما حصل له ملاحظة الى ما ارتقى عنها فكان يعدها غيناً بالاضافة الى ماحصل فيها - ابداً كانت احواله فى التزايد و مقدورات الحق تعالى من الالطاف لا نهاية لها - قلت و يحتمل و الله اعلم معني آخر وهو انه كان صلى الله عليه و سلم يجد فى الخلوة من الانس بالله و حلاوة المناجاة و الصفاء و الهناء و الاحوال السنية و الانوار المسرقة البهية - ما لا يجده في مخالطة الخلق و مكالمتهم فيما يعرض لهم من قضايا مصالحهم في امر دينهم و مشاجرة بعضهم مع بعض ومخاصمتهم و ان كان الكون معهم في ذلك افضل من الانفراد اذ هو لذلك مراد لما فيه من الهداية و النفع للعباد مع التوفيق فى ذلك و السداد بخلاف من يخشي من نفسه فى المخالطة الفساد و عدم القيام بالحق و سلوك سبيل الرشاد - و حاصل الامر ان حال الخلوة اصفى و اهنى و حال الجلوة افضل و اعلى لمن كان لذلك اهلا و لا اكمل منه صلى الله عليه و سلم لهداية الخلق و تنوير الظلمة فلذلك كان مختاراً للقيام باعباء الرسالة و ارشاد الامة موفيا بذلك حق الوفاء صلى الله عليه و سلم وزاده فضلا و شرفا فكان يعد ما ذكرناه من فقد الصفاء و الهناء الذي يجده فى الجلوة غينا بالنسبة الى ماكان يجده منهما فى الخلوة و ان كان ماهو فيه اعلى و افضل و الله سبحانه و تعالى اعلم - و ممايتعلق بالروية ما ورد فى بعض الاخبار ان الله تعالى يتجلى لعباده و يرفع الحجاب عن اعينهم فاذا رأوه تدفقت الانهار و اصطفقت الاشجار و تجاوبت السرور

و العرفات بالصرير و الاعين المتدفقات بالخرير استرسلت الريح المثيرة و بثت في الدور و القصور المسك الاذفر و الكافور و غنت الطيور و اشرفت او قال و لعبت العين الحور و في رؤية اهل الجنان لمولاهم الرحمن و ما في ذلك من الشرف و النعيم الخالد قلت في بعض القصائد *

تبارك منشئ الخلق عن سر حكمة
هو الله مولانــا الحكيـــم المـــدبر
اذا ما تجلـــى في جمـــال جلالـــه
تعالـــى لكـــل المؤمنيـــن لينظروا
و قد زينت جنات عدن و زخرفت
نسوا كل ما فيـــها لما منه ابصروا
جمالا و وصفاً جل ليس كمثله و فض
لا و انعامـــاً يجـــــل و يكبـــر
نعيـــم و لـــذات و عز و رفعـــة
و قرب و رضوان و ملـــك و مفخـــر
بمقعـــد صـــدق في جوار مليكهـــم
هنيـــأ لمسعـــود بذلك يظفـــر
ايا ساعة فيهـــا السعادات تجتلـــى
على وجههـــا در الغنـــايات تنتـــر
و يا ساحة فيها المفاخـــر ترتقـــى
علاها و خلعـــات الكرامـــات تنشـــر
سالتكمـــا بالله هل مـــع احبـــة
لنا فيكمـــا يوم التـــزاور محضـــر

و هل انعمت نعمى بنعمان باللقاء
لنا ام نوت مي سرمد الدهر تهجر

انتهى الكلام في الرؤية * قلت و المراد بنعمى و نعمان استعارة و اشارة الى ما جاء ان الله تعالى استخرج من ظهر آدم ذريته قبل ان يخلقهم ببطن نعمان و هم كالذر و اخذ عليهم الميثاق و ذلك قوله تعالى [و اذ اخذ ربك من بني آدم الايه] و المراد بالبيت المذكور هل كنا في ذلك الوقت مكتوبين من المذكورين من اهل اللقاء و السعادة ام ضد ذلك والعياذ بالله و المعنى بهذا كله ان الامر متعلق بالسابقة و على وفقها يكون اللاحقة نسئل الله الكريم لطفه و رحمته و عفوه و عافيته لنا و لاحبابنا و المسلمين آمين *

تنبيه مشتمل على فائدة حسنة مؤكدة لكون الحق مع اهل السنة *

روى الامام الحافظ ابو القسم بن عساكر رضي الله عنه في كتابه المسمى تبيين كذب المفتري في ما نسبه الى الشيخ الامام ابى الحسن الاشعري ان الشيخ الامام ابالحسن المذكور رضي الله عنه كان يرى راي المعتزلة في مسئلة الرؤية و غيرها الى ان راى النبي صلى الله عليه و سلم في المنام - قال فقال لي يا ابا لحسن او ما كتبت يعني في الحديث ان الله تعالى يرى في الاخرة فقلت بلى يا رسول الله قال فما الذي يمنعك من القول به قلت ادلة العقول منعتني فتاولت الاخبار فقال لي و ما قامت ادلة العقول عندك على ان الله يرى في الاخرة فقلت يا رسول الله انما هي شبهة فقال لي تاملها و انظر فيها نظرا مستوفا فليست بشبه بل هي ادلة قال ابو الحسن فلما انتبهت فزعت فزعا شديدا و اخذت اتامل ما قاله رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجدت الامر كما قال - فقويت ادلة الاثبات في قلبي و ضعفت ادلة النفي قال الراوي

الامام ابو القسم المذكور ثم راه ليلة اخرى فقال له صلى الله عليه و سلم تامل سائر المسائل ففعل فكان هذا سبب رجوعه عن مذهب الاعتزال الى نصرة مذهب اهل الحق انتهى * قلت و كذلك و جميع السمعيات التي وردت في الكتاب و السنة وردتها المعتزلة و موافقهم و لم يقبلوها لا يحيلها العقل ايضاً - و ذلك مما يطول ذكره و يشق حصره من الاحاديث الصحيحات الصريحات الظاهرات المتظاهرات غير احاديث الرؤية المذكورة كاحاديث الشفاعة و عذاب القبر و سوال الملكين و انطاق الجوارح و تطاير الكتب و الميزان و الصراط و اخراج العصاة الموحدين من النار و وجود الجنة و النار الان و احاديث القدر المتقدم ذكرها و ما يوافق ذلك من ظاهر الايات الدالات على تحقق هذه المذكورات مما اوله مخرجا له عن ظاهره من حكم عقله في دين الله و لم يوفق للايمان بما جاء به الشرع مرد ببادى الراى قواطع السمع مما شهدت به الايات الكريمة المحكمة ذات الاحكام المستقيمة - و وردت به سنة الغراء المليحة في الاحاديث المشهورة الصحيحة و استفاض في الصحابة و التابعين و سائر السلف الصالحين رضي الله عنهم اجمعين وافقا عن نظر غير صحيح مع مجرد العقل اذ صحيح النظر لا يحيل حكم ذلك النقل قال الامام ابو المعالي امام الحرمين رضي الله عنه دان اهل الحق المعتزلة و خالفوهم و اتبعوا السمع و الشرع فاثبتوا الرؤية و الصراط و الميزان و عذاب القبر و مسائلة منكر و نكير و المعراج و الحوض و الشفاعة و اشتد نكيرهم على من يسبب الى انكار ما ثور الاخبار و المستفيض في الاثار في هذه القواعد و العقائد و اتفقوا على ان القبح و الحسن في احكام التكاليف و الايجاب و الحظر لا يدرك عقلا و المرجع في جميعها الى مدارك الشرع و قضايا السمع انتهى - قلت و كذلك الشيخ الامام

ابو اسحق الشيرازي عدد اشياء مما اثبته اهل الحق - قال في كتاب الاشارة بعد مدحه مذهب الاشعرية و احتجاجه لهم و ذبه عنهم و يعتقدون ان النبي صلى الله عليه و سلم نبوته باقية بعد وفاته كبقايها حال حياته الى ان يرث الله الارض و من عليها و ان شريعته ناسخة لجميع الشرائع و جميع الخلق مخاطبون بها و معجزه باق و هو القرآن و ان معراجه صحيح و كان في اليقظة لا في المنام فاسرى به الى بيت المقدس و عرج به الى السموات السبع و الى العرش و عرض عليه جميع المخلوقات و سمع كلام الله القديم بلا واسطة كما سمعه موسى من غير واسطة و الفرق بينهما ان موسى صلى الله عليه و سلم سمع كلام الله و هو على وجه الارض من وراء حجاب و نبينا صلى الله عليه و سلم سمع و هو بالافق الاعلى لا من وراء حجاب بل مع المشاهدة و ان الجنة و النار مخلوقتان و استدل علي جميع ذلك بالآيات و الاخبار و كذلك الشفاعة و الحوض و الصراط و الميزان انتهى - قلت و قد اشرت الى اعتقادنا ما ذكره من الاحكام التي ذكرتها مما جاءت به السنة الصحيحة في القصيدة المطولة المفصلة بالفصول العشرة المتقدمة ذكر شيء من ابياتها بقولي *

و تعذيـــب بقبـــر مع سوال | و ميـــزان و حوض للشـــراب
به الايمـــان حق مـــع صراط | كحد السيـــف جسر للذهاب
علي نار فمن هار و جار لجنا ت و مـــن مـــاش وحابـــي
همـــا قد أنشيـــا فضلا و عدلا | و يقرأ كتب كسب للحساب
و في الاخرى يرى المولى تعالى | صحيح ذاك من غير اكتذاب
بذا الايـــات و الاخبار جاءت | و ما للعقل ايجـــاب احتجاب
لاهل الحـــق و الايمـــان يبدو | و عنه من سواهم في حجاب
لهم احلـــى و اهنى كل شيء | برغم انف دافع ذي ارتياب

كالصـــار لشمـس او لبـــدر — قبيل النصف خال عن سحاب
بلا شبه تعالـــى لن يحيطـوا — به علمـــا عن الادراك عابـي
و لا كيـــف و اين ذو كـــلام — بلا حرف و صوت في خطاب
و ذو جـــاه شفيع في عصـــاة — بدون الكفر من نار العقـــاب
و دون الشرك لا تكفيـــر فيه — و لا تخليد فـــي نار العذاب
و ما جاء من كرامـــات لقوم — سقوا من مشرب حالي الشراب
أولـــي عرف و اســرار و نور — و فضل جاء بفضل لا اكتساب
بهـا ايمـاننـــا حق و فيهـــا — لنا كم مـن عقيـدات صـلاب
لهدى كلهـــا ثم مـن دليـــل — باخبـــار و منطـوق الكتـــاب

قلت فهذه سبعة عشر بيتاً من القصيدة المذكورة مشتملة على بعض عقيدة اهل الحق المشهورة و قد تقدمت ابيات منها مشتملة ايضا على بعضها و تقدمت منها ابيات أخرى و ساذكر ان شاء الله تعالى خمسة عشر بيتاً من قصيدة أخرى كبيرة مع كوني قد قدمت ايضا في ضمن القصيدة الكبيرة المصدر بها هذا الكتاب خمسة عشر بيتا كل واحدة منها مشتملة مع الايجاز على الاطناب جامعة لجميع المسائل المعتمدة من عقد بناء السنة السنية المقتصدة و البحث في جميع ذلك و الاستدلال عليه و ان كان مما لا يتعلق بالسؤال المذكور و لا يدعو الضرورة هنا اليه لكن قد يدعو اليه حاجة من وقف عليه من الاصحاب المعتقدين لمذهب الحق الصواب فلذلك رايت ان أنبه عليه ببعض الاشارة المفهومة الواضحة العبارة - و قد تطرق البحث الى شيء من المسائل لتطرق الكلام اليها من البحث في شبه السائل وتمادي الكلام عليها في هذا الجواب كمسألة الرؤية وغيرها مما وردت به السنة الصحيحة بل نصوص الكتاب - و اما الجهة فانها و ان كانت قد تطرق البحث من الرؤية اليها والسائل و ائمته متوافقون على

دفيها فلا ضرورة الى الاستدلال عليها لولا الظاهرية و ما يعتقدونه من الباطل فيها - وذهابهم الى ما توهمه من اثباتها الظواهر - مما لزوم المحال منه ظاهر - و ها انا آبين ظهور ذلك المحال و اظهار بطلانه فى الحال بوجوه الاول لزوم جسم مستلزم تركيباً و التركيب مركباً و ذلك يستلزم كون الخالق مخلوقا و القديم حادثا وهو محال اولزوم جزء لا يتجزى وهو محال ايضاً - الثاني لزوم كون خالق الجهات تعالى محدوداً محصوراً فيها - الثالث لزوم كون خالق المكان تعالى محتاجا الى مكان - فان قيل كيف يتصور موجود لا في مكان قلنا قد يتصور المكان لا في مكان - و الا لزم التسلسل المحال - الرابع لزوم اتصافه بصفة حادثة لاختصاصه بتحيز حادث في جهة هي حادثة باتفاق جميع المسلمين فيكون القديم محلا للحوادث وهو محال لما سنقيم عليه فيما بعد ان شاء الله من البرهان و الحجج الظاهرات فى شرح الابيات الآتيات - الخامس ان الظواهر المشعرة بثبوت جهة الفوق معارضة بظواهر مؤدية بنفيها كقوله عزوجل [وهو معكم اينما كنتم] و قوله سبحانه [ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم] الى قوله تعالى [هو معهم اينما كانوا] و قوله تعالى [فاينما تولوا فثم وجه الله] و قوله جل و علا [و نحن اقرب اليه من حبل الوريد] و قوله صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح ان الله عزوجل قبل احدكم فاذا كان فى صلاته فلا يبزقن و لا يتنخمن اخرجه البخاري و في روايته الاخرى فلا يبزقن بين يديه و لا عن يمينه وغير ذلك من القرآن العظيم - و صحيح اخبار النبي الكريم عليه افضل الصلوة و التسليم - السادس انه كما اضطر الحشوية الظاهرية الى تاويل بعض الظواهر كما مداني لاستحالة ظاهرها - فكذلك دعت الضرورة الى تاويل سائر الظواهر المشعرة بالجهة لاستحالة ذلك ايضا - و قد نقل عن الامام البارع صاحب

البرهان القاطع امام الحرمين رضي الله عنه انه سئل ببغداد هل الباري سبحانه على العرش فقال في الجواب خلق العرش من ذرة وهو بالنسبة الى عظمته اقل من ذرة فكيف يكون مستقره قلت و لقد آجاد بهذا الجواب الوجيز البالغ المفخم الدامغ - و قال الامام علم العلماء الاعلام و حجة الاسلام المشهود له بالمقام العالي ابو حامد الغزالي رضي الله عنه الاستواء على العرش بطريق القهر و الاستيلاء - و كذا قال غيره ممن يطول ذكرهم من ائمتنا قال ابو حامد المذكور و لو ترك على ظاهره من الاستقرار و التمكن للزم كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر و ذلك محال فاضطر اهل الحق الى تاويله ما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى [و هو معكم اينما كنتم] اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة و العلم و حمل قوله صلى الله عليه و سلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة و القهر و قوله صلى الله عليه و سلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف و الاكرام انتهى و قال الامام المحقق الناقد المدقق فخر الدين الرازي رضي الله عنه اعلم ان هاهنا قانونا كليا و هو انا اذا رأينا الظواهر النقليه معارضة للدلائل العقليه فان صدقنا هما معا لزم الجمع بين النفي و الاثبات و ان كذبنا هما معا لزم رفع النفي و الاثبات يعني و كلا الصورتين محال و ان صدقنا الظواهر النقلية و كذبنا الدلائل القطعية لزم الطعن في الظواهر النقلية ايضاً لان الدلائل القطعية اصل الظواهر النقلية فتكذيب الاصل ليصح الفرع يفضي الى تكذيب الاصل و الفرع معاً فلم يبق الا ان نصدق الدلائل العقلية و نشتغل بتاويل الظواهر النقلية او نفوض علمها الى الله تعالى و على التقديرين فانه نظهر ان الظواهر النقلية لا يصلح معارضة للقوانين العقليـــة فهذا هو القانون في هذا الباب و من أراد الاستقصاء في تاويل الظواهر الواردة في القرآن و الاخبار

فعليه بكتاب اسرار التنزيل و انوار التاويل يعني كتابه انتهى * و قال الشيخ
الامام المحقق المشهود بجلالته و علو شانه و المشهور بانه انظر اهل زمانه
ابو اسحاق الشيرازي رضي الله عنه استوى على العرش استواء ليس
باستقرار و لا ملاصقة لان الاستقرار و الملاصقة صفة الاجسام و لان ذلك
يفضي الى التغير و الانتقال من حال الى حال و لان العرش محدود
و يلزم من ذلك ايضا ان يكون مساوياً فيكون محدوداً كالعرش او اكبر
فيكون متبعضا بعضه خال عن العرش وكل هذه صفة الاجسام المولفة او اصغر
فيكون المخلوق اكبر من الخالق تعالىٰ و كل ذلك محال - فدل على
انه تعالى كان ولامكان ثم خلق المكان وهو على ما عليه كان - فان قيل اذا قلتم
انه تعالى ليس على العرش و لا في السموات و لا في جهة من الجهات
فاين هو - يقال لهم اول جهلكم وصفكم له باين لان اين استخبار عن المكان
و الله عزو جل منزه عن ذلك ثم يقال لهم هل كان تعالى موجودا قبل
خلق العرش و سائر الجهات فان قالوا لا فهذا هو الكفر الصراح و ان قالوا
نعم قيل لهم اخبرونا اين كان قبل ذلك فكل دليل لهم قبل وجود
الجهات هو دليل لنا بعد وجودها فان قيل اذا لم يكن في جهة فما فائدة
رفع الايدي الى السماء و عروج النبي صلى الله عليه و سلم اليها يقال لهم
لو جاز ان يقال انه تعالى في جهة فوق لاجل رفع الايدي الى السماء لجاز
ان يقال انه تعالى في جهة القبلة لاجل استقبالنا لها في الصلوة او هو
في الارض لاجل دنونا من الارض في حال السجود و قد قال الله تعالى
[و اسجد و اقترب] و قال النبي صلى الله عليه و سلم اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد فكما ان الكعبة قبلة المصلي و السجود في الارض و لا
يقال انه تعالى في جهة الكعبة و لا في الارض فكذلك جعلت السماء
قبلة للدعاء لا انه تعالى حال فيها و كذلك عروج النبي صلى الله عليه

و سلم الى السماء لايدل على انه تعالى في السماء كما لا يدل عروج موسى عليه السلام الى الجبل على انه تعالى في الجبل بل عروجه صلى الله عليه وسلم انما كان زيادة في درجته و علو منزلته ليتبين الفرق بينه و بين غيره في المنزلة و علو الدرجة - ثم ذكر اختلاف الناس في معنى الاستواء و قال والواجب من ذلك ان ينفي عنه كل ما يودي الي حدوث الرب عز و جل ثم لا يطالب بما عدا ذلك كما يعتقد انه سبحانه شيء موجود موصوف باوصاف الكمال ثم ينفى عنه مايودى الى حدوثه من صفة الاجسام و الجواهر و الاعراض ثم لايطالب بماعدا ذلك وذكر شيأ مما تمسك به الظاهرية من الآيات و الاخبار و من ذلك قوله تعالى [و ما يعلم تاويله الا الله و الراسخون في العلم يقولون آمنا به] و قولهم يؤمنون بها ولايتاولونها يقال لهم هذه الآية دليل على القول بالتاويل لا على نفي التاويل قال و غرضهم في نفي التاويل توصّلهم على التشبيه فان لم يقولوا بالتاويل و نفوا التشبيه لم يطالبوا بغيره و لم يجب عليهم اكثر من ذلك لان الذي يحرجنا و يدعونا الى التاويل قول المخالف احمل هذا الاستواء على الظاهر و لا ادري هل هو استقرار او غير استقرار و كذلك قوله عزجل [ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي] احمله على الظاهر و لا ادري اهما جارحتان ام غير جارحتين قال و هذا جهل منهم بالرب عز و جل و ذلك يودي الى كفر لان من جهل صفة من صفات معلومه لم يعرف المعلوم على ما هو به - و قوله لا ادرى شك في الله عز و جل و قلة علم بما يجوز في حقه و ما لا يجوز - قلت و هذا مختصر ما بسطه من الكلام في تاويل الظواهر في بحوث ووفات قال في آخر ذلك قال الله عز و جل [لوكان هولاء آلهة ما وردوها] قال فمن يعتقد و يؤمن بان الله تعالى آله و مع ذلك لايمتلي جهنم الا به فالسكوت عنها اولى من كلامه و مناظرته لانه

لم يستفد من عقله غير التكليف الذي به يستحق العقوبة و انما العاقل على الحقيقة من يتوصل بعقله عند نظره و استدلاله الى الحق لا من يعتقد و يصف الرب بالنزول و الانتقال والتغير من حال الى حال و يمر هذه الاخبار على ظاهرها من غير تاويل و لا نفي تشبيه بجهله و حماقته و قلة علمه و بصيرته قال و تاويل هذه الاخبار يطول شرحه و ليس هذا موضعه انتهى السابع اتفاق علماء الباطن العارفين بالله المقربين من الابدال و الاوتاد و الصديقين و سائر المحبين و المحبوبين من اهل الاسرار و الانوار و الكشف و العيان - و علماء الظاهر المتكلمين ائمة الاصول المحققين النظار المدققين اهل الحجج المقحمة و الادلة القاطعة و قواطع البرهان فاما علماء الباطن فها انا اذكر اقوال جماعة منهم قال الشيخ الكبير العارف بالله السهير قطب مقامات اليقين ابو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة ولا مرئية بالابصار في دار الدنيا وهي موجودة بحقائق الايمان من غير حد و لا حلول و تراه العيون في العقبى ظاهراً في ملكه و قدرته و قد حجب سبحانه و تعالى الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر اليه المؤمنون بالابصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية - قلت فقوله هذا مصرح بنفي الجهة والحلول واثبات الرؤية في الاخرى وغير ذلك من اعتقاد اهل الحق مع ما جمع فيه من الحسن والتحقيق والاحتراز الدقيق - وقال الشيخ الكبير العارف بالله ذو الاحوال والانوار والمعارف والاسرار ابو الحسن النوري رضي الله عنه لما وصف القرب من الله تعالى اما القرب بالذات فتعالى الملك عنه وانه المتقدس عن الحدود والاقطار والنهاية والمقدار ما اتصل به مخلوق ولا انفصل عنه حادث مسبوق جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل فقرب هو في نعته محال وهو تداني الذوات وقرب هو في نعته واجب وهو قرب

بالعلم والرؤية وقرب هو جائز في وصفه يختص به من يشاء من عباده وهو قرب الفعل باللطف قلت وهذا القول ايضا ظاهر في نفي الجهة والحلول وهو بديع الحسن والتحقيق اما تحقيقه فكونه على قاعدة الاصوليين المحققين واما حسنه فمسافه بعبارة احسن من عبارتهم وقال سلالة النبوة ومعدن الفضايل والعلوم والفتوة جعفر بن محمد رضوان الله عليه من زعم ان الله في شيء او من شيء او على شيء فقد اشرك بالله اذ لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصوراً ولو كان من شيء لكان محدثا قلت وهذا صريح ايضا في نفي الجهة وغيرها من سمات الحدث وقيل للشيخ الكبير العارف بالله الخبير يحيي بن معاذ الرازي رضي الله عنه اخبرنا عن الله فقال اله واحد فقيل كيف هو قال ملك قادر فقيل اين هو فقال بالمرصاد فقال السائل لم اسالك عن هذا فقال ما كان غير هذا كان صفة المخلوق واما صفته فما اخبرت عنه - قلت وهذا القول صريح ايضا في نفي الجهة - وقيل للشيخ الكبير العارف بالله السيد ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اعرشي انت ام كرسي فقال الطينة ارضية والنفس سماوية والقلب عرشي والروح كرسي والسر مع الله بلا اين - قلت وهذا القول صريح ايضا في نفي الجهة عن خالق الجهات المتعالي عن الحدث وسمات المخلوقات - وقال الشيخ الكبير العارف بالله ابو عثمان المغربي رضي الله عنه كنت اعتقد شيئاً من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي - فكتبت الى اصحابنا بمكة اني اسلمت جديداً - وقال الشيخ الجليل العارف بالله الجليل بحر الحقائق ومعدن الاسرار والدقائق ابوالغيث ابن جميل قدس الله روحه ونور ضريحه ان الله ربنا شيء لايعلم احد ما هو ولا اين هو - و قال ايضا ليس لذات الله تعالى امام ولا خلف ولا فوق ولا تحت ولا ميمنة ولا ميسرة

قلت وهذا من كلامه المجموع المشهور وهو ايضا صريح في نفي الجهة المذكورة - وقال الشيخ الكبير العارف بالله استاذ الطريقة ولسان الحقيقة احمد بن عمر الزيلعي رضي الله عنه الحمد لله محلي القلوب الروحانية بجواهر الحكم الربانية - ورافعها من كثائف خيال عالم الجسمانية - ومحلها في ربيع بقاع حدائق رياض مروج حضائر قدس الازلية - ومجلسها على بساط انبساط أنس ادلال دهشة حيرة فناء بقاء دوام الديمومية - فبرزت لها الحقيقة في حلة نورانية - لطيفة قدسية - فتقاطرت عليها منها انوار عرفانية ذوقية كشفية - فشاهدت ولا حظت وتحيرت وغابت عن الاشكال الحسية بحجب بانوار واتحفت باسرار علماً مكنونا مصوناً على العقول الزكية - وسقاها بكاس الوصال في مقاصير الاتصال شراباً ممزوجاً بلطائف غيبية مديرها ساق لا تدركه العيون ولا تحصله الظنون محجوب عن الافكار الوهمية وهب لها نسيم من جو بحر الوجود يعرف انفاس علوم مسكر كلية - ولاح لها برق الوجود من افق الجود حيث لا جهة ولا مسافة ولا كيفية - فتافت واشتاقت وسكرت ودهشت وغابت في بحر الفردانية - فنادانا منادي الغيب الرباني لا يظهر بقربنا من بقي فيه الكون النفسية - قلت وموضع الشاهد من كلامه هذا قوله حيث لا جهة ولا مسافة ولا كيفية - وانما ذكرت مع ذلك بلامه المذكور لاشتماله على جواهر المعارف وبواقيت الحكم ولوامع النور - وقال الشيخ الكبير العارف بالله الشهير ابوبكر الشبلي رضي الله عنه جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف - قلت وهذا ايضا صريح من الشبلي في نفي الجهة والحروف وكونها مخلوقة - وقال امام السالكين وحجة الله على العارفين ابو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه ان الحروف لسان فعل لا لسان ذات لانها فعل في مفعول - قلت وهذا صريح ايضا بان الحروف مخلوقة وليست كلامه

القديم - وقد قدمت عنه نفي الجهة ايضا - وقال الشيخ الكبير العارف
بالله الشهير استاذ الاكابر الجامع بين علمي الباطن والظاهر ابو العباس
بن عطاء رضي الله عنه لما خلق الله الاحرف جعلها سرا له فلما خلق ادم
عليه السلام بث فيه ذلك السر و لم يبث ذلك في احد من الملائكة فجرت
الاحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها صورا
لها قلت و هذا القول صريح ايضا بخلق الحروف ونفيها عن الكلام القديم - وقال
الشيخ الكبير العارف بالله الخبير امام العارفين واستاذ السالكين سر المرادين
ومربي المريدين العالم الرباني الحسيب النسيب ابو عبد الله القرشي
رضي الله عنه هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس على العرش استوى
من غير تمكن ولا جلوس لا العرش له من قبيل القرار ولا التمكن من جهة
الاستقرار العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الابصار العرش يكفيه خواطر
العقول و يصفه بالعرض والطول - وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول
ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب واركان وكان الله ولا مكان وهو الان
على ما عليه كان ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض
باستحالة البقاء موصوف ولا بجسم فالجسم بالجهة محفو وليس له تحت
فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فيعدله ولا امام فيحده ولا خلف فيسنده جل
عن التحديد والتكييف و التقدير والتاليف والتغيير والتصوير والتشبيه والنظير
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير كلامه ليس بصوت فالاصوات توجد وتعدم
ولا بحروف فالحروف تتاخر و تتقدم كل الحروف والاصوات والنداء محدثة
بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك وتعالى له العظمة والكبرياء - وله
القدرة والسناء وله الاسماء الحسنى والصفات العلى - قلت وهذا بعض
عقيدة المتفق على فضلها وجلالتها وتحقيقها وبلاغتها قلت و مما اشتهر عنه
قدس الله روحه في الارواح ورواه بعض اهل العلم والصلاح انه قال ذات

يوم لبعض اصحابه اشم رائحة حشوى فوجدوا شخصاً من الحشوية وراء الحايط هذا معني الروية ان لم يكن لفظها بعيذه - و قال الشيخ الامام استاذ الانام المحقق العرف معدن الاسرار والمعارف شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه لما وصف الله تعالى بصفات الكمال ونزهه عن سمات الحدث وكل ما هو في حقه محال - مصور العالم وكل ماحواه وهو العالم الذي عقله العقلاء بما فيه من الارض والسماء والماء والنار والهواء والعرش والكرسي والجني والانسي والافلاك والاملاك والالوان والاكوان والاجرام والاصطكاك والسمس والقمر والنجوم الي اعماق اطباق النجوم بالنسبة الى العظمة الالهية اقل واحقر من خردلة بالنسبة الى جميع العالم ففرغ بالك عند ذلك من قياسك الله تعالى داخل العالم او خارج العالم مما احقرك واحقر علمك فلو فتحت عين بصيرتك استحييت من قياسك وفكرك ووهمك وخيالك ايها المحدود المحصور لاينتج فكرك الا محدوداً محصوراً وايها المحيط به الجهات لا يحكم علمك الا بالجهات فالجهات من جملة العالم - وقد علمت نسبته الى عظمته فتبارك الله رب العالمين - وقال قطب العلوم ونظامها سيد الطائفة وامامها تاج العارفين واستاذ المعروفين ابو القسم الجنيد رضي الله عنه في التوحيد مذهبنا افراد القدم من الحدث قلت وهذا القول الوجيز جمع في تنزيه الباري تعالى كل معنى عزيز من نفى النقائص كلها التي سمات الحدث مستملة عليها - ومن ذلك نفى الجهة والحروف المعلوم حدثها وفي ضمن نفي النقائص عنه تعالى اثبات الكمالات له عز وجل كلها - قلت فهؤلاء المسائخ المذكورون بضعة عشر شيخاً من الاولياء العارفين العلماء بالله العالمين الربانيين المربيين المصطفين المقربين اولى المقامات العاليات والانوار والكرامات العاليات والاسرار ممن اشتهر ورويت عنهم في العقائد هذه المقالات في نفي الجهة عن خالق الجهات ونفي

الحروف عن كلامه والاصوات اقتصرت على ذكرهم دون غيرهم من الاولياء السادات ممن يعلو مجدهم ولا يحصى في المشارق والمغارب عددهم من السافعية والمالكية والحنفية المتفقين في الاصول الدينية - وكذا قدماء الحنبلية الموافقين لاهل الحق في الاصول والعقيدة الرضية - ومن العلماء العاملين والفقهاء الفاضلين والاصوليين المحققين النظار المدققين من اهل المذاهب المذكورة الكثيرة المناقب دون غيرهم من اصحاب المذهب مع كون الواحد من السيوخ المذكورين اهل الحق يصلح لما اودع الله فيه من الصلاح لتربيه الخلق تائباً في الدعاء الى الله تعالى على بصيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اتباع سنته المنيرة على مقتضى القول الحق المبين من كلام المولى الدي اخلصوا له الدين [قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المسركين] وكذلك علماء الظاهر المذكورون من اصحاب المذاهب المذكورة عقائدهم معروفة وتصانيفهم في المسرق والمغرب مسهورة اقاموا فيها قواطع الادلة ولا يحصى عددهم الا الله ممن ائمة الاصول اهل البراهين القاطعة و الحجج الظاهرة القوية من مشاهير اصحابنا السافعية انجاب خلائق قد قدمت ذكر بعضهم في النظم اول الكتاب وسميت منهم ايضا بضعة عسر ممن لهم في الاصول تصنيف مسهور او كلام معتبر وقد ذكرت شيئا من اقوال بعضهم في هذا المختصر - و ها آنا اذكر شيئا من ذلك عن بعض من برع منهم في الامامة واشتهر *

بيان الاستدلال

على نفى الجهة والجسمية وبطلان مذهب من قال بهما من الكراميــة والحشوية ومتــــاخـــري الحنبليــة

و مخالفتهم لمتقــدمي ائمتهم اولى العقيدة الرضيــة

قال الامام المحقق النافذ صاحب البرهان المقحم والفهم الواقد استاذ المتكلمين امام الحرمين رضي الله عنه مذهب اهل الحق قاطبة ان القديم تعالى عن التحيز والتخصيص بالجهات قال وذهبت الكرامية وبعض الحشوية الى ان الباري تعالى عن قولهم متحيز مختص بجهة فوق - ومن الدليل على فساد ما انتحلوه ان المختص بالجهات يجوز عليه المحاذاة مع الاجسام وكلما حاذى الاجسام لم يخل اما ان يكون متساوياً لاقدارها او لاقدار بعضها او يحاذيها منه بعضه وكل اصل قاد الى تقدير الالٰــه او تبعيضه فهو كفــر صراح - ثم ما يحاذى الاجرام يجوز ان يماسها وما جازت عليه مماسة الاجسام ومباينتها كان حادثا اذ سبيل الدليل على حدث الجواهر قبولها للمماسة والمباينة - فان طردوا دليل حدث الجواهر لزم القضاء بحدث ما اثبتوه متحيزاً .ان نقضوا الدليل فيما الزموه انحسم الطريق الى اثبات حدث الجواهر - قلت يعنى فيلزم القول بقدم العالم - ولم يقل بذلك احد من المسلمين وانما قال به الفلاسفة ومن وافقهم من سائر الملحدين - وقال ايضا بعد ما ذكر الظواهر قد صرى بالاستزواج اليها

الحشوية - قال ومما يجب الاعتناء به معارضتهم بآيات يوافقون على تاويلها حتى اذا سلكوا مسلك التاويل عورضوا بذلك السبيل فيما فيه النزاع فاذا استدلوا بظاهر قوله سبحانه وتعالى [الرحمن على العرش استوى] فالوجه معارضتهم بآي يوافقوننا على تاويلها منها قوله تعالى [وهو معكم اينما كنتم الآيه] فنسا يلهم عن معنى ذلك فان راموا اجراءه على الظاهر حلوا عقد اصرارهم في حمل الاستواء على العرش على الكون عليه والتزموا فضائح لايفوبها عاقل وان حملوه على كونه بمعنى الاحاطة والعلم فقد سوغوا التاويل ولم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة وذلك سائغ في اللغة اذ العرب يقول استوى فلان على الملك والممالك اذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب وفائدة تخصيص العرش بالذكر انه اعظم المخلوقات في ظن البرية فنص الله تعالى عليه تنبيهاً بذكره على ما قال ثم الاستواء بمعنى الاستقرار ينبئ عن اضطراب سابق والتزام ذلك كفر ثم لا يبعد حمل الاستواء على قصد الاله الى امر في العرش و هذا تاويل الامام سفيان الثوري رضي الله عنه واستشهد عليه بقوله تعالى [ثم استوى الى السماء وهي دخان] معناه قصدالیها قال فان قيل هل لا اجريتم الآية على ظاهرها من غير تعرض للتاويل مصيرا الى انها من المتشابهات التي لا يعلم تاويلها الا الله سبحانه - قلنا ان رام السائل اجراء الاستواء على ما ينبئ عنه ظاهر اللسان و هو الاستقرار فهو التزام التجسيم و ان يسكك في ذلك كان في حكم المصمم على اعتقاد التجسيم - و ان قطع باستحالة الاستقرار فقد زال الظاهر والذي دعا اليه من اجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له واذا أزيل الظاهر قطعا فلا بعد في حمله على محمل قويم في العقول مستقيم في موجب الشرع والاعراض عن التاويل حذارا من مواقعة محذور في الاعتقاد يجر الى اللبس والايهام واستزلال العوام وتطرق الشبهات

الى اصول الدين وتعريض بعض أي من كتاب الله لزحم الظنون قال والمعنى بقوله عزو جل [واخر متشابهات الآية] مراجعة منكري البعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعجال الساعة والسوال عن منتهاها ومرساها وموقعها - والمراد بقوله تعالى [وما يعلم تاويله الا الله] اى وما يعلم مآله غيره ويشهد لذلك قوله تعالى [هل ينظرون الا تاويله] والتاويل فيها محمول على الساعة باتفاق الجماعة - قلت فهذا ما جمعته من مواضع متفرقة من كلامه في كتابه الارشاد - و قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتابه المستصفي الصحيح ان المحكم يرجع الى معنيين احدهما المكشوف المعنى الذي لا يتطرق اليه اشكال واحتمال والمتشابه ماتعارض فيه الاحتمال الثاني ان المحكم ما انتظم و ترتب ترتيبا مفيدا اما على ظاهر او على تاويل ما لم يكن فيه متناقض و مختلف لكن هذا المحكم يقابله المثبج والفاسد دون المتشابه و اما المتشابه فيجوزان يعبر به عن الاسماء المشتركة كالقرء و لقوله تعالى [الذي بيده عقدة النكاح] وانه مردود بين الزوج والولي و كاللمس المردد بين المس والوطء قال وقد يطلق على ماورد في صفات الله تعالي مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج الى تاويله انتهى - قلت والاصح عند ائمتنا ان المتشابه يعلم تاويله الراسخون في العلم وان الوقف على قوله تعالى والراسخون في العلم معطوفاً على قوله سبحانه [وما يعلم تاويله الا الله] لانه يبعد ان يخاطب الله عباده بما لاسبيل لاحد من الخلائق الى معرفته - وقد اتفق اصحابنا وغيرهم من المحققين انه يستحيل ان يتكلم الله تعالى بمالايفيد ولا على القول الاصح يكون يقولون حالا فد تم الكلام دونه اى يعلمون تاويله حال كونهم قائلين امنا به - و تخصيص المعطوف جائز بحيث لالبس مثل [ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة] و مما يؤيد ماذكره امام الحرمين في تفسير المتشابه - ما ذكره الامام ابوالحسن الواحدي في تفسيره - ان المراد ما تشابه على اليهود وهي حروف

التهجي في آوايل السور - و ذلک انهم اولوها على حساب الجمل - وطلبوا ان يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الامة فاختلط عليهم واشتبه قال ابن عباس " وابتغاء تاويله طلب مدة اجل امة محمد صلى الله عليه وسلم " *

رجعنا الى ما كنا بصدده - قال امام الحرمين وصرحت طوائف من الكرامية بتسمية الباري جسماً ثم استدل على بطلان ذلک - قلت و سياتي الاستدلال واقامة البرهان على بطلان مذهب من قال بهذا واستحالة كونه تعالى جسماً او جوهراً او عرضاً في شرح الابيات الآتيات - قال امام الحرمين بعد اقامة البرهان على بطلان مذهب القائلين بالتجسيم - فان قيل اذا لم يمتنع تسمية الاله نفساً - كما دل عليه قوله تعالى [تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسک] فلا يبعد ايضاً تسميته جسما - قلنا لايسوغ القياس في اثبات اسماء الرب اذ لو ساغ ذلک لساغ مثله في الجسد - على ان النفس يراد بها الوجود - ولذلک يحسن قول القائل نفس العرض والعرض نفسه ولا يحسن ان نقول جسم العرض - ثم الاصل اتباع الشرع - قال - وسبيل معالجتهم في الكلام ان نقول الجسم هوالمؤلف بحقيقة اللغة فاصل الجسم يدل على اصل التاليف - فاذا سميتم الباري تعالى جسماً - واثبتم له حقائق الاجسام فقد تعرضتم لامرين اما ان تنقضوا دلالة حدث الجواهر فان مبناها على قبولها للتاليف والمماسة والمباينة واما ان يطردوها ونقضوا بعيام دلالة الحدث في وجود الصانع و كلاهما خروج عن الدين - ومن زعم منهم انه لايثبت للباري تعالى احكام الاجسام - و انما المعنى بتسميته جسماً الدلالة على وجوده فان قالوا ذلک - قيل لهم لم تحكمتم بتسميته ربكم باسم ينبئ عما يستحيل في صفته من غير ان يرد به شرع ويستقر به سمع - وقال الشيخ ابو اسحق السيرازي رضي الله عنه ان الله تعالى ليس بجسم لان الجسم هو المؤلف وكل مؤلف لابد له من مؤلف وليس بجوهر لان الجوهر

لايخلو من الاعراض كاللون والحركة والسكون وليس بعرض والعرض الذي لا يكون ثم يكون ولايبقى وقتين - قال الله عزوجل [هذا عارض ممطرنا] اي لم يكن وكان وما لم يكن فكان فهو محدث - وقال الامام ابو حامد رضي الله عنه في صفة الباري تعالى - ليس بجسم اذالجسم عبارة عن الموتلف من الجواهر والجواهر يستحيل خلوها عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار والتخصيص بالاحياز - وهذه سمات الحدث و لو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر اولشيء آخر من اقسام الاجسام - وقال ايضا لو كان تعالى فوق العالم لكان محاذياً له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر و كل ذلك تقدير يخرج الى مقدور ويتعالى عنه الخالق المدبر - فاما رفع الايدي عند السوال الى جهة السماء فهو لانها قبلة للدعاء وفيه ايضا اشارة الى ماهو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا - فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء - وقال ايضا في الاستواء مستو على العرش بالمعنى الذي ارادة بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولايتطرق اليه سمات الحدث والفناء وهوالذي اراد بالاستواء الى السماء حيث قال [ثم استوى الى السماء وهي دخان] وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر : * شعر *

فداستوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وقال الشيخ الامام المكين سلالة سر الصالحين وعمدة المحدثين شيخ الاسلام قطب الدين محمد بن شيخ الامام العارف ابي العباس احمد بن علي القسطلاني رضي الله عن الجميع - العجب ممن ينتمي الى اهل السنة ويتعرض للاقتداء بالسلف الصالح منهم ويعتمد على ما ورد في الكتاب والسنة كيف يخالف فوه قولهم وينتهي الى ما لم يرد عن السادة المقتدى بهم

من الخوض في كيفية الكلام - فيزيد فيه بحرف وصوت ولم يرد ذلك صريحاً في كتاب ولا سنة و يستند على اثبات المقطوع به بالمظنون من الاحاديث المتضادة المتون او في كيفية الاستواء ويزيد مستو على عرشه بذاته ولم يرد ذلك في كتاب ولا سنة او في كيفية النزول ويريد فيه تنزيل بذاته و انما ورد ذلك في الكتاب والسنة مطلقاً - قال وكذلك ما ورد في الصفات من المجيئ والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والعين والغضب والرحمة وغير ذلك يجب الايمان به من غير زيادة على ما ورد قال وما اتى احد من الفرق المخالفة للحق الا من القصور في فهم لغة العرب والجهل بالفرق بين الالفاظ التي يتطرق اليها الاحتمال من العموم والخصوص والمجاز والاضمار والاشتراك والاطلاق والتقييد والاجمال والتاويل الى غير ذلك مما هو مشهور في الكتاب والسنة وشهدت به لغة العرب فتوقفت افهام طائفة من حذاق النظار ونظار الحذاق الى الجمع بين ما ورد من الالفاظ المقتضية للتغاير عند العرض على الكتاب والسنة ولغة العرب والعقل فاضطروا الى التاويل وصرف اللفظ عن ظاهره لقيام الدليل فاعملوه ونسبوا من حاد عنه الى الضلال عن سواء السبيل قال وتبلدت اذهان طائفة أخرى فساءوا ورأوا وفيما رامو خابوا فحملوا الالفاظ على حقائقها فشبهوا وجسموا واعتقدوا انهم بذلك قد غنموا وسلموا وما بدين الله القويم اسلموا ثم ذكر ان فرقة أخرى توقفت واخذ في مدحها ونسبتها الى الصواب مشيرا بذلك الى مذهب اكثر السلف وسياتي ذكره ان شاء الله تعالى في كلام الامام محيي الدين - وقال الشيخ الامام بقية العلماء الاعلام مصابيح الظلام ذو النسخ السديد والثناء الحميد تقي الدين بن دقيق العيد رضي الله عنه في الظواهر الموهمة متى ورد شيء من الايات والاحاديث وكان التاويل الذي فيها من المجاز البين السائغ في لسان العرب المشهور فالحق انا نتاول

و لا نتوقف و ان كان مجازاً بعيداً شاذاً في لسان العرب قليل التداول فالحق مذهب الاثرية و هو ان يكل علمه الى الله تعالى و لايتعرض لتاويل مع القطع بان ظاهره الذي يوهم مستحيلا غير مراد و ان كان مما استوى فيه الامران فالاختلاف في جواز التاويل وعدمه يكون مسئلة فقهية اجتهادية و الامر فيها ليس بالخطر بالنسبة الى الفريقين *

و قال الامام علم الاعلام حجة الاسلام الحبر الماجد ذو المعالي ابوحامد الغزالي رضي الله عنه ما اسهل على العارف ارشاد الجاهل بان يقول ان كان المراد من النـــزول الى سماء الدنيا ليسمعنا مما سمعنا فلا فائدة في النزول *

و قال الامام الفاضل العالم العامل علم العلماء الورعين والزاهدين محيي السنة و موضح معالم الدين ابو زكريا النووي رضي الله عنه في شرح صحيح مسلم في قوله صلى الله عليه و سلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له الحديث قال هذا الحديث من احاديث الصفات و فيه مذهبان مشهوران للعلماء و مختصرهما ان احدهما و هو مذهب جمهور السلف و بعض المتكلمين انه يؤمن بانها حق على ما يليق بالله تعالى و ان ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد و لا نتكلم في تاويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى من صفات المخلوق و عن الانتقال و الحركات و سائر سمات الخلق *

قلت هذا كلامه في المذهب الاول بحروفه و قوله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق و عن الانتقال و الحركات و سائر سمات الخلق مما يويد ما صرح به بعض ائمة اهل الحق انه لايكفي ان يقال

امدا بمراد الله عز و جل و مراد رسوله صلى الله عليه و سلم مع اعتقاد شيء
من السمات المذكورات كما بقوله كثير من الحشوية و بواطنهم مبطونة على
التشبيه بشيء منها كالقول بالجهة و الحرف و الصوت و غير ذلک مما هو
من سمات الحدث و صفات المخلوقين و ليس قولهم ذلك باللسان مع
انطواء قلوبهم على التشبيه المذكور ليزحزحهم عن الوقوع في المحذور سوى
يسير تدليس sic لا يجوز الا على مغرور - و ممن صرح بانه لا يكفي ما ذكرنا
الشيخ الامام مفتي الانام و عالي المقام عز الدين عبد السلام رضي الله عنه
في اجوبته عن المسائل الجبليات اعني التي ارسل اليه بها من جيلان
مع ان ذلک واضح لا يختلف فيه من اهل الحق اثنان - و معلوم بقواطع
البرهان و باهيک بهذين الامامين المذكورين السيدين الكبيرين الوليين
المشكورين اطلاعا و تحقيقاً و اتباعاً و توفيقاً و قد قدمت قريباً قول امام
الحرمين المحقق النقاد ان التشكيک كالتصميم في الاعتقاد - رجعنا الى
كلام محي الدين في حكايـــة المذهبين قال و الثاني مذهب اكثـر
المتكلمين و جماعة من السلف و هو محكى عن مالک و الاوزاعي رضي الله
عنهما انها يتاول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تاولوا هذا
الحديث تاويلين احدهما تاويل الامام مالك بن انس وغيره معناه تنزل
رحمته تبارک و تعالى اوامره او ملائكته كما يقال فعل السلطان كذا اذا
فعله اتباعه بامره - و الثاني على سبيل الاستعارة و معناه الاقبال على
الداعي بالاجابة و اللطف و الله اعلم انتهى *

قلت و قد تبع الظواهر بعض الحشوية و استدل بها و تبعها ايضـــاً
بعض علمائنا و اولها و تبع كثيراً منها كثير من ائمتنا من كل امام جليل
بكل تاويل جميل منبهين بما ظهر لهم من التاويل على الباقي المسكوت
عنه خوف التطويل و لما ذكر تاويل آيات من ذلك امام الحرمين مع

احاديث وردت في الصحيحين قال و من احاط بما ذكرناه لم يصعب عليه مدرك تاويل ما يسأل عنه بعد التثبت و عدم الابتدار الى تاويل كما يسال عنه من مناكير الاحاديث - قال و لو اضربنا عن جميعها لكان شائعا انتهى *

قلت ولهذا اضربت عن ذكر الجميع - و لما سياتي من اختياري ترك تعيين التاويل اعني عدم القطع بواحد بعينه لعدم القاطع من الدليل و قد اقتصرت هنا على هذا المذكور من اقوال هذه الائمة السادة الاجلاء مرشدي الامة اعلام الهدى و مصابيح الظلمة - و اذ قد ذكرت معتقد ائمتنا من الاولياء و العلماء رضى الله عنهم في ذلك و هو مذهب اهل السنة من السلف و الخلف فها انا اذكر معتقدي معهم على وجه الاختصار و حذف حجج الاصوليين النظار - فاقول و بالله التوفيق الذي نعتقده ان احاديث الصفات ليست على ظاهرها و ان لها تاويلات تليق بجلال الله و لا نقطع تعيين تاويل منها بل نكل ذلك الى العليم الخبير الذي ليس كمثله شئ و هو السميع البصير و هذا توسط بين المذهبين المذكورين فلا نقـــول بترك التاويل و لا نقطع فيه بالتعيين بل يحتمل تاويلا يليق بجلال الله تعالى نكل تعيينه الى علمه جل و علا و كذلك نعتقد ما اعتقده العارفون و العلماء انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي قاله و بالمعنى الذي اراده استواء منزهاً عن الحلول و الاستقرار و الحركة و الانتقال لا يحمله العرش بل العرش و حملته محمولون بلطف قدرته لا يقال اين كان و لامتى كان و لا مكان و لا زمان و هو الآن على ما عليه كان تعالى عن الجهات و الاقطار و الحدود و المقدار لايحل في شئ و لا يحله شئ [كل يوم هو في شان] في افعاله لا في ذاته و صفاته لا يهتدى عقول العقلاء الى ادراك معرفة كنه ذاته المقدسة و صفاته العظماء [يعلم ما بين ايديهم و ما خلفهم و لا يحيطون به علما] -

قلت و هذا القدر فيما يتعلق بالجهة كاف و قد ذكرنا فيه نفي التجسيم و التركيب و المقدار و التقدير عمن ليس كمثله شيء و هو السميع البصير و قد رأيت ان انبه هنا على شيء من المنامات المباركات المرأى الصالحات التي هي من اجزاء النبوات و الاسرار الالهيات *

ذكر منامات يتعلق بما نحن بصدده من تقدسه تعالى عن سائر الجهات وغير ذلك مما يؤكد صحة جميع العقائد الاشعريات و ان كانت لا تحتاج الى تاكيد لظهورها و قيام البراهين القاطعة على صحتها و لكن ذلك مما يزيد الصدور انسراحاً مع ما قدمت من موافقة الشيوخ الذين اوتوا علما لدنيا و صلاحاً فمن ذلك ما تقدم من رؤياه الشيخ الامام ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه و سلم و قوله صلى الله عليه و سلم له يا ابا الحسن و امره له بتامل الادلة ثم لما تبصر و تامل رجع عما كان يعتقده في الاول و لا شك ان هذا اعتناء به و ارشاد الى الحق و انه امام للهدى موفق و كذلك ما تقدم من رؤيا الشيخ الكبير القطب الشهير ذي المقام العالي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه من مباهاة النبي صلى الله عليه و سلم بالامام حجة الاسلام ابي حامد الغزلي رضي الله عنه و رؤيته جلد النبي صلى الله عليه و سلم للمنكر عليه و كذلك ما تقدم ايضاً من رؤيا استحسانه صلى الله عليه و سلم و صاحبيه رضي الله عنهما لكتاب الاحياء مع اشتماله على العقيدة الاشعرية الحسناء و بذلك رأى بعض الاخيار من اهل العلم في المنام الامام المحدث احمد بن ابي الخير اليمني رضي الله عنه جالساً مع النبي صلى الله عليه و سلم و لم يعرفه الرائي فسأل النبي صلى الله عليه و سلم عنه فقال صلى الله عليه و سلم هذا من هو على سنتي حتى مات احمد بن ابي الخير اخبرني بهذا عن رائي المنام المذكور من هو بالخير و الصلاح مشهور *

قلت و ناهيک بهذه الشهادة منه صلى الله و سلم له باتباع سنته مع كونه اشعري الاعتقاد و هذا لما نحن بصدده موضع الاستشهاد و ما ذكرت من معتقده مشهور معلوم لاينكره من يعرفه من الخصوم *

و لقد استشارني بعض فقهاء اليمن في عقيدة يركن اليها و يعتمد عليها فاشرت عليه بعقيدة الفقيه الامام عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه خوفا عليه من عقيدة القائلين بالجهة و الحروف الذين اعتقادهم في بعض جبال اليمن معروف لما في العقيدة المذكورة من الرد عليهم و الطعن فيهم *

فاخبرني انه قد اشار عليه امام الحديث احمد بن ابي الخير المذكور المشهود له باتباع السنة المشكور فاعجبني ذلک من امام في علوم الحديث ماهر مع كون طائفة مع المحدثين يعتقدون الظاهر *

قلت و من ذلک ما اخبرني بعض الصالحين انه ذكرني عند اناس في بعض البلاد التي يسكنها الحشوية فقالوا ذلک اشعري - قال فوقع في نفسي من كلامهم شيء قال فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم في المنام تلک الليلة فقلت له ما تقول في فلان فاجابه صلى الله عليه و سلم بحمد الله بما لست له باهل سوى محض الجود و الفضل مما اكره ان اذكره و لا أراني قدره و من ذلک ايضا ما شهد به فقير مشكور صالح مشهور من ذوي الاحوال والنور انه شاهد النبي المكرم صلى الله عليه و سلم خرج هو و صاحباه رضي الله عنهما من القبة الشريفة البهية و حضروا معنا في حال سماع بعض كتبي المشتملة على طريقة الصوفية اولي المقامـــات العليه و على العقيدة الاشعرية و جلس صلى الله عليه و سلم و وجهه كالبدر المنير في الروضة الرضية و احد صاحبيه عن يمينه و الاخر عن شماله فلما انقضى مجلس السماع و دعوت اخر الاجتماع التفت صلى الله عليـــه

و سلم الى الذي على يمينه و تبسم في وجهه ثم قاموا فدخلوا في القبة التي منها خرجوا *

و من ذلک ايضا ما اخبرني بعض المشائخ انه رأى النبي صلى الله عليه و سلم في ليلة جمعة و في يده اعني الرائي كتاب آخر من كتبي مستمل على ما للاشعرية من الاعتقاد و سيرة الصوفية و العباد - و هو كتاب الارشاد فامره صلى الله عليه و سلم ان يقرأه عليه فقرأ عليه بعضه - ثم اجازه صلى الله عليه و سلم روايته *

قلت فلما اخبرني الرائي بذلک طلبت منه اجازته فلما اجـــازني صارت اجـــازتي لكتابي المذكور من جهتين ذواتي درجتين متباينتين البعدى منهما هي القريبة العالية و الشريفة العالية *

و من ذلک ايضا اني سمعت في المنام و انا في بعض السياحات في بعض البلاد ناسا يتجادلون في مسئلة الجهة في الاعتقاد و اذا واحد منهم يقول ان لم يكن جهة فليس للموجود صانع - تعالى الله عن ذلک القول ثم بعد ساعة سمعت صوت انسان يعاقب و هو يصرخ ثم جاء ناس فسألت بعضهم عن ذلک الذي يصرخ من هو فاخبروني انه الشخص المعتقـــد الجهة الذي قال القول المذكور - ثم رأيت كاني في طريق واسع و اذا قد دهمني جند كانهم عسكر سلطان ركبان على جبل وحدها او معها هجان و لهم هيئة و هيبة و هم يمسكون الناس و يمتحنونهم في اعتقادهم فداخلني منهم خوف و خشيت ان تمسكوني فمروا بجنبي و قالوا لي اثبت على اعتقادک فانت على الحق - و لم يتعرضوا لي بمكروه فذهب عني الروع ثم ذهبوا فرأيت بقربي بئرين - و حضرة كالبساتين او المزارع هناک - و اذا انسان يقول هذه بئر فلان و ذكر بعض العلماء - ثم قال لي حسبت انه

اوسع او قال اغور ماء من البئر الاخرى واشار الى انه اخطأ في اعتقاد هم - ثم استيقظت و افكرت في منامي ففهمت ما فيه من الاشارة الى البئرين و نسبة احداهما الى الرجل المذكور و احتصاصه بها من بين الناس و ظنه انها خير من البئر الاخرى - ثم ذكرت بعد ساعة ان الشخص المذكور باعتقاد الجهة مشهور مخالف للجمهور و قد تبعه كثير من الفقهاء والعوام في بعض بلاد الشام ففهمت عند ذلك معنى ذلك *

قلت و من ذلك ايضا و الحمد لله منامات اخرى صالحات كثيرات جدا و ها انا اذكر منها على وجه الاختصار و الايجاز ما فيه كفاية وهو انه صلى الله عليه و سلم سمى بعض الناس اماما و شيخا و مسح على راسه و دعا له و اخبر انه سيكون من اهل الولاية مع كونه اشعري الاعتقاد و الحمد لله المنان الجواد و صلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي الكريم المصطفى و على آله و صحبه و سلم و جزاه عنا افضل الجزاء *

قلت و قد اشرت ايضا الى ما قدمت من استحسانه صلى الله عليه و سلم لاحياء علوم الدين مع اشتماله على العقيدة القدسية الاشعرية الوضحة و اشتماله ايضا على طريقة المشائخ الصوفية اهل المقامـــات العلية في القصيدة المسماة بالطراز المذهب في مدح الثلثة العلماء الاولياء المنتفـع بكتبهم من بين ائمة المذهب مع تخصيص الشيخ الامام ابي اسحق و كتابة المهذب رداً لقول من طعن فيه وبهت و افترى و كذب و قدح في منصبه الشريف و مرتبته العلية زاعما انه ليس فيه شيء من المسائل الفقهية امـا حسداً او غباوة او عصبية و هي هذه   * قصيدة *

اذالعـــر عــــن عـر المســـائل سائـــل

و قال امتفي اين استقـــرت فجـــوب

و قل عزها عن در فقه تبسمت
ملاح الحلي حلت كتاب المهذب
عذاري المعاني قد زهت في خدورها
على غير كفوء لازمات التحجب
ذراري ابي اسحق اكرم بسيد
امام نجيب للبعيد مقرب
بمدح غلاة لا افوم و ادما
اذب مقال الطاعن المتعصب
فيولا و اقبالا حطته سعادة
فاضحى لطلاب كيافوت مطلب
تصانيفه كم من امام و طالب
بها انتفاع في شرق ارض و مغرب
و ما ذاك الا عن عطاء عناية
و تخصيص فضل لا ينال بمكسب
كذا السعد و المجد المباهى بفضله
فكم حجة الاسلام تعلو بمنصب
و يكشف عن زاهي ملاح معالم
نقاب يخباها المصون المحجب
و في اليمن محي الدين محمود سيرة
مليح المعاني و الصفات المخيب
امام مفيد موضح نهج سنة
جميل ثناء طيب الذكر مطرب

(sic) بلاد هم كل حطي و نعلي حلا
زهت بجمال للخليفة معجب
طوار المعالي و المعالم مذهب
عليها و من زانت بها غير معجب
بهم سارت الركبان و الكون قد حدا
سوكب الهوى حب الثلثة مدهب
ترى الخلق يهوى نحوهم بقلوبهم
لحب جمال مدهش العقل مذهب
كان حلا هم سار سلطان حسنها
نجيش هوى في كل قلب و موكب
و تاوى لمغناطيس سر جمالها
الى حسن معناها قلوب الورى اجذب (sic)
سوى حشوى غير كفوء فانها
بحجب الظواهر عنه ذات تحجب
و لم يرض الاكل كفوء محقق
يغوص على غالي جواهر مطلب
و ينظمها عقداً نجيد عقائد
كقدسية الاحياء الدي استحسن الغبي
وبادر في جلد لمنكر كونه
على السنة الغراء نصرالمغضب
امام هدى مع مدحه لكذابه
باديت في قدح لحق مكذب

بايلام سوط فيه عشرين ليلة
و خمسا سقيم القلب و الجسم متعب
وتوبه من بعد ذا - لسعادة
ماكرم به من ناصر ومتوب
وفي مدحه الاحياء اصدق شاهد
لنهجيين كم بدر منير وكوكب
أضاء هما نهجي هدى اشعرية
وصوفية اهل الصفا والتادب
كذا شاهد ايضاً اجارة مصطفى
كتابي له الارشاد و سم مطلب
مكم شاهداً اعلى الكتابين بالهدى
و كم مدح النهجين مدحة مطنب
و ممدوح خير الانبياء و مختاره
هما من علا التعديل في عال منصب
و هذا الذي قدمت دروية ثانيا
باسنادنا العالي الصحيح المصوب
عن الشاذلي مع سادة بين صادق
مريد و صديق مراد مقرب
مراء عن الهادي الذي من راه فقد
راه على التحقيق غير مكذب
عليه صلوة الله ثم سلامه
يضوعان نشرا فوق مسك و زرنب

تذاهب ونهج الاشعري شعارها
وحال الصفا قال التصفوف مذهبتي
فان هي قد نالت مطابقة اسمها
طراز المعالي والمعالم مذهب
فذاك بحمد الله تيسير قادر
لنا جالب لليسر والعسر مذهب
وان لم يذل فالعيب من نسج فاصر
حقير فقير يافعي الاصل مذنب
يروم حيا منهل وابل خاطر
ومخصب روض القلب يدعو المجدب
وقت اربعين الحمد لله ختمها
يفوح بطيب للوجود مطيب

قال ائمتنا وقد صرح الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ان كل ما اوجب بقضاء او حدث - فالله تعالى منزه عنه حقيقة قالوا والتركيب والهيئة والمقدار يوجب حدوثا ونقصا - اذ ذلك يحتاج الى فاعل مركب ومقدر محدد محدودا بحد وغير ذلك من صفات المخلوق التي تقدس الاحد الصمد قالوا ومتاخر الحنابلة غلوا في دينهم علواً فاحشا - وتسفهوا سفها عظيما وجسموا تجسما قبيحا وشبهو الله تعالى بخلقه تشبيها شنيعا - وجعلوا له من عباده امثالا كثيرة حتى قال الامام القاضي ابوبكر بن العربي المالكي رضي الله عنه في كتابه العواصم اخبرني من اثق به من مسيختي ان القاضي ابا يعلي الحنبلي كان اذا ذكر الله سبحانه يقول في ما ورد من هذه الظواهر في صفاته تعالى الزموني ماشئتم - فاني التزمه الا اللحية والعورة *

قال بعض ائمة اهل الحق وهذا كفر قبيح واستهزاء بالله تعالي شنيع - و قائله جاهل به تعالى لا يقتدى به ولا يلتفت اليه ولا هو متبع لا مامه الذي ينتسب اليه و يتستر به بل هو شريك للمشركين في عبادة الاصنام فانه ماعبد الله ولا عرفه و انما صور صنما في نفسه متعالى الله عما يقولون الملحدون والجاحدون علوا كبيرا - ولقد احسن الامام ابو الفرج ابن الجوزي منهم حيث صنف كتابا في الرد عليهم ونقل عنهم انهم اثبتوا لله صورة كصورة الادمي في ابعاضها - و قال في كتابه هؤلاء قد كسوا هذا المذهب شيئا قبيحا حتى صار لا يقال عن حنبلي الا مجسم قال وهؤلاء متلاعبون وما عرفوا الله ولا عندهم من الاسلام خبر ولايحدثون - فانهم يكابرون العقول وكانهم يحدثون الصبيان والاطفال - قال وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام وفضح التابع والمتبوع انتهى *

و قد تقدم النقل عن الامام احمد مخالفتهم على سبيل الاجمال - و قال الامام ابوالفضل التميمي منهم فيما نقله الامام ابو بكر البيهقي في مناقب الامام احمد - و قال هو رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها - انكر احمد علي من قال بالجسم - و قال ان الاسماء ماخوذة من الشريعة و اللغة و اهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتاليف والله تعالي خارج عن ذلك كله فلم يجز ان يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية و لم يجئ في الشريعة ذلك فبطل انتهي - وهو نص ما نقل عن الامام احمد بحروفه فرحمه الله عليه قال بعض ائمة اهل الحق في هذا الكلام لما لم يستطع احد من ائمة الحق المزيد عليه قال و طوائف من الحنابلة صرحوا بانه جسم لا كالاجسام و ذلك الحاد في اسماء الله تعالى - و قد قال الامامان الشافعي و احمد رضي الله عنهما لا يوصف

الله تعالى الا بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم - قال و هذا هو الذي اتفق عليه السلف رحمهم الله انتهي *

و قال الامام بن حزم روينا عن الامام احمد في قوله تعالى [و جاء ربك] انما معناه و جاء امر ربك كقوله تعالى [هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتي امر ربك] والقران يفسره بعضه بعضا و هكذا نقله الامام بن الجوزي في تفسيره عنه *

و قال الامام البيهقي في مناقبه انبانا الحاكم قال حدثنا ابو عمر بن السماك قال حدثنا حنبل ابن اسحق قال سمعت عمي ابا عبد الله يعني الامام احمد يقول احتجوا علي يومئذ يعني يوم نوظر في دار امير المؤمنين فقالوا يجيء البقرة يوم القيامة ويجيء تبارك فقلت لهم انما هو الثواب قال الله تعالي [و جاء ربك] انما ياتي قدرته وانما القران امثال و مواعظ قال البيهقي هذا اسناد صحيح لا غبار عليه - قال وفيه دليل على على انه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب و النزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان الى مكان كمجيء ذوات الاجسام و نزولها وانما هو عبارة عن ظهور أيات قدرته فانهم لما زعموا ان القران لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والاتيان فاجابهم ابو عبد الله بانه انما يجيء ثواب قرأته التي يريد اظهارها يومئذ معبر عن اظهاره اياها بمجيئه *

قال الامام البيهقي و هذ الجواب الذي اجابهم به ابو عبد الله لا يهتدي اليه الا الحذاق من اهل العلم المنزهون عن التشبيه انتهي *

قال العلماء و قد يقتضي الحذف من التعظيم و التفخيم ما لا يقتضيه الذكر وشواهده من الكتاب كثيرة كقوله تعالى [انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله - ان الذين يؤذون الله ورسوله] و قد اجمع المسلمون على تقدسه

تعالى عن التأذي والضرر اى يحاربون عباد الله واولياءه ويوضحه قوله تعالى [فاتى الله بنيانهم] ليس المراد بذاته بالاتفاق وانما هو امره و يسهد له قوله تعالى [اتاها امرنا ليلا او نهارا] قالوا و سئل الامام احمد عن حديث النزول الى سماء الدنيا اينزل بعلمه ام بما ذا فزجر السائل وقال اسكت عن هذا مالك و لهذا امض الحديث كما روى بلا كيف ولا حد قال الله عز و جل [فلا تضربوا لله الامثال] ينزل كيف شاء بعلمه و بقدرته و عظمته احاط بكل شيء علما - قلت وقد قدمت الكلام في حديث النزول المذكور و سائر الظواهر المتعلقة بالصفات - وما نقله الامام محيي الدين النووي في ذلك عن السلف والخلف *

و قال الامام ابو الفضل القاضي عياض المالكي لا خلاف بين المسلمين قاطبة محدثهم و فقيههم ومتكلمهم و مقلدهم ونظارهم ان الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء ليست على ظاهرها و انها مأولة عند جميعهم - ثم قال لكن اطلاق ما اطلقه الشرع انه القاهر فوق عباده و انه على العرش استوى مع التمسك بالاية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في معقول سواه من قوله تعالى [ليس كمثله شيء] فيه عصمة لمن وفقه الله وهداه انتهى * وهو بعض كلامه الذي نقله الامام محيي الدين النووي عنه وقرره *

قلت وقد تقدم الكلام عن الائمة الاعلام في نفي الحرف والصوت عن الكلام فافهم ذلك والسلام ولا تحسبنا ايها المعتزلي والحشوي و من وافقكما من جميع الفرق على كون الحروف والاصوات عين كلام الحق مع الاختلاف بينكما والمباينة العظيمة في اعتقاد احدكما كون كلامه تعالى محدثا مخلوقا والآخر كون الحروف قديمة - انا اذا قلنا كلام الله مكتوب في المصاحف غير حال فيها وان هذه الرقوم المكتوبة والاسطر المنظومة ليست عين كلام الله

تعالى بل دالة عليه ومشيرة اليه انا لا نتحرم المصاحف هيهات بل نحترمه ونحترم ما جاوره ونقول يحرم على المحدث حمله ومس الاسطر منه وما بينهما من البياض ومس الحواشي والجلد والظرف اعني مادام فيه واما اذا بان عنه الظرف فلا يحرم حمله ومسه لكني مع هذا اقول ينبغي ان يحترم ظرف المصحف البائن عنه ويعظم ويجل قدره ويفخم ويوضع على الراس ويكرم ويتبرك ويقبل بالفم وننشد تمثلا نظم من اجاد فيما نظم *

امر على الديار ديار ليلى   اقبل ذا الجدار و ذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

وبيت اخر في هذا المعنى اردفته بثاني وهما هذان *

كفى شرفا اني مضاف اليكم   واني بكم أدعي وارعى و أعرف
اذا بملوك الارض قوم تشرفوا   فلي شرف منكم اجل و اشرف

قلت وفي معنى ما في المصحف من الرقوم الدالة على معنى الكلام المفهوم اقول في الاطلال والرسوم على وجه الغزل والاستعارة المستحسنة عند اهل المعارف وفهم الاشارة *

اذا من حمى الاحباب هب نسيم   ولاحت لنا اطلاله ورسوم
وفاحت لنا من ربع سلمى روائح   بها كم شجي صب وعاش سقيم
نحن الى معنى بهي مخير لمعنى رضي في الحبيب قديم
نترجم عن مكنون حكم وحكمة   ووصف كمال في الربوع رقوم
وحين نرى تلك الرقوم نواطقا   بكل مليح من حلاه فهيم
و نعري به نل بالرسوم لمدحها   غلاة غرام للقلوب غريم
كما ترجمت مضمون سر واخبرت بمكنون حسن بالجراء يقوم
لئن كان منها مطرب ومشوق   لنا ولها منا هوى ولثوم

وان خصها ممدوحها بجلالة و يمن ممنا حرمة و لزوم
على باب معناها نغني بمدحها و حول حماها لا نزال نحوم
نعفو في تلك الرسوم خدودنا لعل المنا منها تلوح نجوم
و يبدو من المعني المضيء جماله قديماً و تمسي و الحبيب نديم
و نسقي مداما لم يدقها عذولنا فيضحي على مالم يذقه يلوم
و لو ذاق طعم الراح او شم ريحها لامسي على العذر الدليل يقيم
ارى الحب لا يدريه الا مجرب على ما يعاني من عناه يدوم
كذا الوصل لا يدريه الا مقرب حطاه اعتناء بالحبيب قديم
اخا الحب دم بالباب ان رمت فتحه ورج وصالا فالاله كريم

قلت و ها نحن من التلويح والتورية عن المقصود الى التصريح الذي كنا بصدده نعود فنقول ايضاً و كما ان الله تعالى لايشبهه شيء كذلك لا يشبه كلامه كلام ولا يتوقف سماع كلامه سبحانه على الحروف و الاصوات كتوقف كلام سائر المخلوقات *

بيان دفع الاعتراض و رفع الاشتباه

في قوله تعالى [حتى يسمع كلام الله] والفرق بين القراءة و المقرو و التلاوة و المتلو اما ما ذكر السائل من الاعتراض الذي لا يزال مخالفونا يعترضون به علينا و هو قوله تعالى [و ان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله] و ما زعم من ان الله تعالى اخبر ان هذه الا حرف كلامه دون ان يكون شيء اخر كلام له هكذا قال السائل و صوابه كلاماً بالنصب كما تقدم فقوله ان الله اخبر ان هذه الاحرف كلامه غير صحيح لما تقدم من الادلة و اقامة البرهان على كون الحروف مخلوقه و كون كلامه تعالى غير مخلوق بل صفة له قديمة كسائر الصفات و نحن نعلم ان لسان

القاري مخلوق و قدرته على القراءة مخلوقة و اصواته و ما اشتملت عليه
من الحروف مخلوقة فكيف يكون ما هو مخلوق و آلته التي حصل بها
مخلوقة عين كلام الله القديم بل اذا حكى انسان كلام مخلوق لا يكون اصواته
و حروفه عين كلام المحكي عنه بل حاك معنى كلامه و مضمون ما اشتمل
عليه و مع هذا اذا سمع من الحاكي يصح ان يقول سامعه سمعت كلام
فلان اعني المحكي عنه - فكذلك كلام الله تعالى فصح لنا ان نقول
سمعنا كلام الله اذا سمعنا قراءته بحروف و اصوات دالة عليه فيحتمل ان
يكون قوله تعالى [حتى يسمع كلام الله] اي حتى يسمع قراءة كلام الله
الدالة عليه او حتى يفهمه كما يقال سمعت الحق من فلان اذا سمع منه
ما يدل على ذلك و فهمه - و حذف المضاف و اقامة المضاف اليه
مقامه له في العربية استعمال صحيح بل ذلك من المجاز الشائع في
الكلام الفصيح بل واقع في اصح الكلام و افصحه و افضله و ارجحه و اجمله
و املحه كلام الحكيم المجيد و من ذلك قوله عزوجل في القران المجيد
[محلقين رؤسكم و مقصرين] اي شعر رؤسكم [و اسئل القرية] اي
اهلها * قلت و اذا صح ما ذكرت من حذف المضاف و اقامة المضاف اليه
مقامه صح حمل سماع الكلام المذكور على القراءة و تعين حمله عليها او على
الفهم لامتناع سماع المعنى القائم بذاته تعالى من غيره عزوجل - و قد
علم ان القراءة غير المقرو و التلاوة غير المتلو * فان قيل ما الفرق بينهما قلنا
الفرق ظاهر - و كذلك الكتابة غير المكتوب و الحفظ غير المحفوظ - كما ان
الذكر غير المذكور و العبادة غير المعبود فكما ان الله سبحانه مذكور الذاكرين
على الحقيقة كذلك كلامه مقرو القاريين حقيقة - و كما ان الذكر مخلوق
والمذكور قديم كذلك القراءة مخلوقة والمقرو قديم * اذا علم هذا فالقراءة هي
المسموعة المشتملة على الحروف و الاصوات المخلوقة الدالة على المقرو

و كذلك التلاوة و المقرو - و هو المدلول المفهوم المدرك المعلوم بالقراءة المذكورة القديم القائم بذات الله تعالى فكلام الله هو المقرو و هو المتلو و هو القرآن *

قلت و من الدلالات على الفرق بين التلاوة و المتلو ما اشتهر من الآيات التي لاولياء الله تعالى يبدو و هو ما رواه الشيخ الجليل المقدار المشكور المشهور عبد الغفار عن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير عبد العزيز المتوفى رضي الله عنهما انه قال كنت اذا وقع لي امر اروح الى الشيخ ابي زيد الميموني فتوجهت مرة الى زيارته بالميمون و كنت اقرأ في سورة من القرآن فنسيت آية و اذا بطائر ابيض قد طار من جانب خليج الى جانبه الآخر ورد علي الآية - فلماجئت الى الشيخ ابي زيد الميموني قال ايش رأيت في طريقك يابني قلت كنت اقرأ في سورة و ذكرت القصة قال - فقال لي الشيخ فما الذي خطر لك قلت له اما ان يكون جنياً تشكل او ملكاً تمثل - فقال الشيخ لي ما هو بجني و لا ملك قلت فما هو قال هي الآية تشكلت وردت وجودها عليك - فلما كان الليل قلت في نفسي الشيخ ابو زيد يقول لي الآية تشكلت وردت وجودها عليك - و القرآن كلام الله تعالى و كلام الله قديم فكيف يتشكل فسمعت قائلا يقول لا تفس الادب على الشيخ ابي زيد الذي تشكل تلاوتك لا المتلو * قال الشيخ عبد الغفار بن نوح الانصاري القوصي المذكور - فانظر الى هذا الجواب من القائل الذي فصل في الخطاب بين القديم و الحادث اذا المتلو هو القرآن و القرآن كلام الله تعالى القديم القائم بذاته العلية و تلاوة العبد بحروف و اصوات من لهات و مخارج حادثة انتهى كلامه الذي رواه لا بسند بعيد بل عن صاحب الواقعة الشيخ عبد العزيز الحميد و ذكره في كتابه الموسوم بالوحيد في سلوك طريق اهل

التوحيد و رويته ايضاً عن ولده الشيخ احمد ذي السيرة المحمودة و الحال الشديد اخبرني بذلك تجاه الكعبة المعظمة مع اشياء يطول فيها التعديد -
قلت و قد يطلق القرآن على القراءة ايضاً ومن ذلك قوله عزوجل [لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه و قرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه] وقوله تبارك وتعالى [و لا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه] و ذلك انه كان صلى الله عليه وسلم يستعجل بقراءة ما يقرأه عليه جبريل عليه السلام من كلام الله قبل ان يفرغ من قراءته عليه خشية ان ينساه صلى الله عليه و سلم فامر الله سبحانه بترك الاستعجال و الانصات لسماع قراءته حتى تكمل و وعده بجمعه في قلبه و بيانه ومن اطلاقهم على القراءة لفظ القرآن قول الشاعر ذى الفصاحة و البيان قيل في قتل امير المومنين عثمن رضى الله عنه * * شعر *

ضحوا باشمط عنوان السجود بـه ... يقطع الليل تسبيحـاً و قرآنـا

اى و قراءة - قلت و اذا علم ما ذكرناه من اطلاق القرآن على القراءة و ثبت ذلك في كلام الله الذي هو افصح الكلام و في كلام العرب الفصحاء النظام ثبت ما ذكرناه من كلام سماع كلام الله على القراءة المستملة على الحروف و الاصوات الدالة عليه فان قيل فكيف وقف جبريل عليه السلام على الوحي حتى نزل به فاداه فجوابه ما قيل انه سمع كلام الله تعالى من الله فنزل فاداه او ما قيل انه اطلع عليه في اللوح المحفوظ فقرأ منه ما امر بانزاله فنزل فاداه قال ائمتنا و يحتمل الامرين جميعاً - و نحن نتبع في هذ الاثر و ما يرد به من الخبر فاما ان نقول من عند انفسنا شيأ ما فلا * قلت و كذلك نقول جميع كتب الله المنزلة على انبيائه عليهم الصلوة و السلام من التوراة و الانجيل و الزبور و الفرقان و سائر الصحف كل ذلك كلام الله القديم القائم بذاته و انما نسخ بسرعنا تلاوة تلك الكتب و حكمها الا ما قرره

شرعنا من الحكم المذكور و امرنا بتلاوة القران و العمل باحكامه و خالف القران تلك الكتب من حيث انها ما كانت نظومها عين معجزة و القران نظمه معجز قلب و انما كان نظم القران العظيم المنزل على الحبيب المصطفى الكريم عليه افضل الصلوة والتسليم معجزاً دون نظم كتب غيره من الانبياء الكرام عليهم الصلوة و السلام لان معجزة كل واحد من الانبياء السادة جاءت من جنس ما غلب على اهل عصره خارقة للعادة - فلما كان الغالب على اهل عصر الكليم عليه الصلوة و التسليم كثرة السحر في البلدان و السحرة كما جاءت الايات الكريمات عن الملاء من قوم فرعون مخبرة في قولهم لفرعون اللعين لما جاءهم موسى صلى الله عليه و سلم بالبرهان المبين و السلطان العظيم [ارجه و اخاه و ابعث في المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليم] اشاروا عليه بانظارهما للمناظرة و احضار كل ساحر لتبيين الغالب على رؤس الاشهاد من كل ناد وحاضر فجمع السحرة لمناظرة موسى عليه السلام من جميع المدائن و اجتمع الخلق من كل مكان لينظروا من امرهم ما هو كائن - فكان كما اخبر الله تعالى عنهم في مُحكم الايات و الذكر الحكيم بقوله سبحانه [سحروا اعين الناس و استرهبوهم و جاؤا بسحر عظيم] و قوله تعالى [فاذا حبالهم و عصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الا على و الق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر و لا يفلح الساحر حيث اتى] و قد قيل انهم كانوا سبعين الف ساحر من كل عارف بصنعة السحر ماهر و قيل اربعة الاف من كل معدود مقدم و الله سبحانه و تعالى بهم اعلم ثم اخبر عز و جل عما صاروا اليه بما سبق لهم من الحسنى بقوله تعالى [فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى] جاءهم موسى بقلب العصى ثعباناً فاتح الفم سبعين ذراعاً يتلقف ما صنعوا و يلقم - هكذا في

التفسير الذي رويناه سماعاً اعني كون الثعبان فتح فاه سبعين ذراعاً حتى بال من شدة الخوف فرعون اللعين بعد ما غض من قدر جلالة الوجه المسكين المصطفى بالرسالة و التكليم الموصوف بالرسول الكريم لما رأى عنده من السكينة و الادب مع الله و التواضع و الارتياض ولم يدر انه عند المجاهدة لمن انتهك محارم الله سيف ماض

كليم الله امضى من حسـام طغى بالطعن فيه ذو اكتذاب
مهيـن قالها الملعون يعني بها للموهف الماضي الذباب
الى من قدعصى التي عصاه فتسعى نحوه افعى نذاب
وفوهـا فاغر سبعـون ذرعاً لفـرعون ابالت في الثياب
فاضحـى ملكـه يعلوه ذل وولى في تبـاب و انعطاب
و امسى تاج عز النصـر راه على دين الهدى عالي الجناب
اوا عـليائه بالفـوز بـاه بكف بالبها ذات التهـاب
بها برهانها الباهي شهيد بتصديق المخصص بالخطاب
خطاب من مدام الحب يسقى نديم الحب محمود السراب
له التنزيه من حرف وصوت وعن خلق وخلف واكتذاب

و لما كان الغالب على اهل عصر الروح المعظم المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه و سلم معاناة الطب و ممارسة الحكم جاءهم بابراء الاكمه و الابرص باذن الله و احياء الرمم و ايجاد طير من الطين بعد العدم

باذن الله كـم احيا لميت وكـم طيرا برأه من تراب
و كم من حكمة ابدا محارت بها كم من نهي ذات اعتجاب
و لـم لا حكمه ينسي و منها (SIC) لقد انسي به كم من عجاب
اتى من لا اب في المهد انبا كلامـاً بـاويـاً للارتيـاب
به برأ حصاناً ذات نسك بتولا طهرت مـا من معاب

ولا شين و لانقص بها بــــل كمال جآء من وقت الشباب

بــدأ لله بـالتنزيه اذ قا ل عبــد الله أتـى بالكتــاب

مسى في الزهد تبلا ضيقات على الزهاد صعبات الدهاب

بـــلا سقــف مكن او انــــا سوى sic كف بمسط و التراب

يرى نســكا و للدجال سفكا بمحراب و حــرب بالحراب

و لما كان الحبيب المصطفى المقدام سيد المرسلين وقدوتهم الامام و مسك القبيين المجعول في الختام المرسل رحمة للعالمين الدي نفعه للخلق عام السراج المنير المدهب حنادس الظلام بدر الهدى و معدن الندي و سيف العدي الصارم الحسام المغني للطعى و المبعد للسقي و الغياث للورى عند الشدائد العظام الجزيل الجدوى و المزيل للبلوى و المخصوص باللواء و المحمود المقام الشفيع المقبول الحبيب الموصون و الكريم المامون تاج مجد الكرام للورى بحر جود ذالك زين الوجود احمد المجتبى من جميع الانام كل فضل لديه فضل غير اليه راجع فعليه الصلوة و السلام مبعوثا في وسط صميم العرب العرباء الفصحاء الشعراء الخطباء المتصفين بانواع البلاغة وعلم الادب طبعاً الناطقين ببديع الكلام نثراً و نظماً و رجزاً وسجعا المفاخرين بالشعر و الخطب في جميع المجامع المناظرين في المحافل و المواسم من للفضائل جامع جاءهم صلى الله عليه و سلم بنظم معجز في أسلوب غريب مع جزالة اللفظ و براعة المعنى العجيب جامعاً بين البلاغة وغرابة الاسلوب الخارج عن اساليبهم في نثرهم و نظمهم و اراجيزهم و خطبهم متحدثا لهم به اما ان ياتوا بمثله فيدعهم و ينزع عنهم كل ما منه نقموا و اما ان يعجزوا عن معارضته فيسلموا له الرسالة و يسلموا فيسلموا و يغنموا - فنظروا في ذلك و امعنوا النظر و افكر فيه كل من عاب و حضر فعجز عنه كل من في بدو و حضر و لم يقدروا ياتوا بمثل اصغر سورة من سورة الزاهرة

لا باستقلال احدهم و لا بمساعدة و مظاهرة - و اني لهم ذلك و قد قال من لم يزل بكل شيء عليما و على كل شيء قديراً [قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا] و اخباره تعالى عن عجزهم قبل وجوده من اعظم الآيات و كذلك ما اخبر عنه في سورة الروم و غيرها من الامور المغيبات فلما عجز اولو اللسن عن المعارضة باللسان عدلوا و ما عدلوا الى المطاعنة باللسان ولو لم يعجزوا عن ذلك لما اختاروا الاشق المفضي الى المهالك من قتل الانفس و افناء الرجال و سبي الاولاد و الازواج و نهب الاموال فاعز الله دين الاسلام و نصر نبيه عليه الصلوة و السلام و ايده بالملائكة الكرام فاصبح دين الحق بنور الهدى و عز النصر باهجاً متبسما و دين الطغيان بخزي الذل و ظلمات الظلم عبوساً مظلماً و سلطانه مدبراً منكسراً و عسكره منهزماً و دين الحق عليه ظاهراً و له قاهراً * قلت و قد اشرت في بعض القصائد الى عجز ذوي البلاغة في النظم و النثر من كل معاند جاحد و الى فسر مسيلمة الكذاب في معارضته بالسخف السمج البارد ففي ما يوثر من ترهاته الركيكة التي هي اكذب من السراب في معارضة القران العظيم بافتراء الدعوي و الاكتذاب حيث يقول على ماقيل في معارضة سورة الفيل - الفيل ما الفيل و ما ادراك ما الفيل له ذنب و ثيل و خرطوم طويل و ما حكي عنه ايضاً من الترهات بقوله في معارضة سورة و العاديات - و الطاحنات طحنا و العاجنات عجنا و الخابزات خبزا و اشك هل حكي عنه و اللاقمات لقماً و غير ذلك من الهذيان الركيك الذي يمجه السمع و يستسمجه الطبع و كذلك ما حكي عنه انه جائته سجاح التي ادعت النبوة بالكذب الصراح فتزوج المتنبي بالمتنبية و كان المفتري كفواً للمفترية ثم عارض سورة عم لما في ذكره الفحش و الخنا و البساعة

و الفضاعة مما يستقبح ذوالحياء اسماعه و سماعه و كذلك اشرت فيها الى اعزاز الله دين الاسلام و اظهاره على سائر الاديان و نصر نبيه عليه الصلوة و السلام - و كذلك ما منحه من المحاسن و المناقب العظام و ما جاهد في الله هو و اصحابه الكرام حتى على منار الدين و ابتهج بالنور و ظهر و انتفى العي و انكسر كسري و انقصر قيصر وعدا وجه الكفر مسودا مظلما و راح الهدى ناهجاً بالنور مبتسماً ثم القصيدة المذكورة فيها طول و لكن المقصود منها المشتمل على ما ذكرت من ظهور دين الاسلام و ذكر شيء من محاسنه صلى الله عليه و سلم و مناقبه العظام و ذكر آله و اصحابه الكرام متعلق بعضه ببعض فكتبتها هنا على التمام تبركا بذكره عليه الصلوة و السلام و هي هذه القصيدة المسماة بالدر المنظم في مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم و في مفاخرتنا لجميع الامم *

دعا عـــذل صب في غرام الهوى العذرى

فسيان بيـــن العذل في الحـــب والعـــذر

فلـو ذقتمـــا طعـــم الهـــوى لعـــذرتمـــا

رهيـــن الضنـــى باقي العنـــا فاني الصبر

رمـــتـــه سهـــام البيـــن ما بيـــن رامـــة

الى المنحنى و الخيف و الجمر بالجمـــر

و عافيـــه في وادى العقيـــق صبـــابـــة

لصب دمـــوع و الـــغـــرام له يـــغـــرى

بخـــود مـــن الغيـــد الكعـــاب خريـــدة

بطـــرف و جيـــد الريـــم تبســـم عـــن در

اضـــاءت بهـــا الظلمـــاء لـــما تبسمـــت

بـــرق و غـــرب الارض و السهـــل و الوعـــر

الى كـنـم اوري بالغوانـــي عـــن الـــذي
بروٴيتـــه نيـــل المنـــى منـــه و اليســـر

خليلـــي عـــن ذكـــر الغـــواني تخليـــا
لذكـــر الـــذي فـــي ذكره محكـــم الذكر

و شـــد المطـــايـــا عن عنـــاق نجـــائب
تجـــوب ســـراهـــا للمهـــامـــه و القفـــر

اذا ما حدى الحـــادي نحـــن الى الذي
جرت نحـــوه للسبـــق بالقحـــرفي النحر

اذا جـــزتمـــا بالردـــع مـــن دون رامـــة
ترو مان جدوى الجـــود و السعد و البـــر

و لحظ جمـــال قـــد سبى الخلق حسنـــه
و شم شـــذا قـــد فاق للمسك و العطـــر

فامـــا حبيبـــا حـــل فى ذاك الحمـــى
ثـــوي في يسار الحـــي باليمن و اليســـر

و بالحسن و الحسنى و بالهـــدى و الهـــدى
مـــلاقى الندى و الجـــر للبـــر و البحـــر

حـــوى كـــل حسن لم ير الـــدهر مثلـــه
بخلـــق و خلـــق لا فخـــور و لا كبـــر

لقـــد فـــاق بـــدرا بالمحيا و فى الحيـــاء
اشـــد مـــن العـــذراء مكنونـــة الخـــدر

و قام على الاقـــدام طـــار شكا الحشـــا
لضـــرآء و الاقـــدام تسكـــوا مـــن الضـــر

و اعرض عن دنيا له قد تعرضت
باحجار در و التراب من التبر
و بالسمحة البيضاء اتى الخلق و اضعا
بها ما سواها للخبائث و الاصر
و حن اليه الجذع في كفه الحصى
يسبح و الينبوع من كفه يجري
و جاء باي لن يجاء بمثلها
و لا ظاهرت جن لانس تحدي الدهر
يحدي بها من حاد عنها فاخرست
جميع بلاغات من النظم و النثر
و لضرب دعاوي كاذب رام امكه
يعارضها بالسخف و السمج و القشر
و قاتل املاك السماء في مشاهد
يدنون في الهيجاء عن البدر في بدر
رقي خارقاً سبعاً طباقاً و راكباً
براقاً مفتحي كم حجاب و كم ستر
الى ان دنا من قاب قوسين عاليا
مقاماً عليا لم ينل قط في عصر
فبات يسقي من شراب محبة
مداما يرى نوراً و يخبر عن سر
و يلقى زمام الملك في كف شارب
يوليه تصريفا الى اخر الدهر

هنالك بها قال الحبيب مرامه
وعاد بتاج السعد والخلع والخضر
له الشرف الاسنى و مجد ونجدة
آزاح الطغي والعي بالبيض والسمر
فكسر بكسرى منه كيس كفائس
وفي قيصر فصر وهدم بنا قصر
بايدي سيوف سلها سابق القضاء
دواهي الدواهي تلتقي الموت بالبسر
عدا الكفر منهم اسود الوجه باكياً
وجاء الهدى بالفور مبتسم الثغر
ببيض على بيض علت كل ابيض
باكفافها بيض اولى الهجر و النصر
يصولون في الهيجاء يصلون في الدجا
يصومون في يسر يجودون في عسر
فهم خير قرن حل في خير امة
لخير نبي كامن السر بالبر
لامته فخر على كل امة
فهل شاعر منهم يفاخر بالشعر
اذا غاب حسان له من ينوبه
ويمسي الى عليا الفخار على الاثر
سل الامم الاولى نجب عن جدوتها
وتسمعك ان لم تسمع الاذن في الفسر

لمن خلع العليا من خضر سندس
بنسج العنايات السوابق للدهر
و تيجان مجد الملك و الفوز كللت
بقضبان يا قوت السعادة و الدر
و قصر رفيع السمك من ذروة العلى
مضى بني من سودد العز و الفخر
و بيض العلى يختال زهواً بحسنها
بعالى الحلى و الحلى كم خودة بكر
اذا ما وردنا فوق نجب من البهاء
و فوداً الى الرحمن في موقف الحشر
يوم لواء البدر احمد و الورى وراء
نا
استضاؤا نور انجمنا الزهر
و ذو الكفر و الطغيان و الظلم اظلمت
به طرق في أين يذهب لا يدري
و منبر نور فوقه البدر يرتقي
الى منصب فوق الورى عالى القدر
و حوض كالبان بلون و طعمه
كشهد
كبرد الثلج كالمسك في النشر
له مقام يحمد الخلق فضله
اليه عيون الصد ينظر بالسرور
و عقد لواء الحمد بالفوز معلما
و فضل سيادات التقدم في الصدر

يزيـــع الدواهي الدهـــم لمـــا تـــرادفت
عظائمهـــا و الخلـــق سكرى بـــلا سكـــرى
و فيـــها الـكـــرام الرســـل و الســـادة الملا
يقـــولون نفســـي للشـــدائـــد و الذعـــر
و حـــرم دخـــل الخلـــد من قبل امـــة
محجـــلـــة غـــر لهـــا حليـــة الطهـــر
لمـــن كـــل هذا مـــع سواها مناقـــب
مع المكـــرمات الخارجـــات عن الحصـــر
لمـــن خلقنـــا أم للذيـــن وجـــوههـــم
كلـــون الـــدجـــي ام للمحجلـــة الغـــر
ففـــا ههنـــا ثـــم أسجـــدا شكـــر نعمـــة
فلله كـــل الحمـــد و المـــن و الشكـــر
و قومـــا حـــذى المغنى الكريـــم و سلمـــا
و بثـــا الشـــكا و الدمع منهمـــل القطـــر
و قـــولا الفقيـــر اليافعـــي عبيـــدكـــم
عليكـــم جميـــع الدهـــر تسليمـــة يقـــري
و يشكـــو لكـــم ما ليـــس خـــاف عليكـــم
مـــن الحال مـــع كثـــر الاساءة و الـــوزر
و يســـألكـــم رؤياكـــم وهي حسبـــة
من العيـــش في دار السعـــادة و الحبر
مع الاصل ثـــم الفضل مـــع ذي قرابـــة
مع الشيـــخ و الاصحاب و الاهـــل و الصهـــر

إلهي بجاه المصطفى سيد الورى
امام الهدى الهادي من الحيرة البدر
اقل عثرات و اهدنا و اكشف العمى
و عاف و سلمنا من الخزي و الخسر
و صل و سلم ثم واصل تحية
على احمد ما غنت الورق و القمري
و آل و اصحاب اولى المجد و الندى
نجوم الهدى من كل ليث الوغى حبر
خصوصاً على الصديق خير خليفة
امام الهدى المقدام ذي الفضل و الفخر
و فاروقهم مفني الطغي مظهر الهدى
سراج جنان و المدلل للكفر
و ذي النور و التقوى شهيد ظلامة
و محي ظلام فارق الصحف و المقرى
و سيف القضاء الخير من طلق الدنا
ابي الحسن المولى المويد بالنصر
و باقي كرام عشرة ثم عترة
لهم شرف يغمو الى اخر الدهر
و مجموع زوجات من الرجس طهرت
اولات التقي و التابعين على الاثر
و ها هي بخلعات المفاخر و العلى
كساها جمال البدر و الامة الغر

و تمت بحمد الله مسك ختامها

بنيف على السبعين منظومة الدرر

قلت و الاعجاز المذكور في القران من وجوه * منها ما تقدم من الجمع بين الجزالة و غرابة الاسلوب و النظم المخالف لاساليب كلام العرب و منها ما اشتمل عليه من الفصاحة و البلاغة في التعبير عن المعاني الكثيرة بالالفاظ اليسيرة و غير ذلك مما فاق به كلام العرب من انواع البلاغة المعلومة في علم الادب * قلت و بيان شيء من ذلك ان العرب كانوا اذا بالغوا في الفصاحة قالوا القتل انفي للقتل القتل امنع للقتل القتل اولى بالقتل القتل احق بالقتل فكانوا يكررون هذه الالفاظ و كل واحد منها واف بالمعنى المقصود مع ما فيه من الايجاز المحمود و يدعون في ذلك الفصاحة التامة المشهورة عند العرب عامة *

فجاء في هذا المعنى من كلام الله تعالى ما هو أتم معنىً و أفود حكماً و أوجز لفظاً و هو قول الاله [في القصاص حيٰوة] قلت اما ما ذكرت من كونه اوجز لفظا فلان في كلام العرب المذكور اربعة عشر حرفاً و في المذكور من كلام الله اثنا عشر حرفاً منها حرفان ساقطان في اللفظ و هما الياء من في و الالف من القصاص اعني في الوصل بقى عشرة احرف وافية بالمراد زائدة في الترجيح على كلام العرب المذكور باثنى عشروجهاً ياتي ذكرها بعد ان شاء الله تعالى - و اما ما ذكرت من كونه افود حكماً فلان فيه ذكر القصاص و هو حكم من احكام الشرع - و أما ما ذكرت من كونه اتم معنى فلان فيه ذكر الحيٰوة المقصودة لبلوغ المقاصد المحمودة التي هي سبب لبلوغ الخير عاجلا و آجلا و الاكثار من طاعة الله تعالى و ايضا فلفظ الحيٰوة استحسن محبوب و مصرح بان في القتل ضده المطلوب * قلت و ايضاح معنى ذلك عن الايجاز و الاختصار تتضاعف حروفه اضعافاً

كثيرة نحوا من تسعة اعشار و هو ان نقول قتل القاتل المعتدي فيه من التنكيل و الزجر ما يصير سبباً لحيوة الخلق و تركهم قتل بعضهم بعضاً اعتبارا بقتل القاتل و خوف المصير الى ما صار اليه - فهذا الايضاح الذي اوضحته مع كونه مختصرا نيف حروفه على مائة حرف كما ترى - و من وجوه الاعجاز ايضاً ما سياتي ذكره - و مما روى عن بعض الاعراب انه سمع قاريا يقرأ [فاصدع بما تومر] قال اشهد ان هذا الكلام ما خرج من بشر * و روي عن الاصمعي انه سمع جارية من الاعراب تتكلم بكلام فصيح - فقال لها قاتلك الله - ما افصحك فقالت و هل ترك لنا كتاب الله فصاحة قال فقلت لها و ما الذي وجدت فيه من الفصاحة - فقالت ان فيه آية اجمعت بين امرين و نهيين و بشارتين و خبرين - فقلت لها اىّ آية هي - قالت قوله تعالى [و اوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم و لا تخافي و لا تحزني انا رآدوه اليك و جاعلوه من المرسلين] قلت و ينبغي ان يقال ايضا بعد قولها و خبرين و غيبيين و هما رده وارساله صلى الله عليه و سلم فانهما زائد ثان على البشارة والخبر فان البشارة و الخبر يوجدان مع كونهما قد وقع مضمونهما و علمه بعض الناس وليس كذلك الغيب و ينبغي ايضاً تقديم الخبرين على البشارتين ليفيد تجدده فائدة اذ ليس في ذكر الخبر بعد ذكر البشارة فائدة لان في كل بشارة خبراً و ليس في كل خبر بشارة *

قال امام الحرمين فان قيل ما وجه البلاغة في القرآن و ما وجه خروج نظمه عن ضروب الكلام - قلنا اما وجوه البلاغة فبينه لاخفاء بها و البلاغة التعبير عن معنى شديد بلفظ شريف رائق منبئ عن المقصود من غير مزيد فهذا الكلام الجزل و المنطق الفصل ثم البليغ من الكلام يتفنن اقسامه - فمنه جوامع الكلم الدالة على المعاني الكثيرة بالعبارات الوجيزة و هذا الضرب

لايعد في القران كثرة فمنه ما أنبأ الله تعالى عن قصص الاولين و مال المترفين و عواقب المهلكين في شطر من اية و ذلك قوله تعالى [فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا و منهم من اخذته الصيحة و منهم من خسفنا به الارض و منهم من اغرقنا] و دل الرب تعالى على مفتتح امر السفينة و اجرائها و اهلاك الكفرة و استقرار السفينة و استوائها و توجه اوامر التسخير على الارض و السماء بقوله تعالى [و قال اركبوا فيها] الى قوله عزوجل [و قيل بعدا للقوم الظلمين] و انبأ عن الموت و حسرة الفوت والدار الاٰخرة و ثوابها و عقابها و فوز الفائزين و تردى المجرمين و التحذير من التغرير بالدنيا و وصفها بالقلة بالاضافة الى بقاء الاٰخرة دارالبقاء بقوله تعالى [كل نفس ذائقة الموت و انما توفون اجوركم] الاٰيه و من اقسام الكلام البليغ قص القصص من غير انحطاط عن الكلام الجزل و معظم البلغاء اذا لابسوا حكاية الاحوال جاؤا بالكلام الرث و القول المستغث و ان حاولوا كلاماً جزلا لم يدرك الكلام مقصدهم من المعنى وهذه قصة يوسف عليه السلام مع اشتمالها على الامور المختلفة و الموتلفة مسرودة على احسن النظام متناصفة الاطراف متلائمة الاكناف - كان اٰياتها آخذ بعضها برقاب بعض ثم القصص تجلو على الرد والتكرار سيما اذا اتحدت المعاني * قلت يعني وليس ذلك قصص القران كما سياتي * قال ومن أصدق الاٰيات على بلاغة القران اعتراف العرب قاطبة بها صريحا اوضمناً - فان منهم من اعترف و افصح - ومنهم من صمت فان قيل هل في القران وجه من الاعجاز سوى النظم و البلاغة قلنا اجل فيه وجهان اخران احدهما الانباء عن قصص الاولين على حسب ما القي في كتب الله المنزلة ولم يكن صلى الله عليه وسلم ممن عانى تعلمها وما رس تلقف كتاب وكان ناشيا بين ظهراني العرب ولم يعهد له حركات يتوقع فيها تلقف علم ودراسة كتاب فكان ذلك اصدق دليل

على صدقه * والثاني اشتماله على غيوب تتعلق بالاستقبال والاخبار عن المغيب قد يوافق كرة او كرتين فاذا توالت الاخبار كانت خارقة للعادة فمن غيوب القران قوله تعالى [قل لئن اجتمعت الانس والجن] الآية وقوله سبحانه [فان لم تفعلوا ولن تفعلوا] الآية وقوله عز وجل [لتدخلن المسجد الحرام] الآية وقوله تبارك وتعالى [الم غلبت الروم] الآية وقوله عز من قائل [وعدكم الله مغانم كثيرة] الى غير ذلك مما يطول تعداده انتهى وهو بعض كلامه * قلت وهو في نهاية من الحسن مشتملا على فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني مع اتحاد العبارة واستيفاء المقصود وتناسب لكلام وحسن ترتيبه وتحقيق تهذيبه وغير ذلك مما لايخفى على من عنده فطنة ومعرفة بهذا الفن * وها انا اردف قول الامام الفقيه المحقق الاصولي المدقق استاذ المتكلمين امام الحرمين رضي الله عنه بقول الامام الفقيه المحقق المحدث المفيد الموفق المبارك له في عمره اورع الفقهآء وازهدهم في عصره مليح المعاني الشيخ محي الدين النووي رضي الله عنه في شرح صحيح مسلم في قوله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء من نبي الا قد أعطي من الآيات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحي الله تعالى الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وفي الرواية الاخرى والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار * قد اختلف في معنى الحديث الاول على اقوال احدها ان كل نبي اعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الانبيآء فامن به البشر — واما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القران الذي لم يعط احد مثله فلهذا انا اكثرهم تابعا * والثاني معناه ان الذي اوتيته لا يتطرق اليه تخييل لسحر وغيره بخلاف معجزة غيري فانه

قد يخيل الساحر بشيء مما يقارب صورتها كما خيلت السحرة في صورة عصى موسى صلى الله عليه وسلم والخيال قد يروج على بعض العوام * والفرق بين المعجزة والسحر والتخييل يحتاج الى فكر ونظر وقد يخطي الناظر فيه فيعتقد هما سواء * والثالث معناه ان معجزات الانبيــآء إنقرضت بانقراض اعصارهم ولم يشاهدها الا من حضــرها بحضرتهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القران المستمر الى يوم القيٰمة مع خرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات وعجز الانس والجن عن ان يا توا بسورة من مثله مجتمعين او مفترقين في جميع الاعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم افصح القرون مع غير ذلك من وجوه اعجازه المعروفة واشار في كلام طويل الى ان قوله صلى الله عليه وسلم فارجو ان اكون اكثرهم تابعا الى ان ذلك قد وجد لما كثر المسلمون فيما بعد قال واما الحديث الثاني ففيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وفي مفهومه دلالة على ان من لم يبلغه دعوة الاسلام فهو معذور قال وهذا جار على ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح والله اعلم * قلت واذا تامل الانسان ما اشتمل عليه القران وجمعه من الاحكام والحكم والمواعظ وقصص الامم وذكر الوعد والوعيد والتنزيه لله والتوحيد و كثرة الاٰية وعظيم اٰياته و تقدس اسمائه وكمال صفاته وغير ذلك مما عده يطول و ايفاؤه تحير العقول مع ما جمع من الحسن والملاحة في البلاغة والفصاحة والاسلوب الغريب والنظم العجيب والانبآء عن الغيوب والترغيب في كل مرغوب والترهيب من كل مرهوب * ومما اشتمل عليه الترغيب والترهيب من السورة الجامعة سورة الواقعة واذا تاملت ما تضمنته من تفصيل الاحوال والايجاز والاجمال والاختصار والاطناب رايت العجب العجاب في ما اشتملت عليه من الاخبار

عن احوال القيامة واهوالها وشدائدها و عظيم شانها و غير ذلك من الامور العظام وانقسام اهلها ثلثة اقسام سابق مقرب من المولى الكريم و مقتصد دونه في الكرامة والنعيم وخاسر معذب في دار الجحيم ثم تفصل ما لكل من القسمين الاولين من انواع الانعام وما بينهما من التفاوت في الاكرام وما للثالث من انواع العذاب الاليم وبيان ما استحق به ذلك من الاصرار على الحنث العظيم والتكذيب بالبعث والمعاد ثم الاعلام بوقوع ما كذب به من البعث و جميع العباد والاستدلال بالنشأة الاولى على النشأة الاخرى - وان احياء العظام الرميم ليس باعظم من الاقتدار على الايجاد من العدم ثم التقرير بعظام النعم والتقريع بالاستفهام عن خالقها والارشاد الى الشكر عليها والتخويف من سلبها بكفرانها ثم الامر بالتعظيم للقادر على ذلك والتنزيه للاله المالك ثم الاقسام بالقسم العظيم على التعظيم والتفخيم للقرآن الكريم واحترام الكتاب المكتوب فيه المكنون الذي لايمسه الا المطهرون وقد قيل الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لا يمسه الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة الكرام - و قيل المصحف المعروف لا يمسه الا المطهرون من الاحداث وهم سائر الانام ثم الاعلام بانه تنزيل من رب العالمين وليس بسحر كما زعم كل مفتر من الكفرة الجاحدين ولا مخلوق في جسم جماد كما زعم كل زائغ من المبتدعين ثم التقريع على التكذيب والتحضيض على ارجاع روح الهالك ان كانوا صادقين فيما زعموا من ذلك وهم حينئذ اليه ينظرون ورسل الحق اقرب اليه ولكن لايبصرون * ثم الاعلام بما لكل هالك من الانام من الاكرام او الانتقام وانه لايخرج احد عن احد الثلثة الاقسام * ثم ذكر ما لكل قسم من النعيم او العذاب مجملا بالاختتام ما فصل بايضاح الخطاب بكلام موجز جامع بديع الحسن محير العقل مندرج تحته المطول من جوامع الكلم بالكلام

الجزل الفائق على سائر الكلام النازل في الدرجة العليا من البلاغة والفضل فقال مختصراً ما بسطه اولا من الكلام في نزل الثلثة الاقسام جامع ماللسابق الكريم من انواع النعيم المقيم في اربع كلمات من الذكر الحكيم [فروح و ريحان وجنة نعيم] ومن انواع الانعام المستمر على الدوام للمقتصد في سائر الانام بكلمة واحدة من الوعد الكريم [فسلام لك من اصحاب اليمين] وانواع العذاب الاليم للمكذب الضال الاثيم بخمس كلمات من الوعيد العظيم [فنزل من حميم و تصلية جحيم] ثم اكد تحقيق جميع ما سبق واخبر انه في تحقق الحق نازل في المرتبة العلياء من مراتب الموقنين بقوله الحق المبين [ان هذا لهو الحق اليقين] ودونها من مقامات اليقين مرتبتان و هما علم اليقين وعين اليقين ولكل مرتبة تفسير وبيان فعلم اليقين ما كان من طريق الكشف والنوال - وحق اليقين ما كان من طريق المساهدة والعيان على ما شرحه ائمتنا وسادتنا شيوخ الطريقة و علمآء الحقيقة من الصوفية اولى الصفآء والاصطفاء والمعرفة بالله والوفاء رضي الله عنهم وقدس ارواحهم * قلت وقد ذكر الله تعالى علم اليقين وعين اليقين في سورة التكاثر التي جمعت ايضاً من البلاغة والبداعة ما لا يخفى على اهل المعرفة بهذه الصناعة ويكفيك ما جمع اقتباحها من حسن ايجاز العبارة وملاحة الاستعارة وكيف عبر عن كثرة ما في الدنيا من الافات من الكد في طلبها وبذل الجهد في جمعها والشح في انفاقها والمفاخرة بكثرتها والمباهات بزينتها والاستقلال بها والافتتان بحبها حتى انست ذكرالله تعالى والدار الاخري واغرت اهلها بعزة غرورها في احتقار الفقرآء وتعظيم الاغنيآء واكسبتهم الاعجاب بها والخيلاء والوصفين المشبهين في إفساد الدين بالذئبين المرسلين في غنم الجائعين المسرعين بها الي التلف الحرص على المال والسرف في الحديث

الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم وكذلك الطغى المذكور في الغفي
في سورة القلم والالتهاء عن الاستعداد للموت واليوم الاخر وغير ذلك من
وجوه افاتها التي لا يحصرها حتى صاروا الي القبور التي اليها كل
هالك صائر حيث لا ينفع الندم ولا يجد ثم الا ماقدم ولا هو على
الاستعداد لزاد سفر المعاد قادر - ولا توبة هنالك تقبل ولا يمكن من
الرجوع للعمل ولا ينفعه المعاذر بقوله عز وجل [الهاكم التكاثر حتى
زرتم المقابر] استعار لمجيي الميت وركوبه على النعش الى المقابر
اسم الزيارة التي يجيي فيها راكبا على ظهر المطية الزائر - وكذلك بقية
السورة - وما تضمنته من البلاغة المشكورة ولو اراد احد ان يغير عما
تضمنت من الاخبار بآفات الدنيا الملهيات وكثرة انواعها وعظيم فضل
ما الهب عنه من الطاعات واكتساب الخيرات وكثرة الدرجات وارتفاعها
والتهديد بالوعيد الشديد والتحذير والزجر للعبيد بعبارة مشتملة على
الاستعارة الحسنة وذكر المرتبتين والترتيب بينهما في الدرجتين
المتقدمتين لما اتسع لمضمون سورة التكاثر كتب كثيرة من الدفاتر مع كونها
دون ثلثة اسطر وكذلك سائر السور لا يحصى ما تضمنت من المحاسن
والدرر * قلت وماذا عسى يقدر عليه من نزف البحر الزاخر واستخراج
ما فيه من الجواهر فلنترك الخوض في بحر لا يدرك ما حواه ماهر
ولنعد الى ما كنا بصدده من الاشارات * ثم اعلم سبحانه ان من قدر على
جميع هذه المذكورات ينبغي ان ينزه عما لا يليق بجلال عظمته وكبريائه
وجمال ذاته واسمائه وكمال صفاته وثباته * حيث امر بالختام الحميد
لكلامه الكريم بقوله عز من قائل [فسبح باسم ربك العظيم] قلت ومما
يميز به القران عن غيره ان سائر الكلام يمل سماعه ويسأم بالتكرار وان كان بديعاً
مستعذباً مستحسنا من الاشعار الا القران فانه كلما كرر يحلو للقلب

سماعه وينجلي له محاسن معانيه ويزداد انتفاعه ولله در الشيخ الامام المقرى البارع النبيه ابى القسم الساطبي رضي الله عنه حيث يقول فيه

و خير جليس لا يمل حديثه * و ترداده يزداد فيه تجملا

قلت فجميع هذا الذي ذكرت مما يتعلق بالاعجاز وان كان خارجا عما نحن بصدده من الجواب والايجاز فله تعلق بنظم القران الذي نحن بصدده الكلام فيه وانه قد يطلق على القراءة وقد تقدم الاستشهاد على ذلك والتنبيه * ولعلك ايها السائل تتعلق بما تعلقت به المعتزلة في قول معناه اذا كان المعجز هو النظم المسموع المستمل على الحروف والالفاظ والحركة فكلام الله اذا حروف واصوات اذ هو المعجز المتحدي به ارباب البلاغات فاعلم ان ائمتنا قد اجابوا عن ذلك - و يكفي ذكر جواب واحد من اولئك * قال امام الحرمين رضي الله عنه ومما يستروح المعتزلة اليه ان قالوا قد اجمع المسلمون قبل ظهور هذا الخلاف على ان القران كلام الله سبحانه وتعالى واتفقوا على انه سور وآيات وحروف منتظمة وكلمات وهي مسموعة على الحقيقة ولها مفتتح ومختتم وهي معجز رسول الله صلى الله عليه وسلم والاية على صدقه والآية لايكون الا فعلا خارقا للعادة واقعا على حسب تحدي النبي صلى الله عليه وسلم ويستحيل ان يكون القديم معجزاً اذ لا اختصاص للصفة الازلية ببعض المحديين فلوجاز تقدير كلام قائم بالنفس ازلي معجزا لجاز تقدير العلم القديم عند مثلته (sic) معجزا * قال وهذا الذي ذكروه تخييلات لا تحصل لها - فنقول قد زعمتم ان القران كلام الله فاذا راجعتم في معني اضافته الى الباري تعالى لم تبدوا وجها في الاختصاص سوى كونه فعلا له و الذي زعمتم انه فعل فانتم مساعدون عليه من مذهبنا وهو قصى عوضكم باضافة الكلام الى الله تعالى فقد تساوت الاقدام في اضافة الكلام ونفى التدارع في

تسميات واطلاقات وليس من البعيد عندنا اضافة فعل الله الى الله اذا استقر الشرع على الاذن فيه * ثم القرآن قد يحمل على القراءة ويقدر مصدراً لقرأ ثم استشهد بما تقدم من قول الشاعر * * مصرع *

يقطع الليل تسبيحاً و قرآناً

اى تسبيحا وقراءة وقد سمى الرب سبحانه الصلوة قرآنا لاشتمالها على القراءة فقال عز من قائل [ان قرآن الفجر كان مشهودا] معناه ان صلوة الفجر يشهدها الملئكة ملائكة الليل وملائكة النهار - قال - فاما ما ذكروه من اجماع المسلمين على كون القرآن معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم مع القطع وانحصار المعجزات في الافعال الخارقة في العادات فنقول لهم اولا من اصلكم ان ما تحدى به النبي صلى الله عليه وسلم العرب وهم[1] السن الفصحاء[2] والد البلغاء لم يكن كلام الله وما خلقه الرب لنفسه كان اذ ذاك منقضيا وانما تحدى الرسول صلى الله عليه وسلم بمثله فانتم احق بمراعمة الاطباق من خصومكم من هذا الوجه ومن تصريحكم بان كل قارئ آت بمثل كلام الله وقد قال الله عز و جل [قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله] ثم ما [3] يزلون به غاية مساهمون فانهم زعموا ان كلام الله معجزة الرسول و عنوا بكلام الله تعالى كلاما فعله ونحن نقول الكلام الذي فعله معجزة الرسول عليه الصلوة والسلام فلم يبق لهم اختصاص في المعنى واضمحل جميع ما موهوا به - انتهى مختصراً * قلت و على الجملة ان قال المعتزلي والحشوي ومن تابعهما لا يتصور كلام بغير حروف واصوات - ثم قال المعتزلي - والحروف عندكم مخلوقة فيكون القرآن مخلوقا -

---

(١) في النسخة الخطية [اللسن] * (٢) في النسخة الخطية [اللد] *
(٣) لعله مصحف من [يزالون] *

وقال الحشوي - والقرأن عندكم قديم فتكون الحروف قديمة * قلت وقد تقدم الاستدلال واقامة البرهان على منع المقدمة الاولى وان الكلام هو المعنى القائم بذات المتكلم والحروف مترجمة عنه - ومن الدليل على ذلك ما قدمنا من قول الشاعر الفصيح وهو الاخطل " ان الكلام لفي الفواد " * البيت المشهور - وقول عمر رضي الله عنه في الحديث الصحيح هيأت كلاماً - وفي الرواية الاخرى زورت في نفسي كلاماً - بل يدل على ذلك قول الحق المبين اصدق القائلين [و يقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول] و معلوم ان القول في النفس ليس بحروف ولا اصوات - واذا بطلت احدى المقدمتين بطل ما يترتب على ذلك من النتيجة فان قالا جميعا سلمنا ان الكلام يطلق على الكلام النفسي ولكنه يطلق ايضا على اللفظي فلم منعتم حمل كلام الله تعالى عليه و اوجبتم حمله على القسم الاول - قلت لقيام البرهان على[1] حدوث الحروف والاصوات و على امتناع قيام الحوادث بالقديم تعالى و كلاهما مبرهنان فيما تقدم فبطلت المقدمة الثانية ايضاً للاول بالثاني وللثاني بالاول اعني بطلت المقدمة الثانية للمذكور اولا وهو المعتزلي بالثاني وهو قولي وعلى امتناع قيام الحوادث بالقديم والمقدمة الثانيه للمذكور الثاني و هو الحشوي بالاول وهو قولي لقيام البرهان على[2] حدوث الحروف والاصوات * فان قالا جميعاً فكيف يتصور سماع كلام بغير حروف واصوات قلت اما سماع كلامه تعالى منه سبحانه فقد قدمت انه كما[3] يصور وجوده تعالى من غير جسم ولا لون يتصور سماع كلامه منه من غير حرف ولا صوت - واما

---

(١) في النسخة الخطية [حدث] * (٢) في النسخة الخطية [حدث] *
(٣) لعله مصحف من [يتصور] *

سماع كلامه تعالى من غيره فقد قدمت الاستدلال ايضا على ان القرآن فد جاء في القرآن وغيره من الشعر الفصيح اطلاقه على القراءة المستملة على الحروف والاصوات المسموعة بلفظ صريح - وقد قدمت الفرق ايضاً بين القراءة والمقروء لان البرهان قد قام على ما ذكرت من استحالة كون كلامه تعالى هو الحروف والاصوات والا للزم كون القديم تعالى حادثا لقيام البرهان على[1] حدوثها وحدوث ما هو محل[2] للمحدثات فتعين حمل سماع كلامه تعالى على فهم معانيه او على سماع الحروف المترجمة عن معناه الدالة عليه المسيرة بصريح دلائلها القطعية اليه فيصح الاستدلال به قطعاً لكونه مفهوماً مقطوع الدلالة مدركًا معلومًا * قلت وكما يجوز ايضاً ان يرى سبحانه من غير جهة يجوز سماع كلامه من غير حرف ولا صوت وقد تقدم الاستدلال على بطلان مذهبي المعتزلة والحشوية في نفي الاول منهما بصورها مطلقا و نفي الثاني بصورها من غير جهة * ومن الدليل على ان كلام الله تعالى لم يكن مشبها لكلام الخلق المشتمل على الحروف والاصوات الخارجة من مخارجها في الفم والحلق - ان موسى صلى الله عليه وسلم لم يشك في كلام الله تعالى حين سمعه ولم يقع له فيه اشكال لان الاشكال انما يقع من اشتباه الاشكال في من لا شكل له لا شبه له ومن لا شبه له لاشك فيه انه لا يلتبس بماله شبيه - قلت ومن الدليل على صحة الاستدلال - بكلام الله تعالى الكبير المتعال - ان الصدق من جملة صفاته بدليل العقل والنقل والاجماع * اما العقل فلان الكذب نقص والنقص على الله محال - لانه لا يجوز في جميع الاحوال - ان يكون الاله

---

(١) في كلا الموضعين بحذف الواو -

(٢) في النسخة الخطية * [للمحدثات] باسقاط الميم *

غير متصف بصفات الكمال - ولانه يؤدي الى ان يكون المخلوق في بعض الاوقات اكمل من الخالق في بعض الصفات * فان قيل اليس قد جوزتم الكذب في مواضع و ذلك يقتضي عدم النقص فيما جوزتم فيه - قلت انما يجوز الكذب لاغراض صحيحة من وجود ضرورة ومس حاجة او اقتضاء مصلحة بشرط رجحان مصلحة الكذب على مفسدة الصدق في تلك القضية ومعرفة ذلك يحتاج الى نظر دقيق وتائيد توفيق على ما فصلته في الجزء السادس من كتاب الرياض الزهرة الجامع للاجزاء العسرة والله تعالى متقدس عن الاغراض والضرورة والاحتياج ولا يلزم على قولنا له تعالى ان يفعل في ملكه ما يشاء من غير تصور ظالم ان يكون الكذب كذلك اذ ليس هو تصرفا في ملكه بل عبارة عن شيء بما هو عليه ولانه انما جاز انما بشرط كونه وسيلة الى مقصد ضروري او راجح المصلحة لا يمكن الوصول اليه الا به والله تعالى قادر على فعل ما شاء بغير كذب من غير ظلم ولا قبح كما ذكرت - وقد تقدم الاستدلال على ذلك في جواب الشبهـــة الثانية - و تقدم هنالك ايضاً استدلال الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني على امتناع الكذب على الله تعالى سالك فيه غير هذا المسلك الذي سلكت و حرض على التمسك به وكذا ينبغي التمسك بالاستدلال الذي ذكرت - واما ثبوت امتناع الكذب عليه تعالى من جهة النقل فيكفي فيه قوله سبحانه وتعالى [ومن اصدق من الله قيلا] واما امتناعه من جهـــة الاجماع فمعروف ولا اعتـــداد بما يزعم المرجية من عدم تحقق الوعيد فان ذلك مروق عن الدين و كفر برب العالمين فثبت ما ذكرنا من صحـــة الاستدلال بكلام الله تعالى مع كونه غير حروف ولا اصوات ورؤية الباري تعالى مع كونه في غير جهة * قلت والى متى نبالغ في مجاحة الخصوم

واقامة الدلائل - وقد وضح الهدى وحصحص الحق وبان الزيغ وانكسف الباطل - ملثنى العنان عن التوغل في ميدان السباق - فقد سبقت يوم الرهان خيل البرهان العتاق- مركوب اهل الحق[1] المزكية من العقل والنقل (sc) وخسرت وخمدت فلم يكن[2] للحري خيل المعتزلة الجامدين على مجرد العقل - و خيل الظاهرية الحشوية الجامدين على الظواهر المخالفين في مسائل الجهة والحرف و الصوت لمذهب اهل الحق الظاهر الذين لم يوفقوا للاعتبار بالعقل الذي اعتبر به اولوالبصائر والذي هو مناط التكليف - و به عرف الله سبحانه و وجد التوحيد - الحمد لله الذي من مات عليه دخل الجنة - كما لم يوفق المعتزلة للاعتصام بعرى الاسلام في قبول ادلة السمع الذي جاءت بها قواطع الشرع في نصوص الكتاب والسنة - واهل الحق وفقوا للجمع بين ادلة العقل والسمع و لله الحمد والمنة

فهذا جوابي مرهم الداء دافع	مزيل لشبهات اعتزال و دافع
حوي من براهين الهدى رب مقحم	له حسم عقد الحجاج قواطع
سيوف معدات لحرب مناظر	مواض لذا[3] فعلو بها من ينازع
بها نضرب الا قران في معرك الوغا	ونقرع في الهيجا بها من يقارع
من العقل والنقل الصحيح حديدها	لها ثم اماد متقن العلم صانع
عن السنة البيضا ندب ببيضها	و بالسمر طعن الطاعنين نسارع
سندرون من للنصر والعز جامع	وللسنة الغراء والحق تابع
اذا في اللقا لاقوا اسنة سنة	لذا لاتقى منها لدروع الموانع

(١) لعله مصحف من [المزكية] *　　(٢) الصحيح [للحرى] *

(٣) في النسخة الخطية [يعلوا بها] *

وصلنا على بيض جياد من النهى — فولت بهم منها عجاف ضوالع

و واجهنا في مجمع العسر بافد — خبيبر بدين الحق للشرع شارع

فبان اتباع وابتداع و مهتد — وغاو وذو رشد وعاص وطائع

ومن زاغ عن بيض اضاءت بطلعة — لبدر على كل الوجودات طالع

محا ظلمات الظلم نور جماله — فامسى و داجي الكفر بالنور لامع

سراج الهدي تاج العلى معدن الندي — غياث البرايا للخلائق شافع

رئيس الورى والخلق تحت لوائه — حميد مقام للمناقب جامع

محمد المحمود زين الوجود لن — يرى مثله راءٍ ويسمع سامع

عليه صلوة الله ثم سلامه — وآل وصحب عنهم الفضل شائع

كتبت جوابي حامداً ومصلياً — وطرفي الى البيت العتيق مطالع

بشهر ربيع عام خمسين حجة — وسبع مئين والقفا فيه واقع

فقير يمانيا (١) لمك وطيبة ثوى شافعي المنهاج والاصل نافع

له عن جاريه الكريميين نافع — ومجد معالي مذهب الحق رافع

وذاك بتوفيق الاله وفضله — فيا رب زد فضلا بفضلك واسع

ووال بالاء واولاه ولايه — توالى بها فيك الورى ويقاطع

قلت فهذا الجواب شامل لجميع المسائل التي اوردها السائل مع غيرها مما عرجت في الكلام عليه لتطرق البحث اليه - ولعمري ان ما بنوا عليه ذلك من القواعد يستدعي البحث فيه تحريك جملة مذهبهم الفاسد - لا جرم دعاني ذلك الى استطراد الكلام على جملة مذاهب المعتزلة وغيرهم من الفرق المخالفين للسنة الحسنى مذهب اهل الحق فها انا اشرع في ذلك في ضمن شرح الابيات الخمسة

---

(١) بجور [بمكّه] بالوقف *

عسر التي وعدت بها المشتملة على العقيدة المتقدم ذكرها اعني العقيدة السنية - وهي هذه * * شعر *

علا ربنا عن كيف او اين او متى | وعن كل ما في بالنا يتصور
ونقص وشبه اوشريك ووالد | وولد وزوجات هو الله اكبر
قديم كلام حين لا حرف كائن | ولا عرض حاشا وجسم وجوهر
مريد وحيّ عالم متكلم | قدير على ماشاء سميع ومبصر
سميع وعلم مع حياة وقدرة | كذلك ما فيها يلي الكل مصدر
وليس عليه واجب بل عقابه | بعدل وعن فضل يثيب ويغفر
ومحكم شرع دون عقل وقد قضى | بخير و شر للجميع مقدر
ورؤيته حق كذاك شفاعة | وحوض وتعذيب بقبر ومنكر
وبعث وميزان ونار وجنة | وقد خلقا ثم الصراط ويصدر
عظم كرامات عن الاوليا وقد | محا شرعنا العالي الزكي المطهر
شرائع كل المرسلين واحمد | خيار الورى المولى الشفيع المصدر
و اصحابه خير القرون وخيرهم | علي ومن ما قد قدموا ثم اخروا
نجوم الهدى كل عدول اولوا الندى | فضائلهم مشهورة ليس تنكر
و افضلهم صديقهم صاحب العلى | ورابعهم في الفضل ذوالفضل حيدر
و تخليد نار ليس الا لكافر | ومبلغنا عن امهما لا يكفر

قلت و بحمد الله والصلوة على رسول الله اختم هذه العقيدة واسأل الله الكريم ان نختم لنا ولاحبابنا [١] والمسلمين بالخاتمة الحميدة - [٢] وافتتح الكلام في التفبيه الذي وعدت به مع ايجاز الكلام فيه * اعلم ان هذه الابيات التي ذكرتها اوردتها من قصيدة نظمتها وضمنتها ما بيينك

---

(١) الاولى إسقاط الواو * (٢) في النسخة الخطية [افتح] *

عنه مجملاً اسمها و مفصلاً الوقوف عليها ومطالعة رسمها وعند ذلك تعرف مطابقة الاسم للمسمى وترى حفظها للاعتقاد والا تعاظ مهما - فان اكتفيت بمعرفة المجمل الكافي - دون معرفة المفصل الشافي - موثراً لليسير المعجل - على الكثير الموجل - فاسمها المعروف المشهور - المحمود المشكور - شمس الايمان - في توحيد الرحمن - وعقيدة اهل الحق والايقان - والتشويق الى الجنان - والحور الحسان - والتخويف من النيران - و وعظ الاخوان * وها انا انبه على شيء من شرح ما تضمنته هذه الابيات المذكورة - من عقيدة اهل الحق المشكورة - على وجه الايجاز والاختصار - دون البسط والاكثار - فاقول و بالله التوفيق والهداية - والعون في البداية والنهاية * الحمد لله الذي هدانا بنور اليقين الى منهج الحق والاتباع - الجامع بين المعقول والمنقول من الكتاب والسنة والاجماع - وجعلنا من عصابة الحق اهل السنة لا من عصابة الباطل اهل[1] الابتاع - و شرح صدورنا لقبول الحق وشرح معالم الدين - على منهاج ائمتنا هداة المهتدين - اولى المقامات الرواع المشهورين - في السرق والغرب بالفضل والدين - والذين هم السواد الاعظم والجم الغفير والظاهروا المذهب في سائر البقاع احمده على ما هدانا و خصنا به من اتباع المنهج الاسنى - الباهج الانوار من الكتاب العزيز وبها محاسن السنة الحسنى - المويد بقواطع البراهين العقلية - وقوامع الادلة النقلية - واجماع الامة - واصلي على زين الوجود ومعدن الجود محمد بن الهادي سراج الظلمه - وعلى آله الغر الكرام اولى الندي - واصحابه النجباء الامجاد نجوم الهدى - واسلم عليه وعليهم اجمعين - وعلى جميع عباد الله الصالحين - وبعد فهذه اشارة يسيرة الى شرح عقيدة اهل

---

(١) لعل الصحيح [الابتداع] *

الحق الشهيرة التي اعتقدها الجمهور في البدو والحضر - واودعتها لابيات الخمسة عشر - وهي وان كانت قليلة اللفظ صغيرة الجرم - فهي جليلة القدر كبيرة العلم - وكل ما كان بهذا الوصف ينبغي ان يلحظ ويحفظ وفي هذا المعنى قلت -

كل ما قل لفظة * من هدى جل حظه

حق للطرف لحظه * ثم للقلب حفظه

ثم اختصرت هذين البيتين في بيت مستوف لمعناهما المبدع وظاأتهما الاربع فقلت -

اذا ما قل لفظ جل حظ * ففيه ينبغي لحظ وحفظ

قلت وقد اخبر عن معاني هذه العقيدة المذكورة ومعاليها مدحي لمذهب الحق حيث اقول فيها -

ومن بعد حمد الله اهدي عقيدة	عن السنة الغراء والحق تسفر
بها السبل الوسطى الحميدة منهج	شعار الهدى - الاشعرية تشعر
وكم في حضيض الحسو يهبط لكونها	طريقا بها القطاع تسبي وتاسر
ولا ارتفعت غالي غلو اعتزالهم	ففيها ذئاب ثم وغر تكثر
مشت مع سواد معظم اهل مذهب	عزيز بحمد الله مازال ينصر
له بيض رايات العلا مع ائمة	شموس الهدى تعدادهم ليس يحصر
وكم حبر[1] تحقيق العلوم وعارف	لاسرار غيب والحقائق ابحر
تراها حوت مع صغرها ما عساه لا	ترى في كثير من عقائد تكبر
وهاهي لها الفن في خمس عسر	من النظم تجرى من لها يتدبر

(١) الصحيح (لتحقيق]

قلت و اذ قد ذكرنا عقيدة اهل الحق الرضية - التي اختارها الائمة المحققون الموفقون الاشعرية - الجامعون بين المعقول والمنقول والظاهرون بالبراهين القواطع الجلية - ممن قدمت ذكر بعضهم من المشائخ العارفين الاولياء المقربين - والعلماء الراسخين - الفضلاء المحققين - المؤيدين الموفقين - ممن لا يحصرهم ديوان - ولا يحصى عددهم لسان - فلنذكر ما يتعلق بعقيدتهم من حكم علم الكلام - المشتمل علي براهين الائمة الاعلام *

بيان كون علم الكلام

في اصول الدين - من فروض الكفايات عند ائمة الاصول المحققين - و جلة علماء الفروع المتأخرين

و بعض المتقدمين - و الجواب عما انكر من ذلك بعض ائمة المشهورين من سلف الامة

اعلم انه لما كثرت البدع وافترقت الفرق وادعى كل فريق انهم اهل الحق واتبعت الاهوية محض المعقول - وبدت السنة وكذب صحيح المنقول - من الشرع الذي جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون - وكلما سها عنه الغافلون انتدب للذب عن السنة إمام ائمة الاصول - الذي ذكر مناقبه في التصانيف يطول - الشيخ ابوالحسن الاشعري و اتباعه الائمة الفحول - وقد عددت جماعة منهم في اول هذا الكتاب - و استحسن ذلك منهم ائمة الفروع النجاب - المحققون المشهورون من متاخري الاصحاب - رضي الله عن الجميع - اهل المجد والشرف الرفيع - وعدوا ذلك من الامور المهمات - المنتظمة في سلك فروض الكفايات - صرح بذلك الامام الجليل ابوالقسم الرافعي - المشهور المحقق المقتفي - في كتابه ما عليه الجمهور - فيما حكاه عنه و تابعه عليه الامام السيد المشكور - الشيخ محيي الدين النواوي - في الروضة المعتمدة في الفتاوى - رضي الله عنهما - قال و من فروض الكفايات ما يتعلق باصل الدين و هو اقامة الحجج العلمية

ومعناها انه يجب اقامة الحجة القهرية بالسيف يجب ان يكون في المسلمين - من يقيم البراهين - و يظهر الحجج ويدفع الشبهات - ويحل المشكلات - وقال في المنهاج - و من فروض الكفاية القيام باقامة الحجج وحل المشكلات في الدين * و ذكر في شرح مسلم في مواضع كثيرة ما يطول ذكره - و يشق حصره - من تصويب كلام ائمة الاصول و استحسان تقريرهم والرد لما قاله المخالفون وقوة الثقة والاعتماد علي مذهب الاشعرية - والاخذ باقوالهم وعقائدهم السنية - ونقله عن السلف الموافقة لهم في عقيداتهم - و ان لم يأوّل جمهورهم كتاويلاتهم - وقد ذكرت ذلك عنه واضح البيان - في غير هذا المكان - و من جملة كلامه قوله في القدر - و قرر ائمتنا من المتكلمين ذلك احسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية - و العقلية - وسياتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى في آخر هذا الجزء - وكذلك الامام - حجة الاسلام - المشهود له بالصديقية و علو المقام - ذو المناقب الحميدة والشرف العالي - ابو حامد الغزالي - رضي الله عنه لما ذكر في كتاب الاحياء (علم الكلام) قال ولم يكن شيء منه مالوفاً في العصر الاول و كان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن يغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة - عن مقتضى القران والسنة - ونبعت جماعة لفقوا لها شبها - ورتبوا فيها كلاماً مولفا - فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ما ذونا فيه - بل صار من فروض الكفاية - و هو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة * قال والا قتصاد فيه ما يبلغ قدر ما به ورقه وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد - في الاعتقاد - و يحتاج اليه لمناظرة مبتدع و معارضة بدعية مما يفسدها وينزعها عن قلب العامي - هذا مختصر كلامه * وقال ايضاً بعد ما ذكر الاختلاف بين السلف والخلف في علم الكلام علم ان الحق انه لابد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه المبتدعة - التي ثارت في تلك البلدة - وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس

من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه و التفسير فان مثل هذا
مثل الدواء - و الفقه مثل الغذاء - وضرر الغذاء لايحذر وضرر الدواء محذور
(١) كما ذكرنا فيه من انواع الضرر قلت يعني اثارة الفتنة و تزلزل العقائد
وكثرة الجدال و التعصب وغير ذلك من المفاسد * قال و العالم به ينبغي
ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال - احداها التجرد للعلم
والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام و ازالة الشكوك
اذا عرضت * والثانية الذكاء والفطنة و الفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه
و الفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولايرجى فيه نفعه *
والثالثة ان يكون(٢) قطيعة الصلاح و الديانة و التقوى فان الفاسق بادنى شبهة
ينخلع عن الدين لان ذلك يحل عنه الحجر و يرفع السد بينه و بين الملاذ
فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها(٣) لتخلص من اعباء التكليف فيكون
ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه * ثم ذكر كلاماً مختصراً ان
المحمود من الكلام ترك التغلغل من التقسيمات و التدقيقات - وان الامام
الشافعي والسلف رحمهم الله انما منعوا من الخوض فيه لما فيه من الضرر
المذكور- ثم قال نعم قد يختلف الاعصار في كثرة الحاجة و قلتها فلا يبعد ان
يختلف الحكم لذلك - و قال ايضا في كتابه المنقذ من الضلال كلاماً معناه
انه كان سبب رجوعه الى التدريس و التصنيف و الرد على المبتدعين - لما
اظهروا بدعتهم و سوموا على المسلمين - بعد تركه ذلك وانعزاله عن الخلق
عشر سنين - اشارات عن مشائخ الوقت و منامات تدل على القيام بذلك
و الاهتمام بامر الدين- و تفاول بما ورد من تجديد الدين على راس كل مائة

---

(١) في النسخة الخطية [لما] * (٢) الصحيح [قطعية] *

(٣) الصواب [للتخلص] *

سنة عند سيد المرسلين - عليه افضل الصلواة والتسليم مع رسم الخليفة في ذلك الوقت و استيذانه للرد على المبتدعين - و طلبه لذلك و حثه عليه اشد الطلب و الحث لشدة الضرورة الى ذلك فانشرح صدره و انتدب للرد علي اولئك * قلت وسياتي ترتيب الائمة في تجديد امر الدين على راس كل مائة سنة وبيان كونه على راس المائة الخامسة * وذكر ايضا في كتابه منهاج العابدين كلاماً معناه ان الامام المشهور - السيد المشكور - العالم العامل المبارك - ذا المناقب الحميدة ابابكر بن فورك رضي الله عنه قصد ان ينفرد بعبادة الله عن الخلق فبينا هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا يا ابابكر اذ صرت من حجج الله على خلقه تركت عباد الله - فرجع و ذكر انه - قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد صلي الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة واشتغلتم هاهنا باكل الحشيش قالوا - انا لا نقوي على صحبة الناس و انما اعطاك الله قوة فيلزمك ذلك فكان سبب رجوع الامام المذكور الى نشر العلوم والذب عن الدين وصنف بعد ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي * قلت و هذا الامام المذكور هو من الجماعة الذين ذكرهم الامام ابو حامد - وعظمهم و مدحهم بجميل المحامد - حيث قال - وما زلنا اعزة ما دمنا على منهاج المشائخ من معابدنا و مدارسنا - كل حبر امام في العلم - كالاستاذ ابي اسحق و ابي حامد و ابي الطيب و ابن فورك و شيخنا الامام و امثالهم من السادة * و اما صديق في العبادة كابي اسحق الشيرازي و ابي سعيد الصوفي و نصر المقدسي وغيرهم ممن فاق الامة علماً و زهداً * قلت وها نحن نعود الى المقصود - و كذلك شيخ الامام ابي حامد المذكور - و ابوالمعالي امام الحرمين المشهور - البارع المحقق النقاد - شهرته في هذا العلم يغني عن الاستشهاد - رضي الله عنه * قال بعض علماء الحديث والتاريخ كان من اذكياء العالم واحد الائمة الاعلام و كان له نحو من اربعمائة تلميذ وقال بعض مصنفي

الطبقات امام الحرمين ابوالمعالي الحبر المدقق امام الفقهاء - و جمال العلمآء - سيف المناظرين - و سيد المحققين - الاصولي المتكلم الفقيه العلامة - المناظر القدوة شيخ الشافعية - جاور بمكة في شبيبته اربع سنين و من ثم قيل له امام الحرمين * قلت و مما روينا عنه كلاماً معناه - لو كان الدين علي ما كان عليه في صفو الاسلام لما اوجبنا هذا العلم بل ربما نهينا عنه ولكن لما كثرت الشبه و اختلطت البدع و ماجت بحار الفتن ولا سبيل الى تركها[1] بالكظم لاجرم ندبنا إلى هذا العلم لردع البدع و دفع الشبه عن كل مسلم * قلت هذا معنى ما رويناه وان لم يكن بلفظ حروفه كلها * وكذلك الامام المحقق - الناقد المدقق - فخرالدين الرازي رضي الله عنه قال - لما ذكر هذا العلم و قد اتفق اني حضرت مجلس بعض الحشوية - و كان يعقد مجلس التذكير بكرة يوم الجمعة - فاخذ يطعن في علم الكلام و يذمه - قال - و كيف اعقد مجلس التذكير عشية يوم الجمعة - فحضر ذلك الحشوي مجلسي و اتفق ان ورد تفسير كان قد انتهى الى قوله تعالى حكاية عن قول ابراهيم صلي الله عليه وسلم لابيه [لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ] فلما شرعت في الكلام قلت ان الله تعالى بين في هذه الآية ان الخليل عليه السلام كان يذكر انواع الدلائل في علم التوحيد وكان يتبع ذكر الدلائل بذكر النصائح - فكل من نصر علم الاصول و قرر دلائل التوحيد - كان على مذهب الخليل عليه السلام و استوجب التعظيم المذكور في قوله تعالى [و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء] و كل من انكر علم الاصول و اصر على التقليد و متابعة الاسلاف كان على دين آزر والد ابراهيم متبعاً طريقه في الجهل والضلال * وقال في[2] مواضع آخر و متابعة الاسلاف مذموم في القرآن

---

(١) في النسخة الخطية [بلنظم] وهو محرف *

(٢) الصواب [موضع] بحذف الالف من العين *

كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار [انا وجدنا آبائنا على امة وانا على آثارهم مهتدون] قال فلما سمع الحشوي ذلك احمر واصفر ولم يجد الي الجواب سبيلاً * و روى الامام الحافظ ابو بكر البيهقي عن الامام الحافظ ابي عبدالله باسناده الى الامام ابى ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزني في مناقب الامام الشافعي رضي الله عن الجميع قال كنا علي باب الشافعي نتناظر في الكلام فخرج الشافعي الينا فسمع بعض ما كنا فيه مرجع عنا وما خرج الينا الا بعد سبعة ايام ثم خرج وقال ما منعني من الخروج اليكم الا اني سمعتكم تتناظرون في الكلام اتظنون اني لا احسنه لقد دخلت فيه حتي بلغت مبلغاً عظيماً الا ان الكلام لا غاية له - تناظروا في شي ان اخطأتم يقال اخطأتم ولا تناظروا في شي ان اخطأتم فيه يقال قد كفرتم * قال البيهقي و هذه الحكاية تدل علي ان الشافعي كان عالماً بهذا العلم الا انه ما كان يفتح باب المناظرة فيه للخوف من المفاسد المتولدة منها - انتهى * قلت و يويد ما ذكره الامام البيهقي ما ذكره الحافظ ابو نعيم الاصبهاني حكاية عن الصاحب بن عباد انه ذكر في كتابه باسناده عن اسحق يعني ابن راهويه انه قال - قال ابي كلم الشافعي يوماً بعض الفقهاء فدقق عليه و حقق و طالب وضيق فقلت يا ابا عبدالله هذا لاهل الكلام لا لاهل الحلال و الحرام فقال احكمنا ذاك قبل هذا * قلت و اما ما نقل عن الامام الشافعي من ذم علم الكلام و الطعن فيه - فقال الامام فخر الدين بعد ما ذكر الاختلاف في ذلك اما نحن فنعتقد ان علم الكلام اشرف العلوم و اجلها و ان الشافعي افضل المجتهدين و اعلمهم * قلت وقد اشرت الى شرف العلم المذكور في ابيات حيث اقول *

* شعر *

على المعالم اصل الدين قد شرفا　　علم به منهج التوحيد قد عرفا

يا لائماً لي بتصنيفي لعلم هدا　　فرض على الحق من في ذاك قام كفى

هل من به رد شبهات لمبتدع يلام في مرهم جاء للسقام شفا
ان كنت لم توف شرط العلم معرفة فاسئل خبير علوم بالشروط وفا
لا تقس كل عصر كدرت بدع بعصر صحب معن تكدير تلك صفا
خير القـــرون و مشكاة النبوة كم قد شاهدوا نورها الباهي الظلام نفا
رجعنا الى كلام الامام فخر الدين - قال - و معرفة الله و معرفة النبوة
ليست ضرورية بل استدلالية - والدليل على ذلك اما ان يكون عقلياً او
سمعياً ولا جائز ان يكون سمعياً لان صحة السمع موقوفة على معرفة الله
و معرفة النبوة فلو اثبتنا هذين الاصليين بالدلائل السمعية لزم الدور و هو
باطل - و ان كان الطريق الى معرفة ذلك هو العقل فلا معني لعلم الكلام
الا ذلك فكيف يجوز ذمه و الطعن فيه * و ايضاً فالمسلمون اختلفوا في
صفات الله تعالى اختلافاً شديداً وكل واحد يدعي انه على الحق وان
مخالفه هو المبتدع - فلابد من التمييز بطريق وليس ذلك الطريق النقل
لانحصار ذلك في المتواتر والآحاد - والاول مفقود - والثاني لا يفيد الا
الظن - وهذه المسائل قطعية - فتعين ان يكون الطريق الى ذلك العقل
وتقرير البراهين العقلية وتحريرها بصنعة صادرة عن علم الكلام فلابد من حمل
طعن الشافعي في علم الكلام على تاويلات * الاول ان الطعن العظيم وقع
في ذلك الزمان بسبب خوض الناس في مسئلة القرآن واهل البدع
استعانوا بالسلطان وقهروا اهل الحق ولم يلتفتوا الى دلائل المحققين - فلم اعرف
الشافعي ان البحث في هذا العلم في ذلك الزمان لاجل الدنيا والسلطنة
ذمه * الثاني ان الذم مصروف الى الكلام الفاسد الذي ينصر به مذهب
الباطل واظهار البدع كما صرف ذم الصحابة للقياس الى الفاسد منه *
الثالث لعله كان من مذهبه ان الاكتفاء بالدلائل المذكورة في القرآن
واجب - وان الزيادة عليها والتوغل الى المضائق التي لا سبيل للعقل الى

لخوض فيها غير جائز - هذا بعض كلامه في ذلك - لخصه مختصراً - ومكانه من العلم و تحقيقه والنظر و تدقيقه معروف - وبالنجابة والبراعة موصوف * قال بعض علماء الحديث والتاريخ كان اذا ركب مشى معه نحو ثلثمائة مشتغل على اختلاف مطالبهم فى التفسير والفقه و الكلام والاصول والطب وغير ذلك وكان فريد عصره ومتكلم زمانه رزق[١] الحضوة فى تصانيفه وانتشرت فى الاقاليم وكان ذاباع طويل فى الوعظ فيبكي كثيراً في وعظه * وقال غيره من اصحاب الطبقات هو امام المتكلمين - وشيخ الاصوليين - الذاب عن الدين - الحامي بسيفه سنة سيد المرسلين * و كذلك الامام علم الاعلام - مفتي الانام - [٢]و رفيع المقام - عز الدين بن عبد السلام - الذي بلغ السلام - عن سيد الرسل الكرام - عليه افضل الصلوة و السلام - و الذي ذكر فيه غير واحد من مصنفي الطبقات انه ذوالتحقيق والايقان - و التدقيق و الانقان - امام المذهب في زمانه - وسلطان العلماء في اوانه - برع فى الفقه والاصول والعربية ودرس وافتي وصنف وبلغ رتبة الاجتهاد وانتهت اليه معرفة المذهب مع الزهد والورع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة فى الدين وكان مع شدته فيه[٣] حسن محاضرة بالنوادر والاشعار يحضر السماع ويرقص ولما توفي شيع جنازته الملك الظاهر * قلت وكلامه رضي الله عنه مشهور في عقيدته المشهورة التي هي بالتحقيق والحسن مسكورة ومعروفة بالفضيلة وحسن التصرف فى العلوم و نجابة الفروسية في ميدان مبارزة الخصوم التي قال فيها بعد ما ذكر اعتقاد اهل الحق في مسائل الاصول - واحتج على ذلك بالمعقول والمنقول - هذا اجمال من اعتقاد الاشعري رحمه الله - واعتقاد السلف - واهل الطريقة والحقيقة نسبته الى التفصيل

---

(١) الصواب [الحظوة *   (٢) الاصح حذف الواو *

(٣) الصواب [حسن المحاضرة] *

الواضح كنسبة القطرة الى البحر الطافح يعرفه الباحث من حلقه وسائر الناس له منكر غيره * * شعر *

لقد ظهرت فلا تخفي على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا

انتهى * وفي هذا المعني انسد غيره ايضاً اعني في ذم من فم علم الكلام - من ذوي المرض بالجهل والسقام

و من يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

و استشهد على ذلك ايضاً بالمثل المسهور - الناس اعداء ما جهلوا - وبقوله تعالى نحواً من ذلك في المعنى [و اذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم] وكذلك الامام المتفق على فضله وجلالته - وعلمه وعبادته - و ورعه وزهادته - المسهور في المسارق والمغارب - بالمحاسن والفضائل والمناقب - السيخ ابو اسحق السيرازي ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي رضي الله عنه * وانما لم اذكره مع من ذكرت من ائمه الاصول الجلة المحققين النجاب- في القصيدة اللامية المعدح بها هذا الكتاب- لاني ما كنت وقفت على ما كنت اسمع به من تصنيفه في اصول الدين - وفتواه في بيان صحة مدهب الاشعرية ومدحهم - فلما وقفت على ذلك احببت ان لا يخلو من ذكره هذا الكتاب - والحقته هاهنا بمن ذكرت من جملة الاصحاب - اما فتواه فما ذكره الامام الحافظ ابوالقسم بن عساكر في كتابه الاتي ذكره ان شاء الله * الجواب وبالله التوفيق - ان الاشعرية هم اعيان اهل السنة[1] ونصار السريعة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم - فمن طعن فيهم فقد طعن على اهل السنة واذا رفع امر من يفعل ذلك الى الناظر في امر المسلمين وجب عليه تاديبه بما يرتدع

---

(١) الفصيح [الانصار] *

به كل واحد - وكتب ابرهيم بن علي الفيروز آبادي وبعده جوابي مثله وكتب احمد بن محمد الشاشي - وذكر الامام المذكور اجوبة اخرى لجمع كثيرين من الفقهاء والمحدثين - ذكرت ذلك في كتابي الموسوم بالشاش المعلم - شاووش كتاب المرهم - واما تصنيفه فاعني به كتاب الاشارة وجدته مختصراً شافياً اوضح العبارة ومفصحاً بمدح مذهب الاشعرية ونسبتهم الى الحق والتحقيق - ومصرحاً بالتجهيل لمن ذمهم من الحسوية والتضليل والتحميق - ومن الفاظ خطبة الكتاب المذكور - اما بعد فاني لما رأيت قوماً ينتحلون العلم وينسبون اليه - وهم من جهلهم لايدرون ماهم عليه ينسبون الى اهل الحق ما لا يعتقدونه - ولا في كتاب يجدونه - لينفروا قلوب العامة عن الميل اليهم - و يا مرونهم ابداً بتكفيرهم ولعنهم - احببت ان اشير الى بطلان ما ينسب اليهم بما ذكروه من اعتقادهم مع اعترافي بالتقصير - وعلمي بان[1] نصّار الحق كثير - ليرجع الناظر فيما جمعته عن قبول قول المضلين ويدين الله عزوجل بقول الموحدين المحققين - فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا لعن آخر هذه الامة اولها فمن كان عنده علم فليظهره - فان كاتم العلم ككاتم ما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم - ويروي عنه عليه السلام انه قال من كتم اخاه نصيحةً او علماً يطلبه منه لينتفع به حرمه الله تعالى فضل ما يرجو - نسأل الله الكريم تعالى ان لا يحرمنا رحمته وان يدخلنا جنته * قلت ولعل ما ذكره الشيخ ابو اسحق من[2] سب الاشعريه من جملته ما ذكر علماء التاريخ - ان نظام الملك ابطل في سنة ست و خمسين واربعمائة ما كان عمله السلطان من ميكائيل وعميد الملك الكندري وزيره من سب الاشعرية

---

(١) الصحيح [انصار] * (٢) في النسخة الخطية [سب] *

على المنابر - و انتصر للشافعية و اكرم امام الحرمين ابا المعالي وزين الاسلام ابا القسم القشيري - ولما فرغ من بناء مدرسته المعروفة بالنظاميه سنة تسع وخمسين واربعمائة قرر لتدريسها الشيخ ابا اسحق و اجتمع الناس فلم يحضر لكونه لقيه صبي - فقال له كيف تدرس في مكان مغصوب ورجع واختفي - فلما ايسوا من حضوره - قالوا ما ينبغي ان ينصرف هذا الجمع الا بعد تدريس مدرس ابونصر بن الصباغ مصنف الشامل - فلما وصل الخبر الى نظام الملك اقام القيامة علي العميد ابى سعد - ولم يزل يرفق بابى اسحق حتى درس بها - و درس بها بعد موت ابي اسحق ابو سعد المتولي - ثم صرف بابن الصباغ - و درس بها الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي في زمانه * رجعنا الى ذكر الاشعرية - قال الشيخ ابو اسحق فمن ذلك انهم يعتقدون ان اول ما يجب على البالغ العاقل المكلف القصد الى النظر والاستدلال المؤديين الى معرفة الله عز وجل - ثم استدل على ذلك بما لا اطول بذكره - مما تقدم في موضعه وغيره * ثم قال فمن انكر النظر و الاستدلال لايخلو إما ان ينكر بدليل او بغير دليل او بالتقليد فان انكر ذلك بغير دليل لايقبل منه وان انكره بالتقليد فليس بتقليد من قلده باولى من تقليدنا وان انكره بدليل فهو النظر و الاستدلال الذي انكره فبطلت دعواه وثبت ما قلناه * قال ثم يعتقدون ان التقليد في معرفة الله عز و جل لا يجوز - لان التقليد قبول قول الغير من غير حجة وقد ذم الله عز و جل المقلدة فقال تعالى [قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون] ولان المقلدين تساوت اقوالهم فليس بعضهم اولى من بعض * ثم قال اذا كان الانبياء صلوات الله عليهم مع جلالة قدرهم وعلو منزلتهم لم يدعوا الناس الى تقليدهم من غير اظهار

دليل ولا معجزة فمن نزلت درجته عن درجتهم اولى واحرى ان لا يتبع فيما يدعو اليه من غير دليل * ثم سرد عقائد هم مستدلا على صحتها بادلة قاطعة واضحة لامعة للمعقول و المنقول جامعة هادمة لمذهب المعتزلة والرافضة والحشوية - وسائر المخالفين لمذهب الاشعرية * ثم قال في آخر الكتاب المذكور - وقد روى في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم - انه قال للازد والاشعريين هم مني و انا منهم - طيبة افواههم نقية ثيابهم لا يغلون و لا يجبنون - وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال - يقدم عليكم اقوام هم ارق منكم قلوباً - فقدم الاشعريون فيهم ابو موسى الاشعري - فلما قربوا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون *

غدا[1] يلقى الاحبة * محمدا و حزبه

وروى انه صلى الله عليه و سلم لما نزل عليه قوله عز و جل [يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم و يحبونه] ضرب بقضيبه الممسوق في ظهر ابى موسى الاشعري - وقال هم قومک يا ابا موسى اهل اليمن قلت هكذا ذكر هذا الحديث في الكتاب المذكور - والذي رويناه في تفسير الامام ابى الحسن الواحدي مسنداً - واخرجه الحافظ ابو عبدالله الحاكم في صحيحه - انه لما نزلت هذه الآية [فسوف ياتي الله بقوم يحبهم و يحبونه] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري * رجعنا الى ما كنا بصدده - قال ومعلوم بادلة العقل انه لم يظهر احد من اولاد ابى موسى الاشعري رضي الله عنه رد على جميع المبتدعة من المعتزلة والرافضة والمشبهة و ابطل شبههم غير الامام ابي الحسن

---

(١) يجوز ان يقال [نلقي]

الاشعري فانتفى[1]عنه صلى الله عليه وسلم في الغيب كما انتفى[2]عن الامام الشافعي بقوله لا تسبوا قريشاً - فان الله يظهر منهم رجلا يملأ الارض علماً وروي فان عالمها يملأ الارض علماً - و اتفق العلماء كلهم على انه الشافعي فانه لم يكن في الائمة قرشي غير الشافعي فانتفى[3] عنه في الغيب كما انتفى[4] عن الامام ابى الحسن الاشعري * قال فمن كان في الفروع على مذهب الشافعي وفي الاصول علي اعتقاد الاشعري فهم معلم الطرفين كما انشد بعض الاصحاب * * شعر *

اذا كنت في علم الاصول موافقاً ... معقدك قول الاشعري المسدد
وعاملت مولاك الكريم مخالصاً ... بقول الامام الشافعي المؤيد
و اتقنت حرف ابن العلاء مجوداً ... ولم تعد في الاعراف راي المبرد
فانت على الحق اليقين موافق ... شريعة خير المرسلين محمد

قال - فاما قول الجهلة نحن شافعية الفروع حنبلية الاصول فما يعتد به فان الامام احمد لم يصنف كتاباً في الاصول ولم ينقل عنه من ذلك شئ اكثر من صبره على الضرب و الحبس حين دعاه المعتزلة الى الموافقة في القول بخلق القرآن فلم يوافق - ودعي الي المناظرة فلم يناظر- قال و الاقتداء بمن صنف في ذلك وتكلم فيه وقمع المبتدعة بالادلة القاطعة و الحجج الباهرة اولى و أحرى * قال واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعلو منزلته واظهاره المعجزات والدلائل والآيات لم يخل من عدو منافق وحاسد فاسق ينسب اليه ما ليس هو عليه والصحابة المقطوع لهم بالجنة كذلك - فمن نزلت درجته عن

---

(١) الصواب [عليه] *　　(٢) الصحيح [على] *
(٣) الصواب [عليه] *　　(٤) الصحيح [على] *

درجتهم اولى واحرى ان لا يسلم من ذلك هذا مختصر كلام * قال في آخره خاتماً لكتاب الاشارة المذكور - فمن كان مقصوده معرفة ما اهل الحق عليه فليتدبر ما اشرت اليه يصل الى مقصوده - والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا - انتهى *

قلت وكذلك الامام العلامة الزاهد الرباني رئيس اصحاب الشافعي الذي كان اماماً في المذهب والخلاف والنظر والاصول والتفسير والحديث والوعظ والزهد ناصر السنة قامع البدعة و الضلالة رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل بن يوسف القزويني قدس الله روحه - قال في كتابه محجة الحق و منجاة الخلق - اعلم ان اشرف العلوم علم الاصول لان شرف العلم بشرف المعلوم كالعلم بالصياغة اشرف من العلم بالدباغة ولا معلوم اجل من ذات الله و صفاته - ولا علم اشرف من العلم به - وايضا فان الله تعالى[1] يعبدنا بالعبادات والعبادة لاتصح الا بالنية - وحقيقة النية التقرب الى المعبود فما لم يعرف المعبود كيف يتقرب اليه * وقد اثنى الله تعالى على علماء التوحيد حيث قال [شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة و اولوا العلم قائماً بالقسط] والمراد بهم اولوا العلم بالتوحيد * فاذا عرفت هذا فاعلم انه يتعين على كل خائض في فن من فنون العلم ان يبحث اولاً عن لقب ذلك العلم ومقتضاه ثم عن شيخه و مقتداه ثم عن مقصوده و مغزاه * فهذه ثلث مقدمات - الاولى في بيان لقب هذا العلم ومقتضاه اعلم ان هذا العلم مشهور بعلم الكلام وانما سمى به لان اول مسئلة وقع الخلاف فيها بين الاسلاميين مسئلة الكلام - فذهبت المعتزلة الى ان كلام الباري تعالى حرف وصوت وهو محدث - وذهبت المشبهة الى انه حرف وصوت

---

(١) لعل الصواب [يامرنا] *

وهو قديم - وذهبت المحققة الى انه قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو معنى قديم قائم بذات الباري تعالى - فلما كانت اول مسئلة وقع الخلاف فيها هذه المسئلة سمي هذا الفن به * المقدمة الثانية في بيان شيخ هذا العلم و مقتداه - اعلم انه قد[1]اشهر لهذا الفن جم غفير من الائمة واوفرهم فضلاً واشهرهم ذكراً و ايقنهم علماً شيخنا ابو الحسن الاشعري رحمة الله عليه - لان شرف المرأ انما يعرف بنسبه واصالته وبدينه وصلابته وتعلمه ودرايته وبتقواه وديانته وتصانيفه وتلامذته وقد سبق شيخنا سائر ائمة هذا الفن بهذه الوجوه الستة * الاول في نسبه واصالته - اعلم ان شيخنا من الاشاعرة - وقد ورد في الثناء عليهم الكتاب والسنة وذكر من الكتاب ما تقدم ذكره عن الشيخ ابي اسحق - وقال - قال القاضي ابو بكر الخيري لما ورد هذا الخبر - كانوا يحفظون من يخرج من اولاده ينصر الاسلام واهله فلم يخرج الا ابو الحسن * وذكره عن السنة - ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم الحي الازد و الاشعريون - ثم ذكر في وصفهم نحوا مما تقدم - و زاد فيه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان يمان - والحكمة يمانية * قلت ولم يذكر الفقه - وسياتي في الحديث الصحيح - والفقه يمان - قال - و شيخنا ابو الحسن علي بن اسمعيل بن اسحق بن سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري رحمة الله عليهم - وقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا موسى برسولين - في النغمة بداؤد عليه السلام - فقال لقد اوتي مزماراً من مزامير آل داؤد - وفي التاوه والانابة بابراهيم عليه السلام فقال في حقه بل هو اواه منيب - الوجه الثاني في دينه وصلابته كان في

(١) الصواب [اشتهر] *

الابتداء يذهب الى مذهب الاعتزال - وكان يورد على استاذه ابى علي الجبائي اسولة كان لا يهتدي لجوابها - فتحير في مذهبهم - فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ثلث ليال كل مرة يقول له صلى الله عليه وسلم - يا ابا الحسن ابصر الحق - فقال له في الليلة الثالثة - يا رسول الله ادع الله لي - فقال افتح فاك ففتحه فتفل فيه - فلما انتبه فتح الله عليه دلائل الحق والتوحيد - وعرفه مذهب اهل السنة و الجماعة - فذب عن دين الله وفضح اعداء الله حتى صار رايه في الحق * الوجه الثالث في علمه ودرايته - و ذلك اشهر من ان يخفى - فان فحول العلماء في هذا الفن من اهل الحق قد شهدوا له بالسبق والفضل وكونهم قاصرين فيه وانه قد بلغ ذروة الكمال * الوجه الرابع في تقواه و ديانته - حكى الحسن السروى ان ابا الحسن الاشعري كان قريبا من عشرين سنة يصلى صلوة الصبح بوضوء العتمة وكان يحكي شيئًا من اجتهاده لا الى حد - وقال غيره من مصنفي الطبقات - كان قانعاً متعففاً شافعياً - قرأ على ابي اسحق المروزي في الفقه * الوجه الخامس في تصانيفه و هي اكثر من ان تحصى نيفت على المائة - و مما صنف كتاب مختصر سماه اللمع لقد شرح[1] مائة شرح و اكثر قريبة من الف مجلد - وهو بعد بكر على ما قيل ؟ * قلت هكذا ذكر الامام المذكور عنه جملة تصانيفه - وقد نقلت في الناشر المعلم - انه روي الامام الحافظ ابو القسم بن عساكر بسنده انها عدت تراجمها[2] - فنافت على ثلث مائة وثمانين مصنفا * الوجه السادس في تلامذته - وكل من انتمى اليه من العلماء

---

(١) لعل الصحيح [مائة شروح و اكثرها] *   (٢) الصواب [عددت] *

وتعصب له صار علماً للعلماء و آية للحق حجة للخلق - ومن
مشاهيرهم ابو بكر الباقلاني الذي وزعت تصانيفه على عمره فبلغ كل يوم
ثماني عشرة ورقة - وقال ابن الخطيب كان ورده بالليل عشرين ترويحة
في الحضر و السفر فاذا فرغ كتب خمسا وثلثين ورقة من تصنيفه *
ومنهم ابو اسحٰق الاسفرايني الفقيه المتكلم الاصولي الذي اخذ عنه الكلام
و الاصول عامة شيوخ نيسابور و درس عليه الاصول القاضي ابو الطيب
الطبري - ذكر ذلك الشيخ ابو اسحق الشيرازي في الطبقات - وقال
الشيخ الامام ابو الخير المذكور - رؤي في المنام ليلة مات كان بابا من
السماء[1] تعلق - فقال الرائي لم[2] تعلق هذا الباب فقيل هذا باب كان يرفع فيه
كلام ابي اسحٰق فالآن[3] تعلق بوفاته * ومنهم ابو بكر بن فورك الذي قيل
لو كان بعد النبي صلى الله عليه و سلم نبي جائز كان ابن فورك -
وقال غيره في ترجمته - كان اماماً متكلما صاحب تصانيف في الاصول
والعلم ذا زهد وعبادة وتوسع في الادب والكلام والوعظ والنحو * ومنهم
ابو القٰسم الاسفرايني و ابو محمد الجويني وابنه ابو المعالي يعني
امام الحرمين - وهؤلاء المذكورين وغيـــرهم ممن لم نتعرض لذكر
مناقبه الشائعة في الاقطار استغني عن ذكرها لكثرة الاستفاضة و الاشتهار *
و ابو بكر البيهقي يعني الامام الحافظ المحقق المحدث الفقيه الاصولي *
وابو منصور بن ايوب الاشعري صاحب المقنع الذي ما دخل بيتاً فيه
مصحف الا على طهارة بضع عشرة سنة * وابو منصور بن عبد القاهر
البغدادي عديم النظير في زمانه * وابو سهل الصعلوكي * قلت - قال الشيخ
ابو اسحٰق الشيرازي كان فقيها شاعراً اديباً متكلماً مفسراً صوفياً * وقال

(١) (٢) (٣) تعلق] بالياء المثناة والعين المفقوطة و هو الصواب *

الحاكم ابو عبدالله ابو سهل الصعلوكي الشافعي اللغوي المفسر النحوي المتكلم المفتي الصوفي حبر زمانه و بقية اقرانه - ناظر وبرع * وقال غيرهما من اصحاب الطبقات هو الفقيه الامام شيخ الشافعية بخراسان * وقال الصاحب بن عباد ما رأي[1] سهل مثل نفسه ولا رأينا مثله - قال الامام ابو الخير المذكور * ومنهم ابو القاسم القشيري قلت - قال الشيخ ابوالحسن عبد الغافر بن اسمعيل الفارسي عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ابو القاسم الامام مطلقاً الفقيه الاصولي المفسر الاديب النحوي الكاتب الشاعر لسان عصره وسيد وقته وسرالله بين خلقه شيخ المشائخ واستاذ الجماعة مقدم الطائفة ومقصود سالكي الطريقة[2] و بُنْدار الحقيقة وعين السعادة وقلب السيادة وحقيقة الملاحة لم ير مثل نفسه في كماله وبراعته - جمع بين علم الشريعة والحقيقة وشرح احسن الشرح اصول الطريقة * قلت وتصانيفه كثيرة مشهورة في التفسير وغيره من العلوم ومن مشهوراتها كتاب الرسالة الذي ملأت الآفاق شهرته وعمت المعتقدين من الانام بركته * قال الامام ابو الخير ومنهم ابو القسم الانصاري وعلي بن مهدي الطبري الى سائر من يكثر تعدادهم رضوان الله عليهم اجمعين * قلت وذكر الشيخ ابو اسحق الشيرازي ايضا ان جماعة من اهل هذا العلم اعني علم الكلام ممن صحب الامام الشافعي - منهم ابو علي الكرابيسي و ابو عبدالرحمن احمد بن يحيى المتكلم و عبد العزيز بن يحيي الكناني المكي صاحب كتاب الحيدة مناظر بشر المريسي عند المامون في نفي خلق القرآن * قلت و ليس هذا[3] موضع ذكر مناقبهم ولا يمكن[4] عد ذكرهم واستيعابهم - وقد

---

(١) الصواب [ابو سهل] (٢) يمكن ان يقرأ [مدار]

(٣) في النسخة الخطية [مواضع] ؛ (٤) في النسخة الخطية [عدد] *

ذكرت في الكتاب الموسوم بالنباش المعلم شاووش كتاب المرهم من مشاهير اعيانهم مائة امام هم اعلام المهتدين وحماة الدين - وذكرت شيئاً من مناقب اهل هذا المذهب التي يقصر في مدحها من اطنب - وقد قال الشيخ الفقيه الامام الاجل الحافظ الضابط المتقن العلامة عمدة المسترشدين وامام الحرمين قدوة العلماء العارفين مفتي المسلمين قطب الدين محمد بن الشيخ الفقيه العالم العارف العابد كمال الدين ابي العباس احمد بن علي القسطلاني في بعض تصانيفه لما ذكر مذهب الشيخ الامام ابي الحسن الاشعري و اصحابه انتحل مقالتهم جمع من العلماء - ردوا ما كان من الفساد ظاهراً - و دونوا في ذلك دواوين سارت بها الركبان في البلدان وانتسبوا الى الاشعري ابي الحسن لانتحالهم مقالته و التزامهم دلالته وقال بها جم غفير من علماء المالكية و الشافعية وبعض الحنفية فخاضوا في التاويل - و جمعوا بين ما افترق من الاقاويل - دفعاً للتجهيل و التضليل - فاكثر الشناعة عليهم من لم يكن لذهنه تصرف - في المعارف - ولا توقف عن الاصدار والايراد المتعارف * قلت فهذا ما اقتصرت عليه من التنبيه على فضل المذهب والعلم المذكورين - وعلى الجملة فينبغي ان يقال انما يذم من علم الكلام ما يدعو الى ترك الكتاب و السنة ككلام اهل البدع من سائر الفرق فاما ما يدعو الى الاخذ بها ويوضح بطلان قول من خالفهما ويزيح الشكوك والشبه عن قلوب المسلمين ويقيم البراهين القواطع على تاويل ما استحال في العقل حمله على ظاهره فليس بمذموم * قلت ولما كتبت هذا الكتاب وجدت بحمد الله ما يؤيده من كلام الامام ابي بكر البيهقي - قال بعد ان ذكر اجوبة عديدة عن قول من ذم علم الكلام وفي ذلك دلالة على ان استحباب من استحب من ائمتنا ترك الخوض في علم الكلام انما هو للمعنى الذي اشرنا اليه - وان الكلام المذموم انما هو كلام اهل

البدع الذى يخالف الكتاب والسنة - فاما الكلام الذي يوافق الكتاب و السنة
و يبين بالعقل و العبرة - فانه محمود مرغوب فيه عند الحاجة تكلم
فيه الشافعي وغيرة من ائمتنا رضي الله عنهم عند الحاجة * قلت
وقد صنف الامام الحافظ ابوالقسم بن عساكر في مناقب الشيخ الامام
ابى الحسن الاشعري و اصحابه كتاباً جليلاً مشهورًا - مفخماً مشكورًا -
سماه كتاب تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الشيخ الامام
ابى الحسن الاشعري - فمن احب ان يقف على فضائلهم فليطالع
الكتاب المذكور - يجد فيه ما يشرح الصدور - ويرفع الشبه والغرور - وما
افتراه عليهم اهل البهت والزور - وعدد ائمة المذهب المذكور غير محصور -
وقد لخصت مقاصد كتابه المذكور - واودعته الجزء الموسوم
بالشاش المعلم شاووش كتاب المرهم المعلم بشرف المفاخر العلية -
في مناقب الائمة الا شعرية - قال في آخر كتابه المذكور فمذهبهم اوسط
المذاهب - ومشربهم اعذب المشارب - ومنصبهم اكرم المناصب - ورتبتهم
اعظم المراتب - فلا يوثر فيهم قدح قادح - ولا يظهر فيهم جرح جارح *
قلت ولو لم يكن من ائمتنا اولى الحق والتحقيق والمناقب و الفخر
الداخلين في دائرة الاصطفاء والخارجين عن الحصر الا الثلثة الفائقو
المحاسن والاوصاف الملاح - الجامعون بين العلم والعمل والورع والزهد
والعبادة والصلاح - ابوحامد الغزالي وابو اسحق الشيرازي و ابو زكريا النواوي
اولي التحقيق والتوفيق والنجاح - والتصانيف المباركة التي ظهرت عليها
السعادة ولاح عليها الفلاح - لاغنى ذلك وكفى - هدًى وفضلاً وشرفاً - فكيف
وائمتنا من علماء الباطن والظاهر - من كل صديق وعارف بالله بحر
زاخر - وحبر ذي تحقيق فاضل في العلوم ماهر - قد طبقوا وجه الارض - ذات
الطول والعرض - ما بين باد وحاضر - والحمد لله الذي جعلنا من اهل

المذهب الاوسط - بين حضيض الحشو وغلو الاعتزال ممن فرط وافرط - سالكين المنهج الحميد الاعدل الاقسط - الجامع بين المعقول والمنقول الذي جاء به المصطفى محمد - صلى الله عليه و سلم وبارك وشرف ومجد - و على آله واصحابه السادات الكرام على طول الابد * وها انا ابتدئ بشرح ابيات العقيدة المذكورة - مع كون احكام كثير منها في جواب الشبه الثلث المتقدمة مسطورة - واما البيت الاول وهو قولي * شعر *

علا ربنا عن كيف او اين او متى * وعن كل ما في بالنا يتصور

فهو مشتمل على تنزيه الحق سبحانه عن الكيفية و المكان والزمان - و مشابهة ما تصور في البال وخطر في الجنان - واما نفي الكيفية والتشبيه والمثال - ومحاكاة كل ما يتصور في البال - فقد دل عليه من العقل والنقل من الكتاب المبين - قواطع الادلة والبراهين - إما القاطع النقلي وبه ايد(١) السريعة الى بلوغ المرام - اذ القاطع العقلي هنا يطول فيه الكلام - فهو قول العليم الخبير [ليس كمثله شي وهو السميع البصير] اي ليس كهو شيئ وذكر المثل صلة للتاكيد وهذا اختيار بعض ائمة التفسير واللغة وعلم المعاني وهو قول ثعلب * قال الجرجاني في نظم القرآن يقول العرب في محاوراتها مثلي لايقبل منك اي انا لا اقبل منك ومنه قول الشاعر - * شعر *

يا عاذ لي دعني من عذلكا * مثلي لا يقبل من مثلكا

قلت و من هذا قول العرب - ما رأيت مثل فلان يريدون كفلان * وذهب بعض ائمة العلوم المذكورة الى ان الكاف صلة للتاكيد اي ليس مثله شيء وهذا قول الزجاج و ابي الحسن الواحدي (٢) ومن قول الشاعر * سعد ابن زيد اذا ابصرت فضلهم * ما إن كمثلهم في الناس من احد

---

(١) في النسخة الخطية [الشرعية] * (٢) الاولى [و منه] *

قال العلماء والمعنى نفى المثل له تعالى مطلقاً في ذاته وصفاته وافعاله على الاقوال كلها - انتهى مختصراً * قلت واما القاطع العقلي فلان كل ما يتصور في البال - وتحكيه الاوهام والخيال - وكل ماله شبه ومثال - فهو مندرج على الحقيقة - تحت اطوار الخليقة - الذين هم بالعادة مالوفون - وبالجنس معروفون - ولو لا ما يعرف الناس من الاجناس - ما انتظم امر القياس - واذا رجع ذلك الى جملة المخلوقات وانحصر فيها فقد حصل العرض - لان جميعها منحصـــر في الجسم والجوهر والعرض - وكل واحد من الثلثة محال على الله الخالق المالك - كما سياتى البرهان العقلى القاطع في الدلالة على جميع ذلك * قلت ومن البرهان الواضح القاطع - انك اذا نظرت في جميع الصنائع - لم تجد صنعة مخلوق قط من جنس الصانع - واذا كان هكذا في المخلوق العاجز الحقير - فما ظنك بالخالق العزيز القدير - المتعالي عن الجنس والشبيه والنظير * وهاانا اشرع فيما ذكرت من الاستدلال على ان الجسم والجوهر والعـــرض على الله محال - واقـــدم على ذلك مقدمة مشتملة على اربعة فصول - واربعة اصول - فالبناء عليها يحصل الوصول - الى كثرة المحصول - اختصرتها من كلام بعض الائمة - ورتبتها وزدت عليها مما ظهرلي تتمة - فيما يتعلق بالنظر [1] والعرض والجسم والجوهر فالحاجة ماسة في هذا العلم الى تقديم البحث فيها خصوصاً العرض - اذ باثبات وجوده وحدوثه واستحالة خلو الجواهر عنه بلوغ الغرض - من هدم مذاهب الفلاسفة الملحدين - المخالفين لمذهب الموحدين - ومذهب المخالفين من المبتدعين *

---

(١) قد سقط لفظ [و العلم] هناك - كما يتضح ذلك من العبارات التالية -

الفصل الاول في تعريف النظر و العلم و العرض و الجسم و الجوهر

و اقدم على ذلك تعريف الحد والرسم و يشملهما جميعاً اسم المعرف واقدم حده عليهما * قال أئمتنا رضي الله عنهم معرف الشيء ما يستلزم معرفته معرفته فيكون العلم به سابقاً على العلم بالمعرف فلا يعرف الشيء بالمساوي في الجلاء و الخفاء كما قيل الزوج عدد ليس بفرد - و لا بنفسه مثل الانسان حيوان بشر - و لا بالخفي منه - سواء توقف عليه معرفته بمرتبة كتعريف الشمس بانها كوكب نهاري و النهار بانه زمان طلوعها - او بمراتب كتعريف الاثنين بالزوج ثم تعريف الزوج بانه المنقسم بمتساويين - ثم تعريف المتساويين بالشيئين - ثم تعريف الشيئين بالاثنين - اولم يتوقف مثل النار شيء شبيه بالنفس - و اما حد الحد و الرسم فكل منهما ينقسم الى تام وناقص - فان عرف الشيء بجميع اجزائه فهو الحد التام - او بالمميز منها فهو الناقص - او بالجنس و الخاصة فهو الرسم التام - او بها وحدها فهو الناقص - و قال بعضهم الحد التام هو الحاوي لآحاد المحدود - وقال بعضهم هو الجامع المانع - يعني انه جامع لجميع افراده مانع ان يدخل فيه ما ليس منه او يخرج عنه (١) ما هو منه - و شرطه ان يطرد و ينعكس فيوجد المحدود بوجوده ويعدم بعدمه * قلت ومثال ذلك قول الاصوليين الانسان حيوان ناطق - و قول النحاة الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد - ومثال الاطراد والانعكاس ايجاباً و سلباً - كل كلمة لفظ وضع لمعنى مفرد - وكل لفظ واضع لمعنى مفرد كلمة - و كل ما ليس بكلمة فليس بلفظ وضع لمعنى مفرد - وكل ما ليس بلفظ وضع لمعنى مفرد فليس بكلمة * قلت و اذا قد عرف

---

(١) الصحيح [ما ليس منه]

تعريف المعرف و تعريف قسميه الذين هما الحد و الرسم وانقسامهما في النقص و التمام الى اربعة اقسام - فها انا بعد تعريف آلة التعريف وتصحيح الميزان - اشرع فيما عقدت الفصل له من تعريف الخمسة المذكورة التي بها تقيم البرهان - و ابتدأ بتعريف النظر الذي هو الطريق الموصلة الى معرفة الرحمن * النظر الصحيح هو كل ما يودى الى العثور على الوجه الذي منه يدل الدليل - هكذا حده امام الحرمين - وحده غيره من ائمتنا بانه ترتيب امور معلومة على وجه يودى الى استعلام ما ليس بمعلوم - و تلك الامور المرتبة ان أوصلت الى تصور سمى معرفاً و قولاً شارحاً - وان اوصلت الى تصديق سمى حجةً و دليلاً * قلت فتعريف النظر قد عرف و استقر واما مثاله فكقولنا في اصول الدين في الاستدلال على(١) حدوث العالم و هو ما سوى الله تعالى العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث - اما تغير العالم فظاهر - واما كون كل متغير حادثاً فلان التغيّر من سمات الحدث اذ هو حادث وفيه تغير صفة و وجود عرض - وكل هذه المذكورات محال على القديم سبحانه اذ لا يتغير صفاته - و لا يحلها الاعراض والحدث و سماته - كما قد علم و كما سيعلم قيام البرهان على ذلك و اثباته - و كقولنا في اصول الفقه في الاستدلال على نجاسة الماء القليل بملاقاة النجاسة و ان لم يتغير - هذا ما دون (٢) قلتين و فيه نجاسة و كل ما دون القلتين فيه نجاسة فهو نجس بمفهوم قوله صلى الله عليه و سلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا - اذ مفهومه دال على ان قلتين حامل للخبث و مخصص منطوق خلق الماء - و في رواية خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه لان المفهوم دليل ايضاً - وفي تخصيصه عمل بالدليلين - و في تعميمه ترك العمل باحد هما - والعمل

---

(١) في النسخة الخطية [حدث] * (٢) الصواب [القلتين] *

بالدليلين و لو من وجه احوط - و كل ما كان احوط كان اولى - فتخصيص المنطوق المذكور اولى * قلت فهذا تعريف النظر و مثاله - و اما حكمه فسيأتي ان شاء الله تعالى ذكره * و اما تعريف العلم فهو معرفة المعلوم على ما هو به * قلت وهذا الحد هو الذي ارتضاه جماعة من محققي ائمتنا - ورجحه امام الحرمين على اقوال أخرى لبعض اصحابنا * منها قول بعضهم العلم تبيين المعلوم على ما هو به - و اشار امام الحرمين الى كونه غير مرضي اذ التبيين ينبئ عن الاحاطة بالمعلوم عن جهل او غفلة و المراد من الحد ما يشتمل على العلم القديم والحادث * ومنها قول طائفة العلم ما يصح ممن اتصف به احكام الفعل و ابقائه - و لم يرتضه ايضاً فان المعلوم بالمستحيلات و بالقديم و بالموجودات الباقية لايصح من الموصوف بها الاحكام - وانما يندرج تحت هذا القول ضرب واحد من العلوم و هو العلم بالاحكام والايقان * قال و منها قول شيخنا ابي الحسن يعني الاشعري المشهور امام ائمة الاصول رضي الله عنه - العلم ما اوجب كون محله عالماً - و لم يرتضه ايضاً امام الحرمين - قال فان الغرض من المحدود تبيين المقصود وهذا فيه اجمال * واما اوائل المعتزلة فقالوا في حد العلم هو اعتقاد الشئ على ما هو به مع سكون النفس اليه فابطل عليهم حدهم باعتقاد المقلد لثبوت الصانع فانه كذلك ثم ليس هو بعلم فزاد المتاخرون وقالوا هو اعتقاد الشئ على ما هو به مع سكون النفس اليه اذا وقع ضرورة او نظرا - وابطل عليهم ايضا بالعلم بان لا شريك للباري تعالى والعلم بالمستحيلات كاجتماع المتضادات ونحوها فانها علوم وليست علوماً باشياء اذ الشئ هو الموجود عندنا - وعندهم هو الموجود او المعدوم الذي يصح وجوده و هذه المذكورات لا يصح وجودها فبطل حدهم وبالله التوفيق * قلت فهذا ما اختصرته من الاقوال في حد العلم - ثم للعلوم اضداد تخصها واضداد

تضادها وغيرها من الخاصة الجهل والشك والظن والوهم وبيـــان تعريف الجميع ان يقال الاعتقاد ان كان جازماً مطابقاً ثابتاً فهو العلم و ان لم يكن ثابتاً فهو التقليد وان لم يكن مطابقاً فهو الجهل المركب وان كان جازمـــاً و يساوي طرفاه فهو الشك و الا فالراجح الظن و المرجوح الوهم - والاضداد العامة كالموت والنوم و الغفلة و الغشية * قلت , قول بعض اصحابنا وان لم يكن مطابقاً فهو الجهل المركب مع قول بعضهم النظر الفاسد لايتضمن علماً ولا جهلاً وبهذا صرح امام الحرمين مع قوله ايضاً في حد الجهل هو اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو به - اراه مشكلا بل ظاهره التناقض فان النظر الفاسد يلزم منه اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو به وهذا هو حد الجهل الذي ذكره - فيكون مع قوله المتقدم جهلا وليس بجهل هذا خلف * قلت هذا هو[1] المبادر الى الذهن ولكن مثل امام الحرمين و جلالة قدره وتحقيقه وجودة نظره وتدقيقه لا يظـــن فيمـــا قاله الا الصواب - وظهور وجه صحيح له عن غيره غاب - وقد فيه فيما بعد علـــى الوجه المذكور بقوله فاذا فسد النظر بمصادفته للشبهة فليس للشبهه وجه يتعلق باعتقاد على التحقيق والا لكانت دليلاً ولكان الاعتقاد علمـــاً وانقاد العالم بحقيقة السبهة الى الجهل به وليس الامر كذلك * هذا ما اختصرته من كلامه - وحاصله خلو السبهة عن وجه متعلق باعتقـــاد حقيقي وليس الجهل كذلك فافترقا والله اعلم * واما تعـريف الجســـم والجوهر والعرض فيعرف من تقسيم الموجودات و المعلومـــات - قيـــل المعلوم اما موجود او معدوم - و الاول اما ان يقبل العدم وهو الممكـــن - اولا وهو الواجب تعالى - والممكـــن اما ان يحـــل في محل يقوم بـــه وهو العرض - اولا و هو الجوهر * و المتكلمون قسموا الموجود الى ما لا اول

---

(١) الصواب [المتقادر] *

لوجوده وهو القديم تعالى - والى ما له اول و هو المحدث - والمحدث ينقسم الى متحيز منقسم وهو الجسم - وغير منقسم وهو الجوهر الفرد - وحالّ في المتحيز وهو العرض - واستحالوا وجود حادث لا متحيز ولا حال فيه * وقال الحكماء الجوهر اما ان يكون محلاً وهو الهيولى ويسمونه ايضاً المادة - او حالاً فيه وهو الصورة - او مركباً منهما وهو الجسم - اولا كذلك وهوالمفارق - فان تعلق بالجسم تعلق التدبير فهو النفس والا فهو العقل * قلت فعلى اصطلاحهم جعلوا الجوهر مشتركاً بين محلّ وحالّ ومركب منهما ومفارق مدبر للاجسام و مفارق موثر فيهما بزعمهم وكفرهم - والمراد بالحكماء الفلاسفة القائلون بتاثير العقول - والعقول عندهم هي اعظم الملائكة و اول المخلوقات و كل عقل منها بزعمهم سبب لعقل ونفس وفلك ؟ وهلم جراً الى العقل العاشر الموكل على عالم العناصر - وقد تقدم ذكر العقول العشرة و ذكر بطلان قول القائلين بها وكفرهم - و النفوس قالوا هي النفوس الفلكية و الملائكة السماوية و الارضية و النفوس البشرية الناطقة - ثم العقول العشرة و النفوس المذكورة هي عندهم جواهر مجردة - و اكثر المتكلمون لما انكروا الجواهر المجردة قالوا الملئكة و الجن و الشياطين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة * وقالت المعتزلة الجسم هو الطويل العريض العميق وهو يتركب عندهم اما من اربعة جواهر واما من ثمانية * وقال بعض اصحابنا الجسم هو المركب من جزئين فصاعداً يعني من جوهرين اواكثر - وقيل هو مذهب الاشعرية - والجوهر عند المتكلمين هو الجزء الذي لا يتجزي و يسمونه الجوهر الفرد * وقال امام الحرمين رضي الله عنه الجسم هوالموتلف في حقيقة اللغة و لذلك يقال في شخص يفضل شخصا بكثرة تاليف الا جزاء انه اجسم منه ولا وجه لحمل المبالغة الا على زيادة التاليف للاجزاء * قال واذا اثبتنا المبالغة الماخوذة من الجسم عن زيادة التاليف فاصل الجسم يجب ان يدل على اصل

التاليف اذا لاعلم لما دل على مزية في العلم دل العالم على اصله * وقال في موضع آخر الجسم في اصطلاح الموحدين هو المولف * وقال الامام ابو حامد رضي الله عنه كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر - وقال في موضع آخر مولف من جواهر وفي موضع آخر موتلف من جواهر * قلت وليس بين هذه العبارات اختلاف بل الاولى محمولة على اقل ما يسمي جسماً وهو المركب من جوهرين - والثانية والثالثة [1] متفقان في كثرة تعداد الجواهر التي هي اجزاء الجسم - واما اختلافهما في لفظ مولف و موتلف فذلك متفق في المعنى ايضاً لانه يقال الفه فائتلف ايتلافاً فهو موتلف ويقال ايضا الفه يولفه تاليفاً فهو مولف و ذلك مولف بكسر اللام من الاول وفتحها من الثاني * قلت وعلى الجملة فكل مولف موتلف - ولا يقال انه موتلف بنفسه - بخلاف مولف بكسر اللام اذ الايتلاف تاليف اجزاء شيء يستحيل صدوره من ذلك الشيء اذ لا يجوز ان يولف بنفسه وكيف يولف نفسه وهو قبل تاليف اجزائه معدوم - فبطلان ذلك بالضرورة معلوم * وقال الامام فخر الدين رضي الله عنه الممكنات بحسب القسمة العقلية متحيز و حالّ في المتحيز وغير متحيز ولا حالّ فيه - فالمتحيز الذي يمكن ان يشار اليه اشارة حسية بانه هاهنا او هنالك - فان قبل القسمة فهو الجسم والا فهو الجوهر الفرد اثبته المتكلمون دون الفلاسفة وعكسه القسم الثالث اثبته الفلاسفة دون المتكلمين وهو الجواهر المجردة من العقول والنفوس الفلكية والناطقة والملائكة والجن والسياطين عندهم ويسمون جميعها المفارقات والقسم الثاني العرض كاللون والحركة والسكون - انتهى معنى كلامه مختصراً * قلت واذ قد ذكرنا حدود هذه المذكورة فلنذكر شيئًا مما قيل في العقل الذي به يتعلق التكاليف - وتحصل سعادة الدارين والمقام الشريف * فذهب الامام

---

(١) الصحيح [متفقتان] x

القاضي ابوبكر واكثر المتكلمين الى انه من العلوم الضرورية - وذكر الامامان الشيخ ابوالحسن والاستاذ ابو اسحق في تقريرهما انه لا فرق بين ان نقول علمت الشيء او عقلته و قال امام الحرمين في الارشاد العقل من العلوم الضرورية وليس كلها - وقال في غير الارشاد وما(١)حوم عليه الاشيخنا المحاسبي فانه قال هو غريزة يتأتى بها ذلك المعلوم وليست منها واختار هو ايضاً ذلك الا انه غير لفظ الغريزة بقوله صفة قال و هو بصيرة باطنة نسبتها الى المعلومات نسبة البصر الى الموجودات وهو اوسع تعلقاً والله اعلم * وقال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي هو الوصف الذي يفارق به الانسان سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وبه تدبير الصناعات الخفية الفكرية - ثم ذكر انه الذي اراد الامام الحارث ابن اسد المحاسبي انه غريزة يتهيأ بها درك المعلوم النظرية هكذا حكي عنه لفظ يتهيأ - ثم قال وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء - وقال غيره من الائمة وعن المحاسبي ايضاً انه نور البصائر * وقال الجبائي من المعتزلة هو العلم الصارف عن القبيح الداعي الى الحسن * وقالت الفلاسفة هو تهيئة الدماغ للفيض * وقال بعضهم هو جوهر لطيف في البدن ينبث شعاعه فيه بمنزلة السراج في البيت * واختلف ايضاً في محل العقل من الانسان فقيل الدماغ و يعزى الى الامام ابي حنيفة - و قيل القلب و يعزى الى الامام الشافعي - قال بعض الائمة المتاخرين من المالكية وهو الصحيح لقوله تعالى [فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور] وقال واما فساده لفساد الدماغ فلا يمتنع ان يكون سلامة الدماغ شرطاً في صحته و كذلك اختلف في محل العلم من الادمى فقيل القلب - وقال بعض المتكلمين ومعظم الاطباء الدماغ - هذا ما اختصرت منهما من الكلام - والله سبحانه العلام *

---

(١) الصواب [حام]

بيان ما يعرف و يعرف به - قيل الحقائق اما ان يكون بسيطة او مركبة وكل منهما اما ان لا يتركب عنه غيره او يتركب - فالبسيط الذي لا يتركب عنه غيره لا يحد ولا يحد به وهو واجب الوجود تعالى الله عن ذلك - والذي يتركب عنه غيره يحد ولا يحد به كالجوهر - والمركب الذي لا يتركب عنه غيره يحد ولا يحد به كالانسان - والذي يتركب عنه غيره يحد ويحد به كالحيوان *

الفصل الثاني في بيان انقسام العلم الى قديم و حادث

فالقسم الاول علم الله تعالى وهو علم واحد علم به جميع المعلومات الكليات منها والجزئيات ما كان منها وما سيكون وما لا يكون مما جاز ان يكون ان لو كان كيف كان يكون وليس بضروري ولا كسبي بل صفة له تعالى قديمة من جملة صفات الذات القديمات * قلت وسيأتي ان كل صفة من صفاته تعالى متحدة كالعلم - والدليل على اتحاد علمه تعالى انه لوكان علمين مثلاً لم يخل اما ان يكون كل واحد منهما متعلقاً بجميع المعلومات او ببعضها والاول باطل لان المثلين لا يجتمعان والا لاتحدا و لم يكونا متباين - وايضاً يحصل الاكتفاء باحدهما والثاني ايضا باطل لان ذلك العلم لا يخلو اما ان يستحيل قيامه بمتعلق آخر او يجوز و الاول باطل - اذ العلم لا يستحيل تعلقه بالمعلوم فاذا تعلق بنوع دون آخر مع جواز تعلقه به دل على مخصص خصصه به فيودي الى احدوثه وعلم الله تعالى متقدس عن ذلك وايضا فان الاحتياج الى المخصص يودي الى التسلسل وهو باطل فبطل ان يكون علم الله متعدداً بل علماً واحداً وهو المطلوب المحمود مقصدا - والحمد لله حمداً موبداً * القسم

الثاني علم الخلق وهو على قسمين ضروري وكسبي و تقديره ان نقول تعقل الشي وحده من غير حكم عليه بنفي او اثبات يسمي تصوراً ومع الحكم باحدهما يسمى تصديقاً و كلا هما ينقسمان الي علم ضروري ونظري لانه اما يلزم العالم به لزوماً لايمكنه الانفكاك عنه كتصور الوجود والعدم والحكم بان النفى والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وهو الضروري ويسمى بديهياً - واما ان لا يكون كذلك بل يحتاج الى نظر و فكر يتوقف عليه كالعلم بحدوث العالم وقدم الصانع وهو الكسبي ويسمي نظرياً - اذ لو كانت التصورات والتصديقات كلها بديهية لما فقدنا منها شيأً - او كلها نظرية لما تحصلنا منها على شئ - لان النظري انما يكتسب من معارف اخرى سابقة فلو كانت جميعها مكتسبة لزم استناد كل منها الى اغيار متناهية فيلزم الدور او غير متناهية فيلزم التسلسل والكل محال *

الفصل الثالث فى انقسام الحجج الى عقلية و نقلية

والعقليه اما ان يكون مقدماتها قطعية ويسمي برهاناً ودليلا - اوظنية اومشهورة ويسمى خطابة و امارة - او مشبهة باحداهما ويسمي مغالطة والمبادي اليقينيه ما يجزم به العقل بمجرد تصور طرفيه ويسمي اوليات وبديهيات - اوبوسط يتصوره الذهن عند تصور هما مثل الاربعة زوج ويسمي قضايا قياساتها معها - اوالحس ويسمي مشاهدات وحسيات اوكلا هما معاً - والحس هو حس السمع مثل ان يخبر عن محسوس يمكن وقوعه جمع كثير يجزم العقل بامتناع تواطئهم على الكذب ويسمي متواترات او غيره مثل ان يشاهد ترتب شي على غيره مراراً كثيرة بحيث يحكم العقل بانه ليس على سبيل

NOTE

Dr E D Ross, C I E, is responsible for the editing of this fasciculus up to p 288 Owing to the continued absence of Dr Ross from India the last forty pages (pp 289-329) were edited by Mawlawi Muḥammad Sa'īd of Delhi under my supervision

A AL-MA'MŪN SUHRAWARDY

Many a tiresome business gives you contentment in the end.
God does what he wills—so do not set yourself up in opposition ! [1]

"When I read these verses, it was as if water had been thrown on my fire, and the violence of my fever, perturbation and restlessness was allayed. Yâfi'î arranged his history *Mirât ul-Janân* in chronological order, and it is brought down to 750 A.H I am unaware how long he lived after that date."

It is somewhat remarkable that a scholar like Jâmi should never have heard of Yâfi'î's death, which, as we know, took place eighteen years after the date here mentioned.

CALCUTTA E. DENISON ROSS.
September, 1910.

---

[1] These verses with slight variation are also to be found in the Arabian Nights (see Machnaghten's Edition, Vol I, p 34)

'Abdul Ghafûr, Jâmi's favourite pupil, in his *Hashiya* (or Marginal Notes) to the *Nafahât* (of which the A S B MS dated 902 A.H is the original *musawwida*) explains these verses in the following terms·—

یعنی از قصد و تدبیر خود معرض باش و باز گذار کارها را بقضای خدای - زیراکه
بسیار بود که تدبیر موافق نیفتد و بسیار بود که جائی که برین کس تنگ بود واین کس
از وی در رنج باشد کشاده گردد بی خواست این کس و بسیار بود که جای کشاده برین
کس تنگ گردد بحکم عسی ان تکرهوا شیأ و هو خیر لکم بسیار امر بود که این کس را
برنج آرد لیکن در عاقبت مآل خوشنودی حاصل گردد و چون بنده فاعل نیست بلکه
حق سبحانه فاعلست و انچه خواهد کند پس باید که بنده راضي شود بکردار وی که
اگر راضی شود بکردار وی خود را در معرض لطف و رحمت وی در آورده باشد و آسوده بود
از ناملایم چه جمیع وقایع درین هنگام ملایم طبع وی باشد *

me and shook hands, I became attached to them, and said: "Whence do you come?" They replied, "Good God! how could a man of your type ask such a question?" Afterwards, I laid before them a slice of dry barley bread which I had with me. They said, "We have not come for this." I said, "Well, what have you come for?" They replied, "We have come to give you a commission to convey our salams to 'Abdullah Yâfi'î"; and they added, "Say to him, we congratulate you." I asked, "How do you know him?" They replied, "We have visited him and he has visited us". Then I asked whether they had permission to send this message. They said, "Verily!" Then they related that they came from certain brothers of Yâfi'î who lived in the East, and having so said they suddenly disappeared.

"Yâfi'î also relates that in his youth he was in doubt whether he should devote himself to the pursuit of knowledge, which would gain him a reputation for learning, or to devotional practices by which he would reap the fruits of sweetness and obtain security from the annoyance of scholastic bickerings. "In this state of perplexity and confusion I enjoyed neither rest nor sleep. I had a book in the study of which I used to spend my days and nights. And in this restless state I opened this book, and in it I noticed a leaf which I had never seen before, and on the leaf were written a few verses, which I had never heard from any one. These are the verses in question.

كن عن هومك معرضا * وكل الا مور الى القضا

فلربما اتسع المضيق * وربما ضاق العصا

ولرب أمر متعب * لك فى عواقبه رضا

الله يفعل مايشاء * ولا تكن متعرضا

Translation —

Give up your anxieties, and leave your affairs to Fate
For ofttimes difficulty is made easy, and often ease turned to discomfort

notice of the Imâm Yâfi'î which occurs in Jâmî's *Nafahât ul-Uns*.[1]

"He was one of the great Shaykhs of his day. He was learned in both the worldly and the Spiritual sciences: and he wrote books. Among these may be mentioned the history called Mir'at-ul-Janân wa 'Ibrat-ul-Yaqzân fi ma'rifat hawadiṣ iz-zamân; and Rauḍ ur-Riyâhîn fi ḥikâyât iṣ-ṣâliḥîn; and Durr un-Naẓîm fi faḍa'il il-Qur'ân il-'Aẓîm. And it is related that he also wrote other works.[2] He also wrote good verses.

"He says himself that Shaykh 'Alâ ud-Dîn Khwârazmi relates: "One night, in the one of the towns of Syria, while I was sitting in my private room after the last evening prayers, the door of the room being closed from within, I saw there were present with me in the room two men, and I did not know how they had entered. For a short time they remained in converse with me, and we discussed the condition of *faqîrs* and they alluded to a certain Syrian, whom they praised saying he is a good man, if only he knew where his food came from.[3] After that they said, "Please convey our salams to your master 'Abdullah Yâfi'î.'' I replied, "How do you know him? for he is in the Hejaz." They replied, "This is not hidden from us.'' Whereupon they rose and advanced towards the Miḥrab. I was under the impression that they were going to say their prayers, but they disappeared through the wall

"Yâfi'î also reports that the same Shaykh related as follows:—"In the month of Rajab A H. 742, after the last evening prayers (I was on the Syrian coast), two *pîrs* (or saintly men) entered my private room, and I did not know how they had got in and from what town they came When they saluted

---

1 Calcutta printed Edition, p. 681, Nowal Kishore Litho, p 529

2 A complete list of his works (13 in all) is given by Brockelmann II, p. 177

3 This seems to be the meaning of a passage which in the MS dated A H 902 in the A S B Library reads نیک مردیست گر بدانستی که از کجا می خورد This may refer to eating what is lawful (*halâl*) and what is forbidden (*harâm*), implying that the *faqir* in question was careless about this matter

The author of this work, whose full name is 'Afîfu'd-Dîn Abu Muḥammad[1] 'Abdallah b. As'ad b. 'Alî b. Sulayman Nazîl ul-Ḥaramayn al-Yamani, is best known as the Imân Yâfi'î. He was born in Yemen in or about A.H. 698 (A.D. 1298) and was brought up in Aden. He there studied first under Shaykh Mas'ûd al-Hâvî, and afterwards under the famous religious teacher Shaykh Abu'l-Ḥasan Nûru'd-Dîn 'Alî b. 'Abdullah al-Yamani ash-Shâfi'î at-Ṭawāshi (d. A H 748/A.D. 1347); and by each of these spiritual guides he was invested with the *khirqa* (or robe) of the Sufis Yâfi'î belonged to the Qâdiriyya Sect, and was the founder of the Yâfi'iyya Branch of that Sect.

Among his disciples was the celebrated Shâh Ni'mat Ullah Walî, who died in A H. 834/A.D 1430

In A.H 718/A.D 1318 Yâfi'î settled in Mecca, where he studied law under Najmu'd-Dîn M. b M. at-Ṭabari (d A.H. 730/A.D. 1329) and attended the lectures of Jamâlu'd-Dîn Abû 'Abdullah Muhammad bin Aḥmad adh-Dhahabi ash-Shâfi'î (d A.H. 748/A H 1348)

In A.H. 724/A D 1324 he visited Jerusalem, Damascus and Cairo, and after his return to the Hijâz in A.H. 738/A.D 1337, he spent the rest of his life between Mecca and Medina,[2] and died in the former place on the 20th Jumâda II A.H 768/A.D 1367.

Al-Isnâwî devotes a long notice to Yâfi'î in the last of his Tabaqât,[3] which has been reproduced, with additions, by Ibn al-Ahdal[4] (d. A.H. 885/A.D. 1480). Yâfi'î was buried in the Mazâr ul-Ma'lât near the tomb of the great Sufi Saint Fadâ'il 'Ayyâḍ

I take this opportunity of giving a translation of a curious

---

1 Jâmî in his Nafahât ul-Uns calls him Abû's-Sa'âdât

2 He is consequently known both as Nazîl ul-Haramaya and as Qutb Makka

3 See *Tabaqât ush-Shâfi'iyya* British Museum MS Or 3037, fol 173 b

4 See *Ghirbâl uz-Zamân* (an abridgment of *Mir'ât ul-Janân*), Brit. Mus MS. Or 1395, fol 233

EDITOR'S NOTE.

The present edition of the *Marhamu 'l-'Ilali 'l-Mu'ḍila*[1] is based on a unique manuscript belonging to the Asiatic Society of Bengal[2] This manuscript, which is written in a very scholarly hand, is not dated, but I should be inclined to place it in the end of the 8th Century rather than in the 9th A.H. Diacritical points are sparingly used, and many of the pages are badly damaged by insects Moreover, as I have indicated in the course of my text, several folios are altogether wanting. In each case where folios have been lost the exact number missing has been indicated by some former owner, who had before him a complete copy with which, as he states in several places on the margin, he collated the present manuscript

The Asiatic Society's manuscript comprises 222 folios, of which 45 are represented in the present *fasciculus*

The scope and aim of the work are well summed up in the full Arabic title which I have taken from the second leaf of the MS.

"The Book of the Salve of Baffling Maladies, for the removal of doubts and the refutation of the Mu'tazila, by means of detailed proofs and demonstrations, bearing the *imprimatur* of the tenets of the people of the most excellent Sunna, containing also an account of the Seventy-two various Sects opposed to the Sunna, and of the Heretics."

---

1 Brockelmann and his predecessors have all read the title of this work as *Marhamu'l-Ilali'l-Mu'aḍḍila*. but I think that quite apart from the testimony of this old MS., *Mu'ḍila* is a better reading.

2 As far as I have been able to ascertain no other complete copy of this work is known to exist to-day The Berlin Library contains only an abridgment of the second part



BIBLIOTHECA INDICA:

A

COLLECTION OF ORIENTAL WORKS

PUBLISHED BY

THE ASIATIC SOCIETY OF BENGAL

NEW SERIES, No. 1246.

MARHAMU 'L-'ILALI 'L-MU'ḌILA

BY

AL-IMÂM ABÛ MUḤAMMAD 'ABDULLAH
BIN AS'AD AL-YÂFI'Î

EDITED BY

E. DENISON ROSS.

FASCICULUS I

CALCUTTA

PRINTED AT THE BAPTIST MISSION PRESS,
AND PUBLISHED BY THE
ASIATIC SOCIETY, 1, PARK STREET
1910